٤٥

دروس تمهيدية في








بسم الله الرحمن الرحیم

دروسٌ تمهيدية في

تاريخ وسيرة القادة الهداة

(١)

لجنة تأليف الكتب الدراسية

١٤٢٥

لجنه تاليف الكتب الدراسيه

دروس تمهيديه في تاريخ و سيره القاده الهداه / [به سفارش] لجنه تاليف الكتب الدراسيه [المنظمه العالميه للحوزات و المدارس الاسلاميه] . قم : المنظمه العالميه للحوزات و المدارس الاسلاميه . ۱۴۲۵ ق = ۲۰۰۴ م = ۱۳۸۳ .

ISBN : 964 - 5913 - 38 - 1 (دوره) . - ISBN

964 - 5913 - 37 - 3 (ج . ۱) : ۱۲۰۰۰ ريال - ISBN

964 - 5913 - 36 - 5 (ج . ۲) : ۱۲۰۰۰ ريال

عربی .

فهرستنويسی بر اساس اطلاعات فيپا .

كتاب حاضر با عنوان "قبسات من سيره القاده الهداه" نيز منتشر شده است .

۱ . چهارده معصوم -- سركذشتنامه . الف . سازمان حوزه ها و مدارس علميه خارج از كشور . ب . عنوان

. ج . عنوان : قبسات من سيره القاده الهداه .

BP۳۶/ ۸ ق ۲ ح — ۲۹۷/۹۵

۱۳۸۳

كتابخانه ملی ايران — ۲۹۹۰۴ - ۸۳ م





الكتاب :........................ دروس تمهيديه في تاريخ و سيره القاده الهداه (۱)

المولف ....لجنه تاليف الكتب الدراسيه

الناشر :........................ المنظمة العالمية للحوزات و المدارس العلميه

الكميّه : ۲۰۰۰

الطبعة :........................الاولى

تاريخ الطبع :........................۱۴۲۵ه ق - ۲۰۰۴م

المطبعة :........................ باقرى

القطع و عدد الصفحات : .... وزيرى / ۲۸۶

التصوير الفنّی (الزينكغراف) .... مدين

السعر :........................ ۱۲۰۰ توماناً

شابک :........................ISBN۹۶۴ - ۵۹۱۳ - ۳۶ - ۵

شابک دوره : .... ISBN۹۶۴ - ۵۹۱۳ - ۳۸ - ۱

فهرس اجمالي

المقدمة

لا ريب في أنّ التاريخ الانساني يُعدُّ ينبوعاً معرفياً ومصدراً ثـقافياً تحتاجه الأمم في مسيرتها الناهضة بشكل مستمر. وهـو مـصدر يـتميّز بالحيويّة أيضاً، وبقدرته علىٰ أن يمدّ الشعوب بـالقوّة، ويـمنحها الهـوية والشخصيّة، ويـربطها بـجذورها الحـضارية التـي تـمنعها مـن الانـهيار والذوبان.

وقد حثّ القرآن الكريم الإنسانية بكل أصنافها لتسبر أعماق التاريخ البشري، ولتتعمق فيه وتتأمل، لكي تعتبر وتتعظ وتهتدي.

قال تعالىٰ:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِـهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[١]

وبعد استعراضه لتاريخ عاد، وثمود، وفـرعون، والمـؤتفكات، وقـوم نوح قال سبحانه:

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[٢].

---

١. الحج: ٤٦. ٢. الحاقة: ١٢.

وتأريخ الرسالات الإلهية حافل بالدروس والعبر، التي عبّرت عن الاهتمام البالغ للرسل العظام بأممهم؛ لانقاذها من المحن والأزمات. كما عبّرت تلك الرسالات أيضاً عن همومها ومسيرتها الحافلة بالنور والعطاء.

ومن هنا فإن سيرة الرسول الأعظمﷺ وأهل بيته الطاهرينعليهم السلام تعتبر الترجمة العمليّة للمبادئ والقيم الإسلامية المثلىٰ. ولهذا تكون دراسة سيرتهم، وتاريخ حياتهم مصدراً مهماً لفهم الكتاب و السّنة، وينبوعاً معرفيّاً للإنسانية جمعاء؛ لأن الاسلام رسالة الله الى الإنسان، كما أنّ خاتم النبيين وأوصياءه المنتجبين قادة للبشرية بلااستثناء.

وقد ارتأينا أن نبرمج لدراسة التاريخ الاسلامي ضمن مراحل متدرّجة؛ حيث إنّ الدراسات التاريخية النقلية تتقدم بطبيعتها على الدراسات التحليلية. ولمّا كان القادة الرساليون قد اجتمعت الأُمة على صلاحهم وطهارتهم، كما قدصرّح القرآن الكريم بعصمتهم وجدارتهم، ليكونوا أُسوة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر، فينبغي حينئذٍ أن تدخل سيرتُهم الى صميم حياة طلاب المعرفة.

الهدف والمنهج العام في الكتاب

صنّف كتاب «دروس تمهيدية فی تأريخ وسيرة القادة الهداة»؛ ليكون خطوة اولى نحو دراسات هادفة أكثر عمقاً، معتمداً في ذلك وضوح العبارة، والنقل السليم، والمصادر المعتبرة؛ لإعطاء صورة واضحة وبعيدة عن الغموض والترديد أو الإثارات، التي قدتُربك الدارس للسيرة والتأريخ في بداية الطريق.

تبدأ الدروس الستون بدراسة حول التاريخ والسيرة من منظور قرآني، ثم تستعرض السيرة الذاتية والاجتماعية لكل واحد من المعصومين عليهم السلام وتنتهي بروضة من رياض تراثهم العطر. وفي نهاية المطاف نقف على حصاد سيرتهم الرسالية، وحصيلتها التي تمخضت عن ثلاثة قرون، بل مايزيد على أربعة عشر قرناً من الجهاد المستمر والكفاح البنّاء، من أجل إنقاذ الأُمة الاسلامية والمجتمع الإنساني مما ألمّ به، و تورّط فيه، وتمهيداً للإصلاح الشامل، والثورة العالمية التي تنتظر قائدها الربّاني الإمام المهديّ المنتظر الذي وعدالله به الأُمم؛ ليجمع به الكلم ويلمّ به الشعث وينقذ به البشريّة من الضلال، ويحقق للأنبياء آمالهم، وللإنسانيّة سعادتها التي لم‌تزل تكدح من أجلها ليل نهار.

وهكذا تمّ توزيع المعلومات التاريخية الى سيرة ذاتية واجتماعية، بعيدة عن التحليل التاريخي للحوادث، والتعمق في بطون حوادث التاريخ العام، لتلحقها فيما بعد دراسة موسوعية، تتجاوز هذه المعلومات، وتجتنب التكرار، مقتصرة على تأريخ الرسالة نفسها، وما مرّت به من أدوار وأطوار، وما تمخّضت عنه من نتائج خلال القرون السالفة التي أحاطت بالاسلام والمسلمين.

وقد تمّ بحث ذلك على أساس تحليل علمي للظواهر التي سُجّلت في كتب التاريخ، أو اكتشفت من قبل الباحثين.

وفي كلتا المرحلتين حاولنا أن نعتمد على جهود من سبقنا من دراسات الكتّاب والباحثين؛ استثماراً لجهودهم، وربطاً للحاضر بالماضي

القريب ولتعليم الناشئين ضرورة المراجعة الى المصادر المعتمدة قديماً وحديثاً، من دون أن تهضم حقوق السابقين بل لتتجلى جهودهم ومدى تأثيرهم في الساحة الثقافيّة والاجتماعية، والوقوف على دورهم الفاعل في مجال نقل التراث إلى الأجيال اللاحقة.

ونخصّ بالذكر من الكتّاب المعاصرين الشيخ باقر شريف القرشي والسيد مرتضى العسكري والمرحوم الشيخ اسد حيدر والشهيدين السعيدين السيد محمدباقر الصدر والسيد محمدباقر الحكيم ثمّ السيد جعفر مرتضى العاملي والشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي و آخرين ممن أشرنا الى كتبهم في نهاية كل بحث نقلناه عنهم.

ولنا أن نقول: إن هذا الكتاب هو جمع موضوعي، وتصنيف هادف للمعلومات التي تناثرت في الكتب المعيّنة بدراسة سيرة أهل البيت عليهم السلام؛ وذلك ليكون قنطرة للباحث والمتعلّم والخطيب والمبلّغ والمربّي والمتربّي؛ ليتهيّأ للدراسة المعمّقة في «تاريخ الاسلام»، استعداداً لمواجهة الأحداث والظواهر التأريخية والاجتماعية، مواجهة علمية، والغور إلى اعماقها، واستلهام الدروس منها؛ لتكون عبرة للدارس، وعظة للمعتبر إن‌شاءالله تعالى.

ونخلص مما سبق الى النتائج التالية:

أولاً: لايتوقع الأستاذ في هذه المرحلة من تدريسه للتأريخ أن يقف على معلومات تاريخية متناسقة ومتسلسلة بالمعنى المعهود، بدءً بجغرافية وتاريخ شبه الجزيرة العربيّة، ثم بعثة الرسول صلى الله عليه وآله فدولته ثمّ دولة الخلفاء

الذين تصدّروا سدة الحكم على الترتيب؛ لأنا لانريد الاّ دراسة «سيرة القادة الهداة المعصومين عليهم السلام» الذين يجب التأسي بهم؛ ليحذو الطالب حذوهم، و يقتدي بهم، و يهتدي بهديهم وبسيرتهم في حياته الفردية والاجتماعية.

ثانياً: إن أهمّ المعلومات التاريخية يمكن أن يحصل عليها الطالب من خلال استعراض مراحل حياة كل واحد من المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام بمقدار يتناسب مع أهداف المرحلة التمهيدية، التي اكتفت بالإشارة السريعة الىٰ أدوار ومواقع أهل البيت عليهم السلام في تاريخ الرسالة وحركتها، بدءً بالموقع المتميّز الذي جعلهم الله فيه، وانتهاءً بالواقع التاريخي الذي تمخّضت عنه حركتهم وسيرتهم على مدى قرون ثلاثة بل أكثر.

ثالثاً: إن معرفة تاريخ شبه الجزيرة، لايدخل في تأريخ الرسالة بشكل كامل الاّ من باب التمهيد أولاً، وللاستفادة منه في مقام التحليل ثانياً، وهو ما لانقصده في هذه المرحلة من الدراسة. على أنّ نصوص أهل البيت عليهم السلام كما في كلام الإمام علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله ونصوص الزهراء عليها السلام في خطبتها الشهيرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله قد تضمنت عرضاً جيداً لحالة العرب قبل الاسلام، وربطت بين الماضي والحاضر الذي حقّقه الرسول صلى الله عليه وآله، وما يستتبعه من مسؤوليات كبيرة على عاتق المسلمين الذين نقلتهم الرسالة من حضيض الجاهلية إلى نور الإسلام و سنائه.

رابعاً: إنّ الذي ينتهي من دراسة الكتاب ينبغي أن يخرج بمعلومات، تمهّد له الوصول الى الأهداف المطلوبة من دراسة التاريخ في كلتا

المرحلتين، ولا يقصر النظر على ما جاء في هذه المرحلة التمهيدية من دروس. ولا نريد تكرار المعلومات، وإعادتها بشكل بسيط وساذج تارة، وبشكل مستوعب معمق تارة أُخرىٰ. ولهذا نتوقع من الاساتذة الكرام الالتفات الى أهداف الدراسة قبل مناقشة المنهج، والالتفات الى المنهج قبل الغور الى جزئيات المحتوىٰ الذي اخترناه لهذه المرحلة، والالتفات الى محدودية الوقت، وضرورة ترتيب المعلومات حسب الاولويات التي لابد من ملاحظتها في المنهج التعليمي؛ لأنه ليس كتاب مطالعة، بل أعد ككتاب دراسي، يمارس الاساتذة تدريسه حسب منهج تعليمي مقرّر.

والجدير بالذكر أنّ هذا الكتاب قدطبع سابقاً باسم «قبسات من سيرة القادة الهداة»، وبعد تجديد النظر في محتوى الكتاب تمّ تغيير عنوانه إلى «دروس تمهيدية في تاريخ وسيرة القادة الهداة».

وفي الختام نتقدم بالشكر الجزيل إلى الإخوة اعضاء الهيئة العلمية في «المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الاسلامية»، على مابذلوه من عناية وجهد كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى مؤلف الكتاب الاستاذ السيدمنذر الحكيم «دام عزه»، سائلين المولىٰ جلّ شأنه أن يمدّه بالتسديد والتأييد، إنه نعم المولىٰ ونعم النصير.

لجنة تأليف الكتب الدراسية

١٤٢٥ هـ ق

الدرس ١

مدخل إلى دراسة السيرة والتأريخ الإسلامي

أولاً: السيرة والهدف من دراستها

١. مصطلح السيرة

سيرة الإنسان هي طريقته ونهجه في الحياة، ومن هنا فإنّ سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين ـ عليهم سلام الله أجمعين ـ هي طريقتهم ومنهجهم في الحياة.

وتتجلّىٰ هذه السيرة في مجموع أقوالهم وأفعالهم ومواقفهم تجاه الأحداث والظواهر المختلفة التي عاصروها، وعاشوا معها خلال ثلاثة قرون وأربعة عقود تقريباً، أي: منذ بعثة الرسول الأعظم ﷺ حتّى انتهاء الغيبة الصغرىٰ للامام الثاني عشر، محمدبن الحسن العسكري، الحجّة المهدي المنتظر عليه السلام.

٢. القرآن والاهتمام بالسيرة

وقد اهتمّ القرآن الكريم ببيان سيرة الأنبياء والصلحاء، ودعا إلى الاستهداء بسيرتهم، والاعتبار بسيرة الماضين، والاتّعاظ بها، كما أكّد على

الاهتمام بسيرة خاتم الأنبياء وسيّدهم محمّد بن عـبدالله ﷺ، داعـياً إلى التأسّي به،[١] بعد أن خاطبه قائلاً: ﴿وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾[٢].

ثم أمر المسلمين جميعاً بالالتزام بما يصدر عمّن لاينطق عن الهوىٰ، قائلاً: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٣].

ثم أرشد إلى أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا[٤]، وحثّ على التمسّك بالصادقين، والاقتداء بسيرتهم بقوله عزّ من قائل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[٥].

٣. الهدف من دراسة السيرة

إنّ الاقتداء برسول الله ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام يُمثّل الاهـتداء إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى السعادة والفلاح؛ لأنه الطـريق الّـذي يُبعِدُ عن الضلال وعن الغضب الالهي، وهو صراط الأنبياء الذين أنعم الله عليهم بنعمة هدايته إلى الحقّ[٦]، ومن هنا أمـر بـاتّباعهم بـقوله تـعالىٰ: ﴿أُولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[٧].

ومن هنا أيضاً أصبحت سيرة خـاتم الأنـبياء ﷺ وسـيرة أوصـيائه المعصومين عليهم السلام مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، وينبوعاً من ينابيع المعرفة والثقافة الإسلامية، وعِدلاً للكتاب الالهي الخالد (القرآن الكريم)، كما نصّ على ذلك حديث الثقلين المتواتر[٨].

---

١. الاحزاب: ٢١
٢. الشورى: ٥٢.
٣. الحشر: ٧.
٤. الاحزاب: ٣٣.
٥. التوبه: ١١٩.
٦. الفاتحه: ٥ ـ ٧.
٧. الانعام: ٩٠.
٨. راجع نص الحديث في الدرس ٧.

على أنّ سيرتهم صلوات الله عليهم أجمعين ذات فائدة كبرىٰ في مجال فهم مقاصد الكتاب العزيز، وتفسير آياته الكريمة، كما أنها تبيّن لنا كيف تتجسّد القيم الإسلامية العليا في سلوك إنسانٍ يعيش في هذه الحياة.

ومن هنا نفهم أنّ دراسة سيرتهم عليهم السلام بشكل صحيح تقدّم لنا منهجاً مهمّاً في التربية الإسلامية، وطريقاً لتعلّم النهج الصحيح في الحياة.

ثانياً: التأريخ الإسلامي وعلاقته بالسيرة

١. التاريخ

هو مجموعة الحوادث والتجارب البشرّية الماضية، بالنسبة لعصرنا الذي نعيش فيه.

٢. التاريخ الإسلامي

إنّ تأريخ الإسلام هو تأريخ الرسالة الإسلامية الخاتمة، منذ ظهورها وانتشارها وحركتها في الحياة، ويتضمّن أيضاً تاريخ حَمَلة الرسالة وحُماتها، الذين سهروا على خدمتها، وصيانتها من مكائد أعدائها.

ومن هنا فإنّ سيرة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسيرة أهل بيته الطاهرين عليهم السلام ـ الذين أُوكلت إليهم مهمّة إبلاغ الرسالة وتطبيقها وصيانتها ـ تكون جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الإسلام نفسه، لأنّهم ذابوا في الإسلام ودافعوا عن الشريعة ووقفوا أنفسهم وحياتهم للرسالة، فكانت مواقفهم الرسالية مواقف الإسلام نفسه، وحركتهم حركة الرسالة نفسها، فهم يجسّدون تعاليمه وقيمه تجسيداً حقيقياً، ويُعبّرون عنه أصدق تعبير، فتأريخهم حينئذ هو تأريخ الرسالة بكلّ مراحلها وملابساتها، وليس هو تأريخ آحاد المسلمين.

٣. مصادر التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية

إنّ أهمّ مصادر التاريخ الإسلامي، وتاريخ وسيرة الأنبياء عليهم السلام لا سيما تاريخ وسيرة خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله هو كتاب الله الخالد، وقرآنه المعجز الذي: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[١].

وأمّا كتب السيرة والتاريخ والتفسير والحديث ـ التي صُنِّفت بعد مضيّ قرن او أكثر على رحيله صلى الله عليه وآله ـ فتعدّ مصادر من الدرجة الثانية. وقد اشتملت هذه المصادر المتأخرة على كثير من الحقائق إلى جانب جملة من الإسرائيليات، والأحاديث والأخبار المفتعلة الموضوعة على لسان الصحابة أو التابعين. ومن هنا احتاجت هذه المصادر إلى معايير دقيقة لتشخيص الأخبار الصحيحة، وتمييزها عن الأخبار الدخيلة، كما احتاجت إلى أن تعرض على كتاب الله، والسنة النبويّة الصحيحة وعلى العقل السليم؛ لتكون مناراً لطلّاب الحقيقة.

٤. عصور التاريخ الإسلامي

يبدأ تاريخ الإسلام بالبعثه النبويّة المباركة في السابع والعشرين من شهر رجب المبارك، وذلك قبل الهجرة النبوية بثلاثة عشر عاماً، حيث بدأت الرسالة الخاتمة حياتها، وأخذت تشقّ طريقها إلى أعماق المجتمع العربي والإنساني على يدي الرسول الأعظم محمّدبن عبدالله صلى الله عليه وآله. وكانت الرسالة ثورة إلهيّة تغييرية شاملة انطلقت من مكّة المكرّمة، وانتهت

---

١. فصّلت: ٤٢.

بتأسيس الدولة الإسلامية المباركة في يثرب والجزيرة العربيّة، بعد جهاد كبير في ظلّ قيادة إلهيّة حكيمة. وقد ظهرت ثمارها في أقصر فترة زمنية ممكنة في تأريخ الدعوات التغييرية.

والعصر الذي فجّرَ فيه النبّي محمّد ﷺ هذه الثورة المباركة يمكن تسميته بعصر النبي ﷺ، وهو عصر إبلاغ الرسالة، امّا العصر الذي تلاه فهو عصر الوصاية علىٰ هذه الثورة والدولة النبوية، ويمكن تسميته بعصر الأئمة المعصومين أو عصر الأئمة الراشدين عليهم السلام .

وينقسم كلّ عصرٍ منهما إلى عهودٍ وأدوار متعدّدة.

أ ـ عصر النبي ﷺ

لعصر النبّي ﷺ عهدان متميّزان هما: العهد المكيّ والعهد المدنيّ.

ويبدأ الأوّل منهما بالبعثة النبوية في مكة، وينتهي بهجرته ﷺ من مكّة إلى المدينة المنوّرة (يثرب)، في غرّة ربيع الأول في السنة ١٣ من البعثة. ويبدأ الثاني منهما بوصوله ﷺ إلى المدينة في الثاني عشر من ربيع الأول في السنة نفسها وينتهي بوفاته ﷺ في الثامن والعشرين من صفر سنة ١١ هجرية.

وفي العهد المكّيّ كوّن الرسول الأعظم ﷺ تيّاراً قوياً، تبنّىٰ الإسلام عقيدةً ونظاماً للحياة، فهو عهد تكوين الأُمة المسلمة، وإنشاء الجماعة المؤمنة بالإسلام.

وأمّا العهدالمدنيّ فقد تميّز بتأسيس الدولة لإسلامية، وهي أوّل كيان

سياسي دُوَليّ إسلاميّ، تبنّى تطبيق النظام الإسلامي في الحياة.

وفي كلاالعهدين كان الوحي الإلهي هو الموجّه المباشر للنبيّ القائد ﷺ وللأُمّة المسلمة، من خلال آيات القرآن الكريم الّتي نزلت خلال ٢٣ سنة.

وقد حفظ القرآن الكريم لنا أحداث هذين العهدين ضمن آياته الكريمة، ونستطيع أن نقف على تأريخ هذا العصر فيما إذا عرفنا ترتيب نزول آيات القرآن الكريم بشكل صحيح.

ويمكن تقسيم العهد المكيّ إلى أدوار ثلاثة:

١ . دور الدعوة الخاصة، وإعداد النواة الأُولىٰ للجماعة المؤمنة، وقُدّر بثلاث إلى خمس سنين.

٢ . دور الدعوة العامة، أو دور الإعلان وبداية الصّراع مع جبهة الشرك والكفر. ويقدّر بثلاث إلى أربع سنين.

٣ . دور الهجرة، وهو دور الامتداد للتيّار الإسلامي، وقد استوعب ثلاث هجرات متتابعة هي: الهجرة إلى الحبشة ثم الطائف ثم يثرب.

كما يمكن أن نقسّم العهد المدني إلى دورين متميِّزَيْنِ هما:

١ . دور تأسيس الدولة الإسلامية، والدفاع عنها خلال النصف الأوّل من العهد المدني، بدءاً بالهجرة، وانتهاءً بغزوة الخندق (الاحزاب).

٢ . دور الفتح وامتداد الثورة النبويّة، وتوسيع نطاق الدولة الإسلامية، ابتداءً بصلح الحديبية حتّىٰ عام الوفود وحجّة الوداع، وهو النصف الثاني من العهد المدني.

ب ـ عصر الائمة الراشدين

إنّ حركة التغيير الشاملة للمجتمع الجاهلي، بمفاهيمه وقِيَمِه وأعرافه وأنظمته كانت تتطلّب وصاية عقائدية على الثورة والدولة النبويّة الجديدة؛ وذلك لأنّ الطريق أمام هذه الحركة طويل، وممتدّ بامتداد الفواصل المعنويّة الضخمة بين الجاهلية والإسلام. ولم تكن المدّة الزمنية التي استوعبتها الثورة ثمّ الدولة النبويّة كافية لاجتثاث كلّ الجذور الجاهليّة وآثارها، كما برهن على ذلك تأريخ الحوادث التي وقعت عقيب وفاة الرسول ﷺ. فقد أصبحت الخلافة الإسلامية بعد الرسول ﷺ كرةً يتلاعب بها صبيان بني أُمية، الذين كانوا قد وقفوا من قبلُ بوجه الرسالة حتّى آخر لحظة[1].

ومن هنا فقد عيّن النبّي القائد ﷺ بأمر من الله تعالى اثني عشر إماماً معصوماً ووصيّاً كفوءاً يخلفونه؛ لصيانة ثورته ورسالته وأُمّته ودولته من بعده؛ وقد قاموا بمهمّة الدفاع عن شريعة الله، ودولة سيد المرسلين، وأُمة خاتم النبيين ﷺ من بعده.

وينقسم عصرهم إلى عهدين متميزّين هما: عهد الحضور وعهد الغيبة. أمّا عهد الحضور فقد بدأ بوفاة الرسول الأعظم ﷺ، وانتهىٰ باستشهاد الإمام الحادي عشر منهم وهو الحسن العسكري عليه السلام، في سنة ٢٦٠ هـ.

---

١. راجع للتفصيل: نشأة التشيّع والشيعة للشهيد السيد محمّد باقر الصدر، تحقيق الدكتور عبد الجبار شرارة، ص ٥١ ـ ٥٧ و ٥٨ ـ ٦١.

وأما عهد الغيبة فهو عهد غيبة الإمام الثاني عشر منهم وهو المعصوم الرابع عشر، الحجة بن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام، الذي اقترنت إمامته بغيبته.

ولعهد الغيبة مرحلتان أيضاً:

الأُولىٰ: مرحلة الغيبة الصغرىٰ التي بلغت حوالي سبعة عقود (٢٦٠ـ٣٢٩هـ).

والثانية: مرحلة الغيبة الكبرىٰ التي تلت الصغرىٰ، في نهاية العقد الثالث من القرن الرابع الهجري، بعد وفاة سفيره الرابع سنة ٣٠٩ هـ، وهي مستمرّة حتّى يومنا هذا.

الخلاصة:

* تشكّل سيرة الرسول الأعظم ﷺ و سيرة أهل بيته الطاهرين عليهم السلام بعد القرآن الكريم أهم مصدر من مصادر المعرفة والتشريع الإسلامي ، وتعتبر عاملاً من عوامل الوصول إلى السعادة والفلاح؛ لأنّ الاقتداء بهم هو المصداق الحقيقي للاهتداء إلى صراط الله المستقيم.

* التاريخ الإسلاميّ هو تأريخ الرسالة الخاتمة، وتاريخ حماتها الذين ذابوا فيها ، ووقفوا أنفسهم في كل لحظات حياتهم في سبيلها ، وهم الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام المطهَّرون من كل رجس ودنس.

* يعتبر القرآن الكريم أهم مصادر السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، وعلى ضوئه يتم تقويم سائر مصادر السيرة والتاريخ، لأنّها تفتقد خصائص: «المعاصرة» و«الإحاطة» و«الدقة» و«عدم الانحياز» إلى مصالح الفرق والمذاهب التي نشأت فيما بعد عصر الرسول ﷺ.

* يعتبر عصر النبي الخاتم ﷺ أول عصور التاريخ الإسلامي، ثمّ يتلوه عصر الائمة الراشدين عليهم السلام.

الأسئلة

١ . عرّف السيرة النبوية ﷺ وسيرة أهل بيته المعصومين عليهم السلام.

٢ . بيّن موقف القرآن من السيرة ومن دراستها.

٣ . بيّن الأهداف والفوائد من دراسة السيرة النبوية وسيرة أهل البيت عليهم السلام.

٤ . ما هي العلاقة بين السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي؟

٥ . ما هي مصادر السيرة والتاريخ الإسلامي؟

٦ . ما هي مميّزات القرآن الكريم باعتباره مصدراً للسيرة والتاريخ؟

٧ . عدّد عصور التاريخ الإسلامي.

الدرس ٢

محمّدبن عبدالله ﷺ بشارة الأنبياء

سُنّة البشارة

جرت سُنّة الله ـ فضلاً منه ورحمة ـ على إخبار عباده بإرسال رسول يرسله إليهم في المستقبل، فكان أنبياء الله السابقون يبشّرون بمن يأتي من بعدهم من الأنبياء.

ولقد أشار القرآن إلى بشارة يحيى بنبوّة عيسى عليه السلام[١]، كما أشار إلىٰ بشارة عيسى بنبوّة محمّد ﷺ[٢].

فالأنبياء جميعاً يشكّلون خطّاً واحداً؛ إذ السابق يبشّر باللّاحق، واللّاحق يؤمن بالسابق. وقد صرّحت الآية ٨١ من سورة آل عمران بسنّة البشائر هذه، فضلاً عن الشواهد والتّطبيقات الّتي تلاحظها في مايلي:

١ . نصّ القرآن على بشارة إبراهيم الخليل عليه السلام برسالة خاتم النّبيّين ﷺ بلسان الدّعاء، قائلاً: ﴿ربَّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمةَ ويزكّيهم إنّك أنت العزيز الحكيم﴾[٣].

---

١. آل عمران : ٣٩.
٢. الصفّ: ٦.
٣. البقرة: ١٢٩.

٢ . صرّح القرآن بأنّ البشارة بنبوّة محمّد ﷺ الأميّ كانت موجودة في العهدين: التوراة والإنجيل. ولو لم تكن البشارة موجودة فيهما لجاهر بتكذيبها أصحاب العهدين.

قال تعالىٰ: ﴿الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأُميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم...﴾[١].

٣ . صرّحت الآية السّادسة من سورة الصف بأنّ عيسى عليه السلام صدَّقَ بالتوراة، وبشَّر برسالة نبيّ من بعده اسمه أحمد، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّـهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[٢]

أهل الكتاب في انتظار خاتم النبيّين ﷺ

لم يكتف الأنبياء السّابقون باعطاء الأوصاف العامّة للنبيّ المبشّر به، بل ذكروا العلامات التي يستطيع المبَشَّرون من خلالها معرفته بشكل دقيق، من قبيل محلّ ولادته وهجرته، وخصائص زمن بعثته، وعلامات جسميّة خاصّة، وصفات يتفرّد بها في سلوكه وشريعته، بل أخبر القرآن بأنّهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءَهم[٣]. كما رتّبوا على ذلك آثاراً عمليّة، فاكتشفوا محلّ هجرته ودولته، واستقروا فيها، وأخذوا يستفتحون

---

١. الأعراف: ١٥٧.
٢. الصف: ٦.
٣. الأنعام: ٢٠.

برسالته على الذين كفروا[١]، ويستنصرون برسول الله ﷺ على الأوس والخزرج. وتسرّبت هذه الأخبار إلى غيرهم عن طريق رهبانهم وعلمائهم، فانتشرت في المدينة، وتسرّبت إلى مكّة، وأخبروا بها عبدالمطّلب[٢] وأباطالب[٣] وحذّروهما من كيد اليهود، كما ذهب إلى يهود المدينة بعد إعلان الدعوة وفد من قريش؛ للتثبّت من صحّة دعوى النبوّة التي سمعوها من محمّدﷺ وحصلوا على معلومات اختبروا بها النبي ﷺ[٤]، واتّضح لهم من خلالها صدق دعواه.

وقد آمن جمع من أهل الكتاب وغيرهم بالنبيّ محمّد ﷺ على أساس هذه العلامات التي عرفوها من دون أن يطلبوا منه معجزة خاصّة[٥].

وتحتفظ لحدّ الآن بعض نسخ التوراة والإنجيل ببعض تلك البشائر[٦].

وهكذا تسلسلت البشائر بنبوّة خاتم النبيّين محمّد ﷺ قبل ولادته، وثمّ نقلُها خلال فترة حياته قبل بعثته. وقد اشتهر منها إخبار بحيرا الراهب، ثم شهادة ورقة بن نوفل برسالة محمّد ﷺ على ضوء هذه البشائر[٧].

---

١. البقرة: ٨٩.

٢. تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢.

٣. سيرة ابن هشام، ج ١، ص ١٨١ وإعلام الورى، ص٢٦.

٤. راجع شأن نزول سورة الكهف في أسباب النزول وكتب السيرة.

٥. المائدة: ٨٣.

٦. أنظر سيرة رسول الله و أهل بيته، ج ١، ص ٣٩، حيث نقل بعض البشائر عن إنجيل يوحنّا، وأنظر البشائر في كتاب أشعّة البيت النبويّ، ج ١ ص ٧٠ حيث نقلها عن التّوارة، وراجع أيضاً: بشارات العهدين، وكتاب البشارات والمقارنات، لمعرفة سائر البشائر.

٧. تجدبشارة ورقةبن نوفل وشهادتهبوجودالبشائر في بدايةالبعثةالنبوية فيمعظمكتب السيرة.

وقد نصّ عليّ أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك بقوله: «.. ولم يخل الله سبحانه خلقَه من نبيّ مُرسَل، أو كتابٍ منزَلٍ، أو حجّةٍ لازمة، أو محجّةٍ قائمةٍ، رسلٌ لا تقصّر بهم قلّةُ عددهم، ولا كثرة المكذِّبين لهم، من سابقٍ مُسمّى له مَن بعدَه، أو غابرٍ عَرّفه مَن قَبلَه، على ذلك نسلت القرون... إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله. لإنجاز عِدَته وإتمام نبوّته، مأخوذاً على النبيّين ميثاقه، مشهورةً سِماتُه...»[١].

نعت النبي محمّد صلى الله عليه وآله

روى ابن سعد عن سهل مولى عتيبة، الذي كان نصرانيّاً من أهل مريس، وكان يتيماً في حجر أُمّه وعمّه، وكان يقرأ الإنجيل، أنّه قال: ... فأخذتُ مصحفاً لعميّ، فقرأته حتّى مرّتْ بي ورقة، فأنكرتُ كتابتها حين مرّتْ بي، ومَسَسْتُها بيدي، فنظرتُ فإذا فصول الورقة مُلصَق بغِراء، ففتقتُها فوجدتُ فيها نعتَ محمّد صلى الله عليه وآله: أنّه لاقصير ولا طويل، أبيض ذو ضفيرتين، بين كتفيه خاتم، يُكثر الاحتباء[٢]، ولا يقبل الصدقة، ويركب الحمار والبعير، ويحتلب الشاة، ويلبس قميصاً مرقوعاً، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر، وهو يفعل ذلك، وهو من ذرّية إسماعيل، اسمه أحمد.

قال سهل: فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمّد صلى الله عليه وآله جاء عمّي، فلمّا رأى الورقة ضربني، وقال: مالكَ وَفَتْح هذه الورقة وقراءتها؟! فقلت: فيها نعت النبيّ أحمد، فقال: إنّه لم يأتِ بَعدُ[٣].

---

١. لاحظ الخطبة الأُولى من نهج البلاغة.

٢. الاحتباء: جلسة يجمع فيها بين الظهر والساقين.

٣. الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٦٣.

الخلاصة:

* دلّت الحوادث التأريخيّة على أنّ مسيرة الأنبياء عليهم السلام مسيرة تكاملية ذات وحدة في الهدف والمنطلق، وجَرَت السنّة الإلهيّة أيضاً بتبشير الأنبياء عليهم السلام بمن يلحقهم في الدعوة والنبوّة؛ تخفيفاً من الله عن كاهل البشريّة في الاعتقاد والتسليم، وتسهيلاً لمهمّة النبي اللّاحق في التبليغ والدعوة إلى الله تعالىٰ.

* ولِما للرسالة الإسلامية، وللرسول محمّد ﷺ من دور مهمّ وفاعل في تأريخ البشريّة، باعتبار أنّ الرسالة شاملة وخاتمة، وأنّ الرسول ﷺ آخر الأنبياء، فقد بشَّر الله بها منذ عهود قديمة ، وقد ذكر القرآن ذلك أيضاً.

* في الفترة التي سبقت البعثة انتشرت أخبار، تضمّنت وصفاً دقيقاً للنبيّ محمّد ﷺ ، وبيئته وظرفه، داعية الناس إلى الاعتقاد به والنجاة من الضلالة باتّباعه.

* وقد ساعدت هذه الأخبار على إيمان بعض أهل الكتاب وغيرهم برسالة النبيّ محمّد ﷺ ، من دون أن يطلبوا منه معجزة خاصّة.

الأسئلة:

١ . ما هي أهميّة البشائر بالأنبياء عليهم السلام ؟

٢ . هل وردت بشائر خاصّة بالنبيّ محمّد ﷺ عمّن سبقه من الأنبياء عليهم السلام ؟

٣. استشهد على هذه البشائر بآيات من القرآن الكريم.

٤ . ما الذي عرفه أهل الكتاب عن النبيّ محمّد ﷺ قبل بعثته؟

٥ . ماذا كان موقف أهل الكتاب من النبي محمّد ﷺ حين بعثته؟

الدرس ٣

البيئة الطاهرة

للبيئة دور كبير ومهم في تربية الانسان، وصلاحه أو فساده. ونقصد بالبيئة الوسط البشري الذي يتلقّى فيه الانسان اصول ثقافته ولغته، ويتعلّم من خلاله العلوم و المعارف، وبه يسترشد، و فيه يتأسى بمن يحيط به من نماذج بشريّة، تؤثّر فيه ويتأثّر بها.

والأُسرة هي البيئة الأولىٰ، التي يتربّىٰ فيها أبناء آدمعليه السلام وفيهم الأنبياءعليهم السلام دعاة التوحيد الذين نهضوا لمحاربة الشرك، والأخلاق الفاسدة، والعادات المنحرفة. وقد أنشأهم الله تعالىٰ، وربّاهم في أسر موحِّدة ومسلمة. وأبو الأنبياء آدمعليه السلام هو الذي علّمه الله الأسماء كلّها، قبل هبوطه إلى الأرض، وهو أول موحِّد، وأوّل من فطره الله على توحيده، وعلى نهجه سار أبناؤه الأنبياء الذين ختموا بمحمدصلى الله عليه وآله .

بيئة النبي ﷺ في نصوص أهل البيت عليهم السلام

لقد وصف الإمام عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام البيئة التوحيدية، التي أنبت الله فيها سيّد المرسلين ﷺ بقوله:

«واختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسُرّة البطحاء...»[١]، «... مستقرّه خير مستقرّ، ومنبته أشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة»[٢]، «... فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعزّ الأُرومات مغرِساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أُمناءه»[٣]، «... كلّما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما، لم يُسهِم فيه عاهر، ولا ضَرَبَ فيه فاجر...»[٤].

وحينما ذكر القرآن اصطفاء آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين أردفه بقوله تعالى: ﴿ذريّةً بعضها من بعض﴾[٥]، وخصّ بالذكر نبيّه الخاتم، قائلاً: ﴿وتوكّل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلّبك في الساجدين﴾[٦]. فالذين سبقوا محمّداً ﷺ كانوا كلّهم ساجدين خاضعين لله، لم يشركوا به طرفة عين.

وقد شرح الإمام الصادق عليه السلام هذا التقلّب، قائلاً: «في أصلاب النبيين نبيٌّ بعد نبيّ، حتّى أخرجه من صلب أبيه، عن نكاح غيرسفاح، من لدن آدم»[٧].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٦١.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٩٦.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ٩٤.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٤.
٥. آل عمران: ٣٤.
٦. الشعراء: ٢١٧ ـ ٢١٩.
٧. راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، ج ١، ص ٩.

وقد صرّح النبيّ ﷺ نفسه بذلك، قائلاً: «نُقِلْتُ من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة، نكاحاً لا سفاحاً»[١].

وقال أيضاً: «إنَّ الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم، واتّخذه خليلاً، واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزار، ثم اصطفى من ولد نزار مضراً، ثم اصطفى من ولد مضر كنانة، ثم اصطفى من كنانة قريشاً، ثم اصطفى من قريش بني هاشم، ثم اصطفى من بني هاشم بني عبدالمطّلب، ثم اصطفاني من بني عبدالمطّلب»[٢].

بيئة النبي ﷺ في نصوص المؤرّخين

صرّح المؤرخون بأن عبدالمطّلب قد رفض عبادة الأصنام، ووحّد الله عزّوجلّ، ووفى بالنذر، وسنّ سنناً أشار القرآن الىٰ أكثرها، كما جاءت السنّة من رسول الله إقراراً بها. و من هذه السنن: الوفاء بالنذور، ومائة من الإبل في الدية، وعدم نكاح المحارم، وعدم اتيان البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، والمباهلة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا والحدّ عليه، والقرعة، وألّا يطوف أحد بالبيت عرياناً، وإضافة الضيف، وألّا ينفقوا إذا حجّوا إلّا من طيّب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرايات.

ولمّا قدم أصحاب الفيل خرجت قريش من الحرم فارّةً منهم فقال عبدالمطّلب: «والله لا أخرج من الحرم، وأبتغي العزّ في غيره...»،فكانت قريش تقول: عبدالمطّلب إبراهيم الثاني.

---

١. المصدر نفسه.

٢. ذخائر العقبى، ص ١٠ وصحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٦١.

قال المسعودي: وكان عبدالمطّلب يوصي ولده بصلة الأرحام، وإطعام الطعام، ويرغّبهم ويرهّبهم فعل من يرقب معاداً وبعثاً ونشوراً[١].

وقال الشهرستاني: كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي، ويحثّهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيّات الأمور، وكان يقول في وصاياه: إنّه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتّى يُنتقَم منه، وتصيبه عقوبة. وهلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة، فقيل لعبدالمطّلب في ذلك، ففكّر وقال: والله إنّ وراء هذه الدار داراً، يُجزىٰ فيها المحسن بإحسانه، ويُعاقبُ فيها المسيء بإساءته[٢].

ابن الذبيحين

لقد سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : «أنا ابن الذبيحَيْنِ»، فقال: «إنّ عبدالمطّلب كان قد تعلّق بحلقة باب الكعبة، ودعا الله أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله عزّوجلّ أن يذبح واحداً منهم متى أجاب إليه دعوته. فلمّا بلغوا عشرة قال: قد وفى الله لي، فَلَأُوفينّ لله عزّوجلّ. فأدخل وُلْده الكعبة وأسهم بينهم، فخرج سهم عبدالله أبي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان أحبّ ولده إليه، ثم أجالها ثانيةً فخرج سهم عبدالله، ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبدالله! فأخذه وعزم على ذبحه، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك»[٣]!

وعن الإمام الباقر عليه السلام : «... فخرجت السهام على عبدالله فزاد عشراً،

---

١. مروج الذهب، ج ٢، ص ١٠٣ و١٠٨. ٢. موسوعة التأريخ الإسلاميّ، ج ١، ص ٢٤٤.
٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢١٢.

فلم تزل السهام تخرج على عبدالله ويزيد عشراً، فلمّا أن بلغت مائة خرجت السهام على الإبل، فقال عبدالمطّلب: ما أنصفتُ ربّي، فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل، فقال: الآن علمتُ أنّ ربي قد رضي، فنحرها»[١].

آمنة بنت وهب

وبعد حفر زمزم بعشر سنين، وبعد الفداء عن عبدالله بسنة واحدة[٢]، خرج عبدالمطّلب بابنه عبدالله، حتّى أتى به إلى دار وهب بن عبدمناف بن زهرة ـ وهو يومئذٍ سيّد بني زهرة نسباً وشرفاً ـ فخطب ابنته آمنة لعبدالله، وكانت آمنة أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، فزوّجه إيّاها وأملكها، وفي داره دخل عبدالله على آمنة، فحملت برسول الله ﷺ[٣].

وروي عن الإمام علي عليه السلام : «أنّ آمنة بنت وهب رأت في المنام أنّه قيل لها: إنّ ما في بطنك سيّد، فإذا ولدته فسمّيه محمّداً. ثم قال علي عليه السلام: فاشتقّ الله له اسماً من أسمائه؛ فإنّ الله المحمود وهذا محمّد»[٤].

لقد اكتسب عبدالله بن عبدالمطّلب شهرة عظيمة، وأصبح موضع عناية الناس وحديثهم وحبّهم، بعد قصّةفدائه التي أشبهت قصّة جدّه إسماعيل ... ثم قدّر الله له أن يقترن بأحسن فتاة في قريش ... ولكن لم يقدّر له أن يقيم معها طويلاً؛ فقد أخرجه السعي إلى الشام في تجارة مع القرشيين،

---

١. الخصال، ص ١٥٦، ٢. تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٩.
٣. السيرة النبويّة (ابن هشام، ج ١، ص ١٦٥).
٤. الاحتجاج، ج ١، ص ٣٢١.

متّجهين، إلى غزّة تاركاً زوجته حاملاً. وعند رجوعه توجّه إلى يثرب؛ ليزور أخواله ويجدّد بهم عهداً، ولكنّ القضاء لم يمهله، فمرض هناك، واضطر رفاقه إلى فراقه، حاملين نبأ مرضه إلى أبيه عبدالمطّلب. فأرسل عبدالمطّلب الحارث، أكبر أبنائه؛ ليلازم أخاه حتّى يبرأ، ويعود به إلى مكة. غير أنّ القضاء كان يُسرع بعبدالله، ولم يصل الحارث إلى يثرب إلّا بعد انقضاء أيّام على وفاته[1]، فرجع إلى أبيه محزون القلب، مشتعل الأحشاء. وهو يحمل نبأ وفاة أحبّ أولاده إليه. إنّه نبأ ثقيل على عبدالمطّلب، ولكنّه لم يُوهِن صبره ولم يُضعف حلمه.

---

١. بحار الانوار، ج ١٥، ص ١٢٤. وانظر تفسير سورة الضحىٰ في مجمع البيان والميزان وفي ظلال القرآن.

الخلاصة:

* لقد أولى الله سبحانه وتعالى عناية خاصّة بأنبيائه عليهم السلام ، فأولدهم من الأسر الطاهرة؛ ليكونوا قادرين على تطهير الناس من الشرك. وهكذا كان اصطفاء النبي محمّد صلى الله عليه وآله ، فقد انتقل في الأصلاب الطاهرة المؤمنة، والحجور العفيفة حتّى أشرقت الدنيا بولادته صلى الله عليه وآله .

* كانت أُسرة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله تمثّل أشرف الأُسر وأعرقها إذ هي من سلالة النبي إبراهيم عليه السلام . وقد قامت أيضاً بواجبات الرعاية للحرم المكّي، والدفاع عنه ضد الاعداء.

* عاش عبدالمطّلب ، جدّ النبي صلى الله عليه وآله ، في زمن أُفول الرسالات السماويّة، وظهور قوّةالشرك والوثنية، وانتشار الفساد والظلم، ولكنّه كان موحّداً لله عزّوجلّ، وداعياً إلى مكارم الأخلاق، وقد سار على نهجه أولادُه.

* اهتمّ عبدالمطّلب بولده الذبيح عبدالله، فزوّجه بأفضل امرأة من أُسرة عريقة شريفة، ولكن الإرادة الإلهيّة شاءت أن يموت عبدالله قبل ولادة ابنه محمّد صلى الله عليه وآله .

الأسئلة:

١. ما هو دور البيئة في تربية الانسان؟

٢. اذكر ما يدلّ على إيمان وطهارة آباء الأنبياء عليهم السلام وأمّهاتهم.

٣. ما هي مظاهر إيمان وتوحيد عبدالمطّلب جدّ النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله؟

٤. ماذا يعني قول النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله: «أنا ابن الذّبيحين»؟

٥. لماذا يصطفي الله سبحانه وتعالى أنبياءه من أطهر خلقه؟

٦. لماذا قرّر عبدالمطّلب أن يذبح ابنه عبدالله؟

٧. كيف نجا عبدالله من الذبح؟

الدرس ٤

حياة خاتم النبيين ﷺ

لقد شاء الله أن يتولّى هو تربية محمّد ﷺ، وأن ينزعه من أسرته؛ ليصبح في رعاية الله، تمهيداً للأسرة الكبيرة الّتي سيكون محمّد ﷺ زعيمها، والّتي لا تهتمّ بجنسٍ ولا لُغة ولا لون، وإنّما أكرم الناس فيها أكثرهم تقوىً لله تعالىٰ. وقد عبّر القرآن عن هذا المعنى بقوله تعالىٰ: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾[1] كما عبّر الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي»[2].

لقد حَرَمَتْ يد الحكمة محمّداً ﷺ من رحمة محدودة، ولكنّه تعالى أسبغ عليه رحمة غير محدودة؛ إذ آواه الىٰ جدّه ثم إلىٰ عمّه، فكانا يؤثرانه على أنفسهما وعلى جميع أبنائهما، وبذلا في سبيله من الرّحمة والعطف ما لا يستطيع الآباء بذله للأبناء، وذلك من فضل الله عليه. بل إنّ الله تعالى

---

١. الضحى: ٦.

٢. أُنظر ميزان الحكمة، تأديب الله للنبيّ ﷺ، رواه عن نورالثقلين، ج ٥، ص ٣٨٩.

أولاه عنايةً خاصّة؛ إذ تكفّل برعايته وحماه برحمته، وما أعظم هذه النعمة الّتي يقول الله عنها: ﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾[١].

الولادة: زمانها، مكانها، وكيفيّتها

ولد ﷺ بمكّة، في عام الفيل، في شهر ربيع الأوّل. واشتهر عند الإمامية أنّها كانت في فجر يوم الجمعة، السابع عشر منه، واشتهر عند غيرهم بأنّه ولد يوم الاثنين، في الثاني عشر منه، عند طلوع الفجر أو طلوع الشمس أو عند الزوال.

واشتهر أيضاً عن آمنة بنت وهب ـ كما عن ابن إسحاق ـ حينما كانت تتحدّث عن أيام حملها بالنبي ﷺ: أنّها رأت خروج نور منها، رأت به قصور بُصرى من أرض الشام، وقيل لها: إنّك حملتِ بسيّد هذه الأُمّة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أُعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسد، ثم سمّيه محمّداً[٢]. و أضافت حليمة بنت ذؤيب السعدية عن آمنة أنّها قالت: ثمّ والله ما رأيت من حمل قط كان أخفّ عليّ ولا أيسر منه[٣].

قال اليعقوبي: ولمّا ولد رسول الله ﷺ رُجمت الشياطين، وانقضّت الكواكب[٤]. فلمّا رأت ذلك قريش أنكرت انقضاض الكواكب، وقالوا: ما هذا إلّا لقيام الساعة. وأصابت الناس زَلزلة عمّت جميع الدنيا حتّى تهدّمت الكنائس والبِيَع، وزال كلّ شيء يُعبَد دون الله عزّوجلّ عن موضعه وعُمّيت على السّحرة والكهّان أُمورهم، وحُبست شياطينهم، وزلزل إيوان

---

١. النساء: ١١٣.
٢. السيرة النبويّة (لابن هشام)، ج ١، ص ١٦٦.
٣. موسوعة التأريخ الإسلاميّ، ج ١. ص ٢٥٠ عن ابن سعد.
٤. انقضّت: سقطت وتناثرت.

كسرىٰ، فسقطت منه ثلاث عشرة شرّافة، وخمدت نار فارس، ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام... وجاء رجلٌ من أهل الكتاب إلى ملأ من قريش، فيهم هشام‌بن المغيرة والوليدبن المغيرة وعتبة‌بن ربيعة، فقال: وُلد لكم الليلة مولود[١]... ولد الليلة نبيّ هذه الأُمّة، أحمد الآخِر... ثم أعطى علامات تدلّ عليه[٢].

رضاعه

وكان أوّل لبن شربه بعد لبن أُمّه لبنَ ثُوَيْبَة ـ مولاة أبي‌لهب بن عبدالمطّلب ـ وذلك قبل أن ترضعه حليمة بنت أبي‌ذؤيب السعديّة[٣]؛ حيث إنَّ أهل مكّة كانوا يسترضعون لأولادهم نساء أهل البادية؛ طلباً للفصاحة. ويشهد لذلك قوله ﷺ: «أنا أفصح من نطق بالضاد، بَيْدَ أنّي من قريش، واستُرضِعت في بني سعد».

وبقي ﷺ عندحليمة سنتين حتّى فطم، فقدمت به على أُمّه، وأخبرتها بما رأت من بركته فردّته معها، ثمّ ردّته على أُمّه، وهو ابن خمس سنين[٤].

أسماؤه وكناه

روى محمدبن جبيربن مطعم‌عن أبيه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنّ لي أسماء: أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحوالله بي‌الكفر، وأنا

---

١. تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨ ـ ٩.
٢. طبقات ابن‌سعد، ج ١، ص ١٠٦ والسيرة النبويّة، ج ١، ص ٢٢٦ والإصابة، ٣/١ ص ١٨١.
٣. تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٩.
٤. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٢١٨.

الحاشر، يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»[١].

وكنيته المعروفة أبوالقاسم، وقد روي عنه ﷺ قوله: «تسمّوا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي»[٢]. وقيل أيضاً: إنّ كنيته في التوراة أبوالأرامل، واسمه صاحب الملحمة[٣].

وقال الحلبي: لا يخفى أن جميع أسمائه ﷺ مشتقّة من صفات، قامت به. توجب له المدح والكمال، فله من كلّ وصف اسم[٤].

مراحل حياته

تنقسم حياته ﷺ بشكل أوّلي إلى مرحلتين متميّزتين:

المرحلة الأولى: من الولادة حتّى البعثة، وتبلغ أربعين سنة.

المرحلة الثانية: من البعثة حتّى الوفاة، وتبلغ ثلاثاً وعشرين سنة.

لقد عُرف محمّدبن عبدالله ﷺ في جميع مراحل حياته بالخُلق الطيّب، والبُعد عن مظاهر الشرك، و معاقرة الخمرة، وحضور مجالس اللهو والميسِر، وغيرذلك ممّا كان يميل إليه الشباب في ذلك العصر. وكان لحُسن خلقه يُعرَف بالأمين. وحين تنازعت قريش في نصب الحجرالأسود نزلت على حكم محمّد ﷺ معترفة له بالأمانة والحُنكة والحزم.

واتّفق المؤرّخون أيضاً على أنّ محمّداً ﷺ لم يعبد صنماً قطّ، وقد

١. صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٢٥ وطبقات ابن سعد، ج ١، ص ١٠٤.
٢. طبقات ابن سعد، ج ١، ص ١٠٤.
٣. المناقب، ج ١، ص ١٣ وإعلام الورى، ج ١، ص ٥١.
٤. السيرة النبويّة (للحلبي)، ج ١، ص ٧٨ ـ ٨٢.

بُغِّضت إليه الأوثان، وأنَّه كان يجاور في حِراء من كلّ سنة شهراً ... كما تنزّه عن مذمومات الجاهليّة، الّتي كان شباب العرب مولعين بها في ذلك العهد، بل كان ينهى عن عبادة الأصنام ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وتنقسم كلّ مرحلة من مراحل حياته ﷺ أيضاً إلى مقاطع عديدة:

فالمرحلة الأُولى يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: من الولادة حتّى الرحلة الأُولى إلى الشّام مع عمّه أبي طالب، حين كان في الثانية عشرة من عمره.

والمقطع الثاني: يبدأ برجوعه من الشام حتّى الزواج بخديجة عليها السلام في الخامسة والعشرين من عمره.

والمقطع الثالث: من الزواج حتّى بعثته المباركة في الأربعين من عمره.

وتنقسم المرحلة الثانية (وهي مرحلة النبوّة والرسالة) إلى عهدين متميّزين:

العهد الأوّل: هو العهد المكّي. الذي استغرق ثلاث عشرة سنة.

والعهد الثاني: هو العهد المدني[1]. الذي استغرق عشر سنين.

---

١. راجع عصر النبي ﷺ في نهاية الدرس الأوّل.

الخلاصة:

* ولد النبيّ محمّد ﷺ يتيماً كما هو المعروف، وقد شاهدت اُمّه ـ آمنة بنت وهب ـ جملة من الظواهر الدالّة على أن لوليدها القادم شأناً عظيماً، ومنزلةً كبيرةً.

* لم يكن هناك تقويم متعارف لتدوين الحوادث وقد أُرّخ لولادة النبي ﷺ بحادثة الهجوم على الكعبة التي عرفت بحادثة الفيل، وقد أشار القرآن إلى هذا الحدث التاريخي المهمّ في سورة الفيل.

* اهتمّت أُسرة عبدالمطّلب اهتماماً كبيراً بمحمّد بن عبدالله. وتجلّىٰ ذلك في استرضاعه في بني سعد؛ إذ شحّ لبن اُمّه فأرسلوه إلى البادية؛ لكي يرضع في أجواءٍ صحّية، و في بيئة فصيحة.

* حمل النّبيّ ﷺ جميل الأسماء، وحميد الكُنىٰ والصفات.

* انقسمت حياة الرسول ﷺ ـ البالغة ثلاثاً وستّين سنة ـ إلى مرحلتين أساسيّتين:

الأُولى: من الولادة إلى البعثة، وتبلغ أربعين سنة.

الثانية: من البعثة إلى الوفاة، وتبلغ ثلاثاً وعشرين سنةً.

الأسئلة:

١ . حدّد سنة ولادة النبي محمّد ﷺ .

٢ . من هو المربّي الأوّل للنبي ﷺ ؟

٣ . ما هي دلائل العناية الإلهية بالنبي ﷺ قبل ولادته وبعدها؟

٤ . ما هي أهمّ الظواهر التي رافقت يوم ولادة النبيّ ﷺ ؟

٥ . أين استرضع النّبيّ محمّد ﷺ ؟ ولماذا؟

٦ . ما هي أسماؤه وكناه؟

٧ . ما هي العلاقة بين أسمائه وصفاته ﷺ ؟

للمطالعة :

حياة الرسول وتاريخ الإسلامﷺ في سطور

١ . ولد في عام الفيل في مكّة المكرّمة.

٢ . استرضع في بني سعد.

٣ . رُدّ إلى أُمّه وجدّه، وهو في الرابعة أو الخامسة من عمره، وفي هذه الفترة ظهرت له كرامة الاستسقاء به.

٤ . توفّيت أُمّه، وهو في السادسة من عمره.

٥ . بقي بعد أُمّه مع جدّه سنتين، ثم توفّي جدّه، وهو في الثامنة من عمره.

٦ . أوكل جدّه رعايته إلى عمّه أبي طالب، وبقي عنده حتّى الزواج.

٧ . سافر مع عمّه إلى الشام وهو في الثانية عشرة من عمره.

٨ . التقى ببحيرا الراهب في الطريق، وحذّر عمّه أباطالب من كيد اليهود له.

٩ . حضر حلف الفضول بعد العشرين من عمره.

١٠ . بعد تجديد بناء الكعبة نصب الحجر الأسود وأشرك القبائل في ذلك.

١١ . سافر إلى الشام؛ مضارباً بأموال خديجة عليها السلام.

١٢ . تزوّج بخديجة، وهو في الخامسة والعشرين من عمره.

١٣ . بُعث، وهو في الأربعين من عمره.

١٤ . استمرّت الدعوة الخاصّة ثلاث سنوات.

١٥ . وفي السنة الرابعة من البعثة أُمر بإنذار عشيرته الأقربين.

١٦ . نصّ علىٰ وصاية علي عليه السلام و تعيينه خليفةً له من بعده، يوم أنذر عشيرته الأقربين.

١٧ . ثم أُمر بالصدع بالرسالة لعامّة الناس.

١٨ . وبعد تزايد الضغط من قريش أذن للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة، في السنة الخامسة من البعثة أو بعدها.

١٩ . حوصر مع بني‌هاشم في شعب أبي‌طالب، في السنة السابعة حتّى العاشرة من البعثة.

٢٠ . وبعد فكّ الحصار الشامل توفّي أبوطالب وخديجة، فسمّى ذلك العام بعام الحزن.

٢١ . كان إسراؤه ومعراجه في هذا العام أو قبله أو بعده على أقوال.

٢٢ . ثم هاجر إلى الطّائف مع ابن عمّه علي عليه السلام.

٢٣ . كان يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج بعد رفع الحصار.

٢٤ . كان أوّل لقائه مع أهل يثرب في السنة الحادية عشرة، واستمر اللقاء إلى أن تحقّقت هجرته إليها.

٢٥ . أجمعت قريش على قتله، فأمر عليّاً عليه السلام بالمبيت في فراشه حين هاجر إلى يثرب.

٢٦ . وصل قُبا في ربيع الأوّل، واعتبرت هجرته مبدأً للتاريخ الإسلامي، بأمر منه صلى الله عليه وآله.

٢٧ . أسّس قواعد الدولة الإسلامية الأُولى خلال العام الأوّل من الهجرة بدءاً ببناء المسجد، ثم المؤاخاة، ثم الصحيفة المعروفة لتنظيم شؤون الدولة الجديدة، ثم المعاهدة مع اليهود. وكانت أوّل سرية بقيادة عمّه حمزة، في الشهر السابع من الهجرة. وكانت له ثلاث سرايا إلى آخر العام الأوّل من الهجرة. وفي نفس العام تزوّج بعائشة بعد أن عقد

عليها في مكّة.

٢٨ . في العام الأوّل بعد الهجرة نزلت آيات كثيرة من سورة البقرة فضحت المنافقين، وكشفت خُطط اليهود، كما شرّعت جملة من الأحكام.

٢٩ . استهدفت قريشُ واليهودُ الدولةَ الفتيّة للنبي ﷺ، إلاّ أنّ النبي ﷺ استطاع أن يرصد حركاتهما، فكانت ثماني غزوات وسريّتان في السنة الثانية، بما فيها غزوة بدر الكبرى في ١٧ رمضان. وفرض فيها الصوم أيضاً وتمّ تحويل القبلة، وعُقدت فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام. وحفلت هذه السنة كذلك بمزيد من الانتصارات، والتشريعات السياسيّة والاجتماعيّة. ومُنيت قريش بأوّل هزيمة مريرة لها في غزوة بدر الكبرى، كما تمّ إجلاء أوّل طائفة يهوديّة ـ بني قينقاع ـ بعد أن نكثت عهدها مع الرسول ﷺ بعد انتصارات بدر الكبرىٰ.

٣٠ . وتتابع الهجوم من قريش ومن اليهود على المسلمين خلال السنوات الثلاث: الثالثة والرابعة والخامسة، فكانت غزوة أُحد، ثم بني النضير، ثم الأحزاب، ثم بني قريظة، ثم بني المصطلق. وكانت السنة الخامسة من أصعب السنين التي مرّت على النبيّ ﷺ والمسلمين.

٣١ . وقد ردّ الله كيد الأحزاب واليهود بعد ذلك، فكان صلح الحديبية أوّل فتحٍ للمسلمين؛ حيث أخذ النبي ﷺ ينطلق للتحالف مع القبائل، وبدأت تضعف شوكة قريش وشوكة اليهود، ثمّ كانت غزوات: خيبر ومؤتة وفتح مكة وحنين وتبوك.

٣٢ . كانت السنة التاسعة سنة الوفود، وتلتها حجّة الوداع في السنة العاشرة، وتوفّي النبي ﷺ بعدها في ٢٨ صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة، بعد أن أحكم دعائم الدولة الإسلامية، وعيّن لها القيادة الكفوءة، متمثّلة بالإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تلك الشخصية التي ربّاها بيديه الكريمتين، ورعاها أتمّ رعاية، وأعدّها لإمامة أُمّته أحسن إعداد تحت عناية الله تعالىٰ.

٣٣ . لقد كانت حصيلة الدعوة النبوية في العهد المكّي إنشاء أُمّة مسلمة من خلال تعليمها، وتربيتها عقليّاً ونفسيّاً وسلوكيّاً، وإعداد قوّة عسكرية من خلالها. كما خطّط الرسول بأمر من الله لضمان مستقبل الرسالة، فربّىٰ جماعة صالحة، و أعلن عنها بشكل تدريجي، ثم استعدّ للهجرة الكبرىٰ بعد فتح يثرب من خلال إسلام خيرة أهلها آنذاك.

٣٤ . وأمّا حصيلة الدعوة النبويّة في العهد المدني فتمثّلت في إنشاء أوّل كيان سياسيّ إسلاميّ، وتأسيس نظام اجتماعيّ، يجسّد القيم الإلهيّة داخل الجزيرة العربيّة، ويفجّر الطاقات العقلية للمجتمع البشري، من خلال الثورة الثقافية التي أحدثها الإسلام ببركة القرآن الكريم، الذي كان يعبّئ المسلمين ؛ لإزاحة الموانع أمام انتشار الإسلام خارج الجزيرة ؛ إعلاءً لكلمة الله في الأرض. و في غدير خم بعد حجة الوداع، تمّ الإعلان الرسمي عن القيادة النائبة التي كان عليها أن تخلف النبي ﷺ وبذلك ضمن الرسول ﷺ استمرار ثورته الربّانية على يدي أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

٣٥ . وهكذا أصبحت حصيلة العصر النبويّ :

أولاً: رسالة إسلامية جامعة وخالدة؛ لتنظيم حياة البشرية.

ثانياً: أُمة مسلمة تحمل لواء الإسلام، وتؤمن به عقيدة ونظاماً للحياة.

ثالثاً: دولة سياسية إسلامية تطبّق الإسلام، وتكتسح الموانع التي تقف أمام تقدّمها.

رابعاً: إعداد القيادة الصالحة والكفوءة؛ لضمان استمرار التربية الربّانية الثورية للأُمة المسلمة على أساس القيم الالهيّة، ولتفجير الطاقات البشرية باستمرار، والسير بالإنسانية نحو الكمال.

الدرس ٥

من فضائل خاتم النبيين ﷺ ومظاهر شخصيّته (١)

١ . في القرآن الكريم

لقد كان محمّدبن عبدالله ﷺ موصوفاً بكمال الصفات ومكارم الأخلاق التي ميّزته عن كلّ من عاصره أو سبقه أو لحقه وبذلك أصبح أفضل النبيين. وقد جاء التصريح بكمالاته في نصوص القرآن الكريم.

أمّا كمال عقله، وعظيم خلقه فقد نصّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿ما أنت بنعمة ربّك بمجنون وإنّ لك لأجراً غير ممنون و إنّك لعلى خُلُق عظيم﴾[١].

وأما عبوديته لله تعالى فيدلّ عليه قوله عزّ من قائل: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصىٰ﴾[٢].

وأمّا شرح صدره فيشير اليه قوله تعالىٰ: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾[٣].

ويدلّ علىانقياده التاملله، وخوفه وخشيته منه قوله تعالىٰ: ﴿إن اتّبعُ إلّا ما يوحىٰ إليّ إنّي أخاف إن عصيتُ ربي عذاب يومٍ عظيم﴾[٤] ويشهد

---

١. القلم: ٢ ـ ٤.
٢. الاسراء، ١.
٣. الإنشراح: ١.
٤. يونس: ١٥.

له قوله تعالىٰ: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله﴾[١].

ويشهد لرقة قلبه، ورأفته ورحمته للعالمين، وحرصه على هداية الخلق الى الله تعالى قول الله سبحانه:﴿وما أرسلناك الّا رحمة للعالمين﴾[٢].وقوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[٣].

ويدلّ على عفوه وصفحه قوله تعالىٰ: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير﴾[٤].

ويدل على بصيرته، واستقامته على الهدى الرّباني قوله تعالىٰ: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني﴾[٥]. وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وادع الى ربّك إنك لعلى هدى مستقيم﴾[٦] وقوله تعالىٰ: ﴿فتوكل على الله إنّك على الحق المبين﴾[٧] وقوله تعالىٰ: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾[٨].

ويدل على أُمّيته، وتحريره للانسانية من الأغلال قوله تعالىٰ: ﴿الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأُميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾[٩].

---

١. الاحزاب: ٣٩.
٢. الانبياء: ١٠٧.
٣. التوبة: ١٢٨.
٤. المائده: ١٥.
٥. يوسف: ١٠٨.
٦. الحج: ٦٧.
٧. النمل: ٧٩.
٨. التوبة: ٣٣.
٩. الاعراف: ١٥٧.

وأمّا الاعتدال والوسطية في سلوكه و نهجه فيشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿وكذلك جعلناكم أُمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً﴾[١].

وأمّا أنّه نموذج الكمال البشري فيدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة﴾[٢].

ويشهد لولايته على الخلق، وتقدّمه عليهم قوله تعالىٰ: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله﴾[٣].

كما يشهد لشدّته على الجاحدين والكافرين قوله تعالىٰ: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم﴾[٤].

ويدلّ على فصاحته واشعاعه الدائم وهدايته للناس قوله تعالىٰ: ﴿انّما أنا نذير مبين﴾[٥] وقوله تعالىٰ: ﴿يا أيّها النّبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[٦].

٢. خاتم النبيين في نصوص سيدالوصيّين عليه السلام

١. قال الامام علي عليه السلام: «... حتى بعث الله محمداً ﷺ شهيداً وبشيراً ونذيراً، خير البريّة طفلاً، وأنجبها كهلاً، وأطهر المطهّرين شيمةً، وأجود المستمطرينَ ديمةً»[٧].

---

١. البقره: ٤٣.
٢. الاحزاب: ٢١.
٣. المائده: ٥٥.
٤. الفتح: ٢٩.
٥. الملك: ٢٦.
٦. الاحراب: ٤٥، ٤٦.
٧. نهج البلاغه: الخطبة ١٠٥.

٢ . «اختاره من شجرة الأنبياء، و مشكاة الضياء، و ذؤابة العلياء ... وينابيع الحكمة ... طبيب دّوار بطبّه، قد أحكم مراهمه .... متتبّع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة»[١].

٣ . «وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، المجتبىٰ من خلائقه، و المُعتامُ لشرح حقائقه، والمختص بعقائل كراماته، والمصطفى لكرائم رسالاته، والموضّحة به أشراط الهُدىٰ، والمجلوّ به غربيب العمىٰ»[٢].

٤ . «ان الله بعث محمداً ﷺ، وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوةً، فساق الناس حتّىٰ بوّأهم محلّتهم، وبلّغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم واطمأنّت صفاتهم»[٣].

٥ . «فبالغ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا الى الحكمة و الموعظة الحسنة»[٤].

٦ . «والمعلن الحق بالحقّ، والدافع جيشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل، كما حُمِّل فاضطلع قائماً بأمرك، مستوفراً (مسارعاً) في مرضاتك، غيرناكلٍ عن قُدم، ولا واهٍ في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك ... فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون»[٥].

٧ . «إمام من اتّقىٰ، وبَصَرُ من اهتدىٰ»[٦].

---

١. المصدر السابق، الخطبة ١٠٨.
٢. المصدر السابق، الخطبة ١٧٨.
٣. المصدر السابق، الخطبة ٣٣.
٤. المصدر السابق، الخطبة ٩٥.
٥. المصدر السابق، الخطبة ٧٢.
٦. المصدر السابق، الخطبة ١١٦.

٨ . «فجاهد في الله المدبرين عنه، والعادلين به»[١].

«... جهاداً عن دينه، لايثنيه عن ذلك اجتماعٌ على تكذيبه، والتماسُ لاطفاء نوره»[٢].

٩ . «كنا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله ﷺ ، فلم يكن أحد منّا أقرب الى العدّو منه»[٣].

١٠ . «فتأسَّ بنبيّك الأطيب الأطهر ﷺ ؛ فإنّ فيه أُسوة لمن تأسّىٰ... قضم الدنيا قضماً، و لم يُعِرها طرفاً... عُرضت عليه الدنيا فأبىٰ أن يقبلها... لقد كان يأكل على الارض، و يجلس جِلسة العبد، ويخصف بيده نعله... خرج من الدنيا خميصاً، وورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله...[٤]

٣. لمحة عن سيرته الذاتيّة

عن الحسن بن علي عليه السلام انّ هند ابن أبي هالة وصف النّبي ﷺ قائلاً: «... يبدر من لقيه بالسّلام ... كان متواصل الأحزان، دائم الفكر، طويل السكوت، لايتكلم في غيرحاجة، يتكلّم بجوامع الكلام فصلاً، لافضول فيه و لا تقصير... ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقّت، لايذم منها شيئاً، ولا تغضبه الدنيا و مانالها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ... وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، جُلّ ضحكه التبسّم».

---

١. المصدر السابق، الخطبة ١٣٣.
٢. المصدر السابق، الخطبة ١٩٠.
٣. كشف الغمة، ج ١، ص ٩.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

٤. لمحة عن سيرته الاجتماعية

وروىٰ الحسين بن علي عن أبيه اميرالمؤمنين عليه السلام حديثاً، يصف فيه السيرة الاجتماعيّة للرسول صلى الله عليه وآله:

«إذا آوى الى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه، ثم جزّأ جزأه بينه وبين الناس...

وكان من سيرته في جزء الامة ايثار أهل الفضل بإذنه، وقسّمه على قدر فضلهم في الدين ...

وكان يخزن لسانه الّا عما كان يعنيه، ويؤلّفهم ولا ينفرّهم،

ويكرم كريم كل قوم ويوليّه عليهم،

ويحذرالناس ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه،

ويتفقّد أصحابه، ويسأل الناس عمّا في الناس،

و يحسّن الحسن ويقوّيه، ويقبّح القبيح ويهوّنه،

معتدل الأمر غيرمختلف، لايغفل... ولا يقصّر عن الحق ولا يجوزه...

أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة،

لايجلس ولا يقوم إلّا على ذكر.

يعطي كلّ جلسائه نصيبه. من جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه.

من سأله حاجة لم يرجع الّا بها وبميسور من القول...

مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة ...

كان دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ ولا ضحّاك ولا فحّاش ولا عيّاب ولامدّاح.

يتغافل عما لا يشتهي.

كان سكوته على أربع: على الحلم والحذر والتقدير و التفكير»[١].

---

١. أنظر كتاب سنن النبيّ ﷺ، ص ١٤، ١٧.

الخلاصة:

* وصف الله نبيّه محمداً ﷺ بأكمل الصفات الانسانية ، فجعله سيدالمرسلين وخاتمهم، والقدوة التي يتأسّىٰ بها الخلق؛ ليصلوا الى مرفأ الكمال. كما فصّل تعالى للمتأسّين به فضائله، و مظاهر شخصيته الكريمة.

* ووصف أهل البيت عليهم السلام ـ الذين هم أدرىٰ بما في البيت ـ سيّدهم الامين على رسالة ربّه بكلمات جامعة، تصوّر كمالاته ومناقبه التي جعلته أسوة للمتأسّين، و علماً للمهتدين. وقد تولّت هذه النصوص الواردة عنهم تصوير أدبه الرفيع ، وسيرته الفرديّة والاجتماعية المُثلىٰ.

الأسئلة:

١ . اذكر آية تدل على تحلّي النبي ﷺ بصفة العبودية لله تعالى.

٢ . كيف صوّر القرآن شخصية خاتم المرسلين ﷺ ؟

٣ . ما هي أهم صفات الرسول ﷺ التي ورد ذكرها في نهج البلاغة؟

٤ . قارن بين ما ذكره القرآن الكريم عن صفات النبي ﷺ وما جاء في نهج البلاغة في هذا المجال.

٥ . ما هي مظاهر سيرة الرسول ﷺ من خلال نصوص الحسنين عليهما السلام ؟

الدرس ٦

من فضائل خاتم النبيّين ﷺ ومظاهر شخصيّته (٢)

١ و ٢: الأُمّي العالِم

ممّا تميّز به خاتم النبيّين ﷺ أنّه لم يتعلّم القراءة والكتابة عند معلّم بشريّ[١] ولم ينشأ في بيئة علميّة، وإنّما نشأ في مجتمع جاهلي. ولم يكذّب أحد هذه الحقيقة التي نادىٰ بها القرآن العظيم. وقد نشأ أيضاً في قوم من أشدّ الأقوام جهلاً، وأبعدهم عن العلوم والمعارف حتّى سُمّي ذلك العصر بالعصر الجاهلي. ومع ذلك فقد جاء بكتاب يدعو إلى العلم والثقافة، وتنشيط الفكر والتعقّل، واحتوى على صنوف المعارف.

لقد بدأ الرسول الاكرم ﷺ بتعليم الناس الكتاب والحكمة[٢] وفق منهج بديع، حتّى أنشأ حضارة فريدة، اخترقت الشرق والغرب بعلومها ومعارفها، وما زالت تتلألأُ بهاءً ونوراً.

فهو أُمّي، ولكنّه كان يكافح الجهل والجاهلية وعبادة الأصنام، كما جاء

---

١. العنكبوت: ٤٨ والنحل: ١٠٣.
٢. الجمعة: ٢.

بدين قيّم إلى البشرية، وبشريعة عالمية تتحدّى البشرية على مدى الزمن.

ولذا فهو معجزة بنفسه في علمه ومعارفه، وجوامع كلمه، ورجاحة عقله، وثقافته ومناهج تربيته. ومن هنا قال تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبيّ الأمّيّ الّذي يؤمن بالله وكلماته واتّبعوه لعلّكم تهتدون﴾[١].

لقد أوحى الله إليه ما لم يكن يعلم، وعلّمه الكتاب والحكمة حتى أصبح نوراً وسراجاً منيراً، وبرهاناً وشاهداً، ورسولاً مبيناً، وناصحاً أميناً، ومذكّراً ومبشّراً ونذيراً[٢]. فهو الّذي شرح الله له صدره، وأعدّه لقبول الوحي، والقيام بمهمّة الإرشاد في مجتمع كانت تسيطر عليه العصبية البغيضة والأنانية الجاهلية، فكان أسمى قائد عرفته البشرية في مجال الدعوة والتربية والتعليم.

٣ و ٤: أوّل المسلمين وسيّد العابدين

إنّ الخضوع المطلق لله، خالق الكون ومبدع الوجود، والتسليم التام لعظيم قدرته ونفاذ حكمته، والعبوديّة الاختياريّة الكاملة تجاه الإله الأحد الفرد الصمد هي القمّة الأولى الّتي لابدّ لكلّ إنسان أن يجتازها، كي يتهيّأ للاجتباء والاصطفاء الإلهي.

وقد شهد القرآن الكريم لهذا النبيّ العظيم ﷺ الّذي فاق النبيّين عليهم السلام في

---

١. الأعراف: ١٥٨.

٢. المائدة: ١٥؛ الأحزاب: ٤٦؛ النساء: ١٧٤؛ الفتح: ٨؛ الزخرف: ٢٩؛ الأعراف: ٦٨؛ الغاشية: ٢١؛ الإسراء: ١٠٥ والمائدة: ١٩.

كلّ شيء حتّى قال عنه: ﴿وأنا أوّل المسلمين﴾[١]. إنّه وسام الكمال الّذي حازه هذا العبد الصادق في عبوديّته، وفاق في ذلك من سواه على الإطلاق.

وتجلّت هذه العبوديّة الصادقة في أفعاله وأقواله حتى قال ﷺ: «قرّة عيني في الصلاة»[٢]؛ فقد حُبّبت إليه كما حُبّب الماء إلى الضمآن، فإذا شرب رَوِيَ، ولكنه ﷺ لم يرتوِ من الصلاة، اذ كان ينتظر وقتها ويشتدّ شوقه للوقوف بين يدي ربّه عزّوجلّ، وكان يقول لمؤذّنه: «أرحنا يا بلال»[٣]. وروي أنّه كان يحدّث أهله ويحدّثونه، فإذا دخل وقت الصلاة فكأنّه لم يعرفهم، ولم يعرفوه[٤].

وكان إذا صلّىٰ يسمع لصدره أزيز «كأزيز المِرْجل»، ويبكي حتّىٰ يبتلّ مصلّاه؛ خشية من الله عزّوجلّ[٥]، وكان يصلّي حتّى تنتفخ قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟! فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[٦]؟

وكان يصوم شعبان ورمضان وثلاثة أيّام من كل شهر[٧]، كما كان إذا دخل شهر رمضان يتغيّر لونه، وتكثر صلاته، ويبتهل في الدعاء[٨]، وإذا دخل العشر الأواخر منه شدّ المئزر، واجتنب النساء، وأحيا الليل، وتفرّغ للعبادة[٩].

---

١. الأنعام: ١٦٣.
٢. أمالي الطوسي، ج ٢، ص ١٤١.
٣. بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ١٦.
٤. أخلاق النبيّ وآدابه، ص ٢٥١، ٢٠١.
٥. المصدر نفسه.
٦. سنن النبيّ، ص ٣٢.
٧. أخلاق النبيّ، ص ١٩٩؛ صحيح البخاري، ج ١ ص ٣٨١، الحديث ١٠٧٨.
٨. وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٣٠٩.
٩. سنن النبيّ، ص ٣٠٠.

وكان يقول: «الدعاء مخّ العبادة[١]، وسلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السماوات والأرض». وقد كان دائم الاتّصال بالله، دائم الانشداد إليه بالضراعة والدعاء في كلّ عمل كبير أو صغير، بل إنّه كان يستغفر الله كلّ يوم سبعين مرّة، ويتوب إليه سبعين مرّة من غير ذنب[٢].

ولم يستيقظ من نومٍ قط إلّا خرَّ ساجداً[٣]، وكان يحمد الله في كلّ يوم ثلاثمائة وستّين مرّة ويقول: «الحمدلله ربّ العالمين كثيراً على كلّ حال»[٤]. ولقد كان دؤوباً على قراءة القرآن وشغوفاً به.

٥: الثّقة المطلقة بالله

قال الله تعالى مؤكّداً لرسوله ﷺ ثقته بربّه: ﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾[٥] وقال أيضاً: ﴿وَتوكّل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلّبك في الساجدين﴾[٦].

وروي عن جابر ؓ، أنّه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرةٍ ظلّيلة (ذات ظلّ) تركناها لرسول الله. فجاء رجل من المشركين، وسيف رسول الله ﷺ معلّق بالشجرة، فاخترطه وقال للرسول ﷺ: تخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك منّي؟ قال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله السيف، فقال: من يمنعك منّي؟ فقال: كن خير آخذ، فقال: تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله؟ قال: لا، ولكنّي

---

١. الكافي، ج ٤، ص ١٥٥.
٢. المحجّة البيضاء، ج ٢ ص ٢٨١ ـ ٢٨٤.
٣. بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢١٧، ٢٥٣.
٤. بحار الانوار، ج ١٦، ص ٢١٧، ٢٥٣.
٥. . الزمر / ٣٦.
٦. الشعراء: ٢١٧ ـ ٢١٩.

أُعاهدك أن لا أُقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّىٰ سبيله، فأتىٰ أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس[١].

٦: الشجاعة الفائقة

قال الله تعالىٰ مخبراً عن صفات رسله: ﴿الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله﴾[٢].

أمّا الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام الّذي طأطأ له فرسان العرب، فقد قدّم لنا وصفاً دقيقاً عن شجاعة رسول الله ﷺ بقوله: «كنّا إذا احمرّ البأس، ولقي القومُ القومَ اتّقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أدنى من القوم منه»[٣].

كما وصف المقداد رضي الله عنه ثبات رسول الله ﷺ يوم أُحد، بعد أن تفرّق الناس، وتركوا رسول الله ﷺ وحده قائلاً: والّذي بعثه بالحقّ إن رأيت رسول الله ﷺ زال شبراً واحداً. إنّه لفي وجه العدوّ تثوب إليه طائفة من أصحابه مرّة، وتتفرّق عنه مرّة، فربّما رأيته قائماً يرمي عن قوسه، أو يرمي بالحجر حتّىٰ تحاجروا[٤].

٧. زهد عديم النظير

قال تعالى لرسوله الكريم: ﴿ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً

---

١. رياض الصالحين (للنووي)، ص ٥، الحديث ٧٨ وصحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٦٥.
٢. الأحزاب: ٣٩.
٣. فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، ج ١، ص ١٣٨.
٤. مغازي الواقدي، ج ١، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربّك خيرٌ وأبقى﴾[١].

وقد صدق رسول الله ﷺ في تركه للدنيا وزخارفها، وزهد فيها حتى روي عن أبي أُمامة عن النبي ﷺ أنّه قال: «عرض عليّ ربّي ليجعل لي بطحاء مكّة ذهباً، قلت: لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً... فإذا جعتُ تضرّعتُ إليك. وذكرتك، وإذا شبعتُ شكرتُك وحمدتُك»[٢].

ونام على حصير فقام، وقد أثّر في جنبه، فقيل له: يا رسول الله لو اتّخذنا لك وطاءً؟ فقال: «ما لي وما للدنيا؟! ما أنا في الدنيا إلّا كراكبٍ استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها».

وقال ابن عبّاس: كان رسول الله يبيت الليالي المتتابعة طاوياً (جائعاً)، وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير.

وقالت عائشة: ما أكل آل محمّد أكلتين في يوم واحد إلّا إحداهما تمر[٣].

وقالت لابن أُختها عروة: إن كنّا لننظر إلى الهلال، ثمّ الهلال ثلاثة أهلّة في شهرين، وما أُوقدت في أبيات رسول الله نار. فسألها عروة قائلاً: يا خالة! ما كان يعيّشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلّا أنه قد كان لرسول الله جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ألبانها فيسقينا[٤].

---

١. طه: ١٣١.

٢. سنن الترمذي ج ٤، ص ٥١٨، ٥٠١، الحديث ٢٣٧٧ و ٢٣٦٠.

٣. صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٣٧١، الحديث ٦٠٩٠.

٤. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٩٠٧، الحديث ٢٤٢٨.

وقالت: توفي رسول الله ﷺ، ودرعه مرهونة عند يهوديّ بثلاثين صاعاً من شعير[١].

وعن أنس بن مالك أنّ فاطمة عليها السلام جاءت بكسرة خبز إلى النبيّ ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت: قرص خبز، فلم تطب نفسي حتّى أتيتك بهذه الكسرة، فقال: أما إنّه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام»[٢].

هذه صورة مصغّرة عن زهد الرسول ﷺ، وإعراضه عن الدنيا حتّى لقي الله تعالىٰ.

---

١. صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٠٦٨، الحديث ٢٧٥٩.

٢. الطبقات (لابن سعد)، ج ١، ص ٤٠٠.

الخلاصة:

* لم يتعلّم رسول‌الله ، محمّد بن عبدالله ﷺ ، عند أحد من البشر ، ولكنّه جاء بكتابٍ علميّ عالميّ، تحدّىٰ به البشريّة في جميع عصورها ، واستطاع من خلاله أن ينقل إنسان الجاهليّة إلى إنسان متعلّم متكامل متحضّر، مكبّ ليله ونهاره على طلب العلم والمعرفة، وقد أسّس على ضوء هذا الكتاب أيضاً دولة عظمى ، وبنى حضارة فريدة لم تشهد الإنسانيّة مثلها.

* حمل النبيّ وسام العبوديّة التامّة لله الخالق ، فكان شديد التعلّق بربّه العظيم تعلّقاً نشأ عن معرفة وحبّ وإرادة وإخلاص، وأصبح في صلاته وصيامه ودعائه واستغفاره القدوةَ الحسنة التي ترسم للإنسان طريق التكامل نحو الخلّاق العليم.

* نهض النبيّ ﷺ متحمّلاً أعباء المسؤولية الجسيمة ، واثقاً بالله سبحانه في كلّ حركة وسكون، شجاعاً مِقداماً ، مجدّاً في الدعوة إلى الله سبحانه.

* عاش رسول الله ﷺ بعيداً عن ملذّات الدنيا ومتعها، يشاطر الفقراء والمساكين صعوباتهم، راجياً رحمة ربّه، متواضعاً له ، بعيداً عن الاغترار بنعيم الدنيا ، والابتهاج بزخارفها.

الأسئلة:

١ . مَنْ المقصود بالنبيّ الأمّي العربيّ؟ وما المراد من أُميّته؟

٢ . هل القرآن كتاب علم ومعرفة؟ ولماذا؟

٣ . صف عبادة الرسول ﷺ وتفانيه في ذات الله.

٤ . اذكر صوراً من ثقة الرسول ﷺ المطلقة بالله تعالى.

٥ . كيف وصف المقداد ثبات رسول الله ﷺ وشجاعته يوم أُحد؟

٦ . كيف تصف زهد رسول الله ﷺ ؟

الدرس ٧

من فضائل خاتم النبيّين ﷺ ومظاهر شخصيته (٣)

٨: الجود والكرم

قال ابن‌عبّاس: كان النبيّ ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان... إنّ جبريل كان يلقاه في كل سنة من رمضان... فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[١].

وقال جابر: ما سُئل النبي ﷺ شيئاً قطّ فقال: لا[٢].

وروي أنّ رسول الله ﷺ أتى صاحب بَزٍّ، فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم، فخرج وهو عليه، فإذا برجل من الأنصار. فقال: يا رسول الله اكسني قميصاً كساك الله من ثياب الجنّة، فنزع القميص فكساه إيّاه، ثم رجع إلى صاحب الحانوت، فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم وبقي معه درهمان، فإذا هو بجارية في الطريق تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله دفع إليّ أهلي درهمان اشتري بهما دقيقاً فهلكا، فدفع النبيّ ﷺ

---

١. صحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٨١، الحديث ٢٣٠٨ ومسند أحمد، ج ١، ص ٥٩٨، الحديث ٣٤١٥.

٢. سنن الدارمي، ج ١، ص ٣٤.

إليها الدرهمين، فقالت: أخاف أن يضربوني، فمشى معها إلى أهلها فسلّم فعرفوا صوته، ثم عاد فسلّم، ثمّ عاد فثلّث، فردّوا، فقال: «أسمعتم أوّل السلام؟» فقالوا: نعم، ولكن أحببنا أن تزيدنا من السلام، فما أشخصك بأبينا وأمِنّا؟ قال: «أشفقتُ هذه الجارية أن تضربوها». قال صاحبها: هي حرّة لوجه الله؛ لممشاك معها. فبشّرهم رسول الله ﷺ بالخير والجنّة. وقال: «لقد بارك الله في العشرة: كسا الله نبيّه قميصاً ورجلاً من الأنصار قميصاً، وأعتق منها رقبة، وأحمد الله، هو الذي رزقنا هذا بقدرته»[١].

وكان إذا دخل شهر رمضان أطلق كلّ أسير، وأعطى كل سائل[٢].

٩ و١٠. الحلم والعفو

وعن زيدبن أسلم قال: بلغنا أنّ عبدالله‌بن سلام كان يقول: إنّ صفة رسول الله ﷺ في‌التوراة: يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكّل، ليس بفظٍّ ولاغليظ، ولاصخب بالأسواق، ولايجزي السيّئة بالسيّئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتّى أُقيم به الملّة المتعوّجة، بأن يقولوا: لاإله‌إلّا الله، فيفتح به أعيناً عمياء، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غُلفاً. فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق عبدالله بن سلام.

وعن عائشة: أنّ رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه شيئاً يؤتى إليه إلّا أن

---

١. المعجم الكبير (للطبراني)، ج ١٢، ص ٣٣٧، الحديث ١٣٦٠٧.

٢. حياة النبيّ وسيرته، ج ٣، ص ٣١١، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٧.

تنتهك حرمات الله، ولا ضرب بيده شيئاً قطّ إلّا أن يضرب بها في سبيل الله ولا سُئل شيئاً قط فمنعه إلّا أن يُسأل مأثماً؛ فإنّه كان أبعد الناس منه[١].

وعن عبيد بن عمير: أن رسول الله ﷺ ما أُتي في غير حدٍّ إلّا عفا عنه[٢].

وقال أنس: خدمت رسول الله عشر سنين، فما قال لي: أُفٍّ قطّ، وما قال لشيء صنعتُه: لِمَ صنَعْتَه؟ ولا لشيء تركتُه: لِمَ تركتَه[٣].

وجاءه أعرابي فجذب رداءهُ بشدّة، حتّى أثّر طرف الرداء على عاتق النبيّ ﷺ، ثمّ قال له: يا محمّد، العطاء! مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له.

لقد عُرِف ﷺ بالعفو والسماحة طوال حياته... فقد عفا عن وحشيّ قاتل عمّه حمزة... كما عفا عن المرأة اليهوديّة التي قدّمت له شاة مسمومة، كما عفا عن أبي سفيان وجعل الدخول إلى داره أماناً من القتل. وعفا أيضاً عن قريش الّتي حاربته بكلّ ما لديها... وهو في منتهىٰ القدرة والعزّة قائلاً: «اللهمَّ اهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون... اذهبوا فأنتم الطلقاء».

لقد أفصح القرآن عن عظمة حلم الرسول ﷺ، وأشاد بذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم﴾[٤]، وقال أيضاً: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[٥]. وبهذا الحلم العظيم استطاع

---

١. المصدر السابق

٢. صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٦٠، الحديث ٥٧٣٨.

٣. أُنظر محمّد في القرآن، ص ٦٠ ـ ٦٥.

٤. آل عمران: ١٥٩.

٥. التوبة: ١٢٨.

الرسول ﷺ أن يكسب القلوب الفظّة الغليظة، ويجعلها تلتفّ حوله، وتؤمن برسالته الخالدة.

١١: الحياء

عن أبي‌سعيد الخدريّ: كان النبيّ ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها وإذا كره شيئاً عُرف في وجهه[١].

وعن علي عليه السلام: «كان النبي ﷺ إذا سُئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم، وإذا أراد أن لا يفعل سكت، وكان لا يقول لشيء: لا»[٢].

١٢. التواضع

عن يحيى بن أبي‌كثير أنّ رسول الله ﷺ قال: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، فإنّما أنا عبد»[٣].

وكلّم النبيّ ﷺ رجلاً فأرعد، فقال: «هَوِّن عليك؛ فإنّي لستُ بملك؛ إنّما أنا ابن امرأةٍ من قريش كانت تأكل القديد»[٤].

وعن أبي‌أمامة: خرج علينا رسول الله متوكّئاً على عصا، فقمنا إليه فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظّم بعضهم بعضاً»[٥].

وكان يداعب أصحابه ولا يقول إلّا حقّاً[٦]، كما كان يسلّم على

---

١. صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٣٠٦، الحديث ٢٣٣٦٩.

٢. مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٣.

٣. الطبقات (لابن سعد)، ج ١، ص ٣٧ ومجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٩.

٤. سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١١٠١، الحديث ٣٣١٢.

٥. سنن أبي‌داود، ج ٤، ص ٣٥٨، الحديث ٥٢٣٠.

٦. سنن الترمذي، ج ٤، ص ٣٠٤، الحديث ١٩٩٠.

الصبيان[١]. وشارك أصحابه في بناء المسجد[٢] وحفر الخندق[٣]، وكان يكثر من مشاورة أصحابه، على الرغم من أنّه كان أرجح الناس عقلاً[٤].

وكان يقول: «اللهمَّ أحيني مسكيناً، وتوفّني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين، وإنّ أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة»[٥].

هذه صورة موجزة جدّاً عن ملامح شخصيته ﷺ، وبعض جوانب سلوكه الفرديّ والاجتماعيّ. وهناك صور رائعة وكثيرة عن سلوكه، وسيرته الإداريّة والسياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة والأُسريّة، تستحقّ الدراسة المعمّقة، للتأسّي بها والاستلهام منها، نوكلها إلى مرحلة قادمة إن شاء الله تعالى.

وهكذا تتّضح لدينا معالم الشخصيّة المحمّدية الفريدة، الّتي يمكن أن نوجزها في عدّة كلمات جامعة، هي: الأصالة العائليّة ونظافتها، والرعاية الإلهيّة الدائمة، والخلق الرفيع، والمكانة الاجتماعيّة المرموقة إلى جانب استقامة السلوك، وفصاحة البيان، وبساطة الوضع المعيشي، والتنزّه عن الخرافات والشرك، وبلوغ القمّة في العبوديّة التامّة لله، والتواضع للحقّ حيثما كان.

---

١. حياة النبيّ وسيرته، ج ٣، ص ٣١٣ عن ابن سعد.
٢. مسند أحمد، ج ٣، ص ٨٠.
٣. الطبقات (لابن سعد)، ج ١، ص ٢٤٠.
٤. الدرّ المنثور، ج ٢، ص ٣٥٩ والمواهب اللدنّيّة، ج ٢، ص ٣٣١.
٥. سنن الترمذي، ج ٤، ص ٤٩٩، الحديث ٢٣٥٢.

الخلاصة:

* كان رسول الله ﷺ أجود الناس كفّاً، وكان يفيض حناناً وكرماً وإحساناً وعطاءً على الجميع، وينبسط بالعفو والرحمة واللين عليهم، ليستنقذهم من جهلهم وضلالتهم، ويشدّ أواصر بعضهم إلى بعض.

* كان النبي ﷺ يعيش في المسلمين كأحدهم، يجلّله الحياء مهابةً واحتراماً، ويزيده التواضع رفعة وجلالاً. وكان يعطف على الصغير، ويوقِّر الكبير، ويستمع مشورة الناصح، وهو العاقل المسدّد من السماء.

الأسئلة:

١. كيف تعامل رسول الله ﷺ مع السائلين؟

٢. استشهد بحوادث تدلّ على جود رسول الله ﷺ مع الفقراء.

٣. في أيّ المواقف كان رسول الله ﷺ يضرب أويمنع؟

٤. متى كان رسول الله ﷺ يعفو عن المسيئين إليه؟ اذكر شاهدين على ذلك.

٥. كيف نستفيد من صفة العفو في الدعوة إلى الله؟

٦. لماذا أمر الله تعالى نبيّه ﷺ بالعفو والاستغفار لقومه؟

٧. كيف واجه رسول الله ﷺ من وقف في وجه الدعوة الإسلامية بعد انتشارها؟

الدرس ٨

من تراث سيّد المرسلين ﷺ

العقل والكمال البشري

لقد عَرَّفَ الرسول ﷺ العقل ووظيفته، ودوره في التكليف والمسؤولية والعمل والجزاء، وبيّن عوامل رشده وتكامله، فقال:

«إنَّ العَقلَ عِقالٌ من الجهل، والنفس مِثل أخبث الدَّوابّ، فإن لم تعقل حارت، فالعَقلُ عِقالٌ من الجهل. وإنّ الله خلق العَقلَ، فقال له: أقبل فأقبلَ، وقال له: أدبر فأدبر، فقال له الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي، ما خلقتُ خلقاً أعظم منك، ولا أطوع منك، بك أُبدي وأُعيد، لك الثوابُ وعليك العِقاب.

فتشعّب من العقل الحِلم، ومن الحِلم العلم، ومن العلم الرُّشد، ومن الرُّشد العَفاف، ومن العَفاف الصّيانة، ومن الصّيانة الحياء، ومن الحياء الرزانة، ومن الرزانة المداومة على الخير وكراهية الشرّ، ومن كراهية الشّر طاعة الناصح.

فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير، ولكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع...»[١].

---

١. دخل شمعون بن لاوي المسيحي على رسول الله، وناقشه طويلاً، واعتنق الإسلام فقال:

العلم حياة القلوب

واهتمّ الرسولﷺ بالعلم والمعرفة أيّما اهتمام فبيّن دور العلم وقيمته في الحياة بقوله:

«طلبُ العلم فريضة على كلّ مسلم، فاطلبوا العلم من مظانّه، واقتبسوه من أهله؛ فإنّ تعلّمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى؛ لأنّه معالم الحلال والحرام، ومنار سُبل الجنّة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدّث في الخلوة، والدليل على السّرّاء والضّرّاء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلّاء.

يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادة، تُقتبس آثارهم، ويُهتدى بفعالهم، ويُنتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلّتهم، بأجنحتها تمسحهم، وفي صلاتها تبارك عليهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، حتّى حيتان البحر وهوامّه، وسباع البر وأنعامه.

إنّ العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظُّلمة، وقوّة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العُلى في الدنيا والآخرة.

أخبرني عن العقل، ما هو؟ وكيف هو؟ وما يتشعّب منه وما لا يتشعّب، وَصِفْ لي طوائفه كلّها، فقال الرسول ﷺ: إنّ العقل عقال من الجهل ... راجع تمام الحديث في تحف العقول عن آل الرسول، باب مواعظ النبيّ وحكمه.

الذكر فيه يُعدَل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الربّ، وبه توصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال والحرام. العلم أمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظّه.

وصفة العاقل أن يحلم عمّن جهل عليه، ويتجاوز عمّن ظلمه، ويتواضع لمن هو دونه، ويسابق من فوقه في طلب البرّ، وإذا أراد أن يتكلّم تدبّر، فإن كان خيراً تكلّم فغنم، وإن كان شرّاً سكت فسلم، وإذا عرضت له فتنة استعصم بالله، وأمسك يده ولسانه، وإذا رأى فضيلة انتهز بها، لا يفارقه الحياء، ولا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال يُعرف بها العاقل.

وصفة الجاهل أن يظلم من خالطه، ويتعدّى على من هو دونه، ويتطاول على من هو فوقه، كلامه بغير تدبّر، إن تكلّم أثم، وإن سكت سها، وإن عرضت له فتنة سارع إليها فأردَتْه، وإن رأى فضيلة أعرض عنها، وأبطأ عنها، لا يخاف ذنوبه القديمة، ولا يرتدع فيما بقي من عمره من الذنوب، يتوانىٰ عن البرّ ويبطئ عنه، غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضيّعه، فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حُرِم العقل»[1].

الثقلان: الكتاب والعترة

لقد رسم الرسول ﷺ للناس جميعاً طريق السعادة الحقيقية، وضمن لهم الوصول إليها، فيما إذا التزموا بالتعليمات التي بيّنها لهم بشكل تام، فلخّص

---

١. رواه في منية المريد عن الامام الرضا عليه السلام عن رسول الله ﷺ. وانظر تمام الحديث في تحف العقول في مواعظ النبي ﷺ وحكمه.

لهم طريق السعادة المتمثّل بالتمسّك بأصلين أساسيّين، لايُستغنى بأحدهما دون الآخر، وهما الثقلان: كتاب الله وعترته، فقال:

«أيّها الناس! إنّي فَرَطُكم، وأنتم واردون عليَّ الحوض. ألا وإنّي سائلكم عن الثّقلين، فانظروا: كيف تخلّفوني فيهما؟ فإنَّ اللّطيف الخبير نبّأني: أنّهما لن يفترقا حتّى يلقياني، وسألت ربّي عن ذلك فأعطانيه. ألا وإنّي قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لا تسبقوهم؛ فتَفَرَّقوا، ولا تقصّروا عنهم؛ فتهلكوا، ولا تعلّموهم؛ فإنّهم أعلم منكم.

أيّها الناس! لا أُلفينّكم بعدي كُفّاراً، يَضرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ، فتلقوني في كتيبة كمجرّ السيل الجرّار.

ألا وإنَّ عليّ بن أبي‌طالب أخي ووصيّي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن، كما قاتلتُ على تنزيله»[١].

مواعظ بليغة

وللرسول ﷺ ـ الذي سنّ للفصاحة نهجها ـ كلمات قصيرة، هي آيات فصاحته وبلاغته. وممّا جاء في إحدى مواعظه قوله :

«أيّها الناس! إنّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأوثقَ العرى كلمةُ التقوى، وخيرَ المللِ ملّةُ إبراهيم، وخيرَ السنَنِ سنّةُ محمّدٍ، وأشرفَ الحديثِ ذِكرُ الله، وأحسنَ القَصصِ القرآن، وخيرَ الأمور عزائمُها، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وأحسنَ الهدي هدي الأنبياء، وأشرفَ القتلِ قتلُ

---

١. ناسخ التواريخ، ج ٣، راجع تفصيل الخطبة في تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠٩.

الشهداء، وأعمى العمى الضلالةُ بَعدَ الهُدى، وخيرَ الأعمالِ ما نفع، وخيرَ الهُدى ما اتُّبع، وشرَّ العمى عمى القلبِ. واليدُ العُليا خيرٌ من اليدِ السّفلى، وما قَلَّ وكفى خيرٌ ممّا كثُر وألهىٰ.

وشَرُّ المعذرةِ حين يحضر الموتُ، وشرُّ الندامةِ ندامةُ يـومِ القـيامةِ، ومن أعظمِ خطايا اللسانِ الكذبُ.

وخيرُ الغنى غنى النَّفس، وخيرُ الزّادِ التّقوى، ورأسُ الحكمةِ مـخافةُ الله، وخيرُ ما أُلقي في القلبِ اليقينُ.

والمسكرُ منالنّار، والخمرُ جُماعُ الإثـم، والنّسـاءُ حـبالاتُ إبـليس، والشّبابُ شعبةٌ من الجنون، وشرُّ المكاسبِ الرّبا، وشرُّ المآكلِ أكلُ مالِ اليتيمِ.

والسّعيدُ من وُعِظَ بغيره، والشّقِيُّ من شَقِيَ في بَطنِ أُمّه، وإنّما يَصيرُ أحدُكم إلى موضِعِ أربع أذرع.

وملاكُ العملِ خواتِيمهُ، وكـلُّ ما هو آتٍ قريبٌ.

وسُبابُ المؤمنِ فُسوقٌ، وقتالُه كُفر، وأكلُ لحمه مَعصيةٌ، وحُرمَةُ مالهِ كحُرمَةِ دَمِه،

ومن يَستَغْفِرِ الله يغفِرْ له، ومن يَعفُ يَعفُ اللهُ عنه، ومن يصبر عـلى الرزية يعوّضه الله»[١]

١. البداية والنهاية، ج ٥، ص ١٣، طبعة دارالفكر.

الخلاصة

* يعتبر الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله النموذج الحي للكمال البشري، كما يُعدّ تراثه أغنى تراث بعد القرآن الكريم؛ فإنّه قد ارتوى من معين الوحي، حتّى أفاض على البشرية من كماله ما يكفي للسير بها قُدُماً نحو الكمال و قِمَمِه الشامخة.

* وقد اخترنا نماذج من فصيح بيانه وبليغ كلامه حول العقل والعلم وطريق السعادة والكمال، بمقدار ما ينير الدرب للسائرين. ولا يستغني طلّاب الحقيقة عن الوقوف عليها في مظانّها.

الأسئلة:

١ . ما هو العقل؟ وما هو دوره في حياة الإنسان؟

٢ . ماذا يتشعّب من العقل؟ وما هي الصفات التي لا تفارق العقل؟

٣ . من أين نطلب العلم؟ وما هي مراحل طلبه؟

٤ . ما هو دور العلم في حياة الإنسان؟

٥ . ما الثقلان؟ وما هي العلاقة بينهما؟

٦ . ما هي خصائص القرآن ومميّزاته؟

٧ . ما هو موقع أهل البيت عليهم السلام عند النبيّ صلى الله عليه وآله؟

الدرس ٩

قبس من حياة سيّد الأوصياء
أميرالمؤمنين عليبن أبيطالب عليه السلام

تمتد القيادة الهيّة بعد خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله في أوصيائه الاثني عشر من أهل بيته، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. وهم الأئمة الهداة الىٰ الحق، والخلفاء الراشدون الذين خلّفهم الرسول صلى الله عليه وآله مع القرآن الكريم، وأوصىٰ أمّته بالتمسك بهما معاً؛ لنيل الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

والإمام علي بن أبيطالب عليه السلام هو أوّل الأئمة الراشدين، وخلفاء الله تعالى وأُمنائه في أرضه. وقد نصّ على إمامته سيّد المرسلين[1]، بعد أن ربّاه في حجره، وحباه بعلمه وجميل صفاته ومكارم أخلاقه، وعرف منه انقياده للحق، وجهاده وتضحيته، وتفانيه في ذات الله، والحرص في الدفاع عن رسالة ربّه، فوطّد له الأمر، بأن أوضح للأُمة جدارته

---

١. أُنظر المراجعات للعلامة السيد عبدالحسين شرف الدين، المراجعة رقم ٢٠ و ٦٨.

واستحقاقه لمنصب الوصاية والقيادة منذ فجر الرسالة المباركة؛ اذ سبق جميع الصحابة في التسليم لرسالة الله، كما سبق عشيرته الأقربين في مؤازرة سيّد المرسلين[١]، والدفاع عنه طيلة العهد المكي[٢]، ونام في فراشه ليلة الهجرة وفداه بنفسه[٣]؛ مستبسلاً للدفاع عن الإسلام في كلّ سنوات المحنة[٤]، ومستسلماً لأوامر النبي ﷺ في كلّ مشهد وموقف.

نشأة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومراحل حياته

النسب الوضّاء

ولد الإمام عليّ ـ صلوات الله عليه ـ من أبوين كريمين طاهرين، لم تدنّسهما براثن الشرك وأرجاس الجاهلية.

قال الإمام عليّ عليه السلام: **«والله ماعبد أبي ولاجدّي عبدالمطّلب ولا هاشم ولاعبدُ مناف صنماً قطّ... كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام، متمسّكين به»[٥].**

فالأب أبوطالب (واسمه عبد مناف)، والجدّ عبد المطّلب (واسمه

---

١. تأريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٠٣، إحقاق الحقّ، ج ٤، ص ٥٨ ـ ٧٠، شواهد التنزيل، ج ١، ص ٤٢٠.

٢. المناقب (لابن شهر آشوب)، ج ٢، ص ٦٥، وأعيان الشيعة، ج ١ ص ٣٧٢.

٣. المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ٤، وبحار الأنوار، ج ١٩، ص ٢٨.

٤. شارك الإمام عليّ عليه السلام في جميع حروب النبيّ ﷺ إلّا تبوك راجع على سبيل المثال كتاب المناقب، ج ٢، ص ٨١ وقادتنا، ج ٢، ص ٧٨ ـ ١٤٨.

٥. أُنظر إيمان أبي طالب للسيّد فخّار بن معد الموسوي، والغدير (للأميني)، ج ٧، ص ٣٣٠.

شيبة الحمد)، وجدّ أبيه هاشم (واسمه عمرو) بن عبد مناف (واسمه المغيرة) بن قصي بن كلاب بن مرّة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وينتهي عدنان إلى إسماعيل الذبيح وإبراهيم الخليل عليهما السلام.

وأبوطالب هو أخو عبدالله، والد النبي صلى الله عليه وآله من أبيه وأُمّه. وقد كفل رسول الله صلى الله عليه وآله صغيراً، وقام بنصره كبيراً، وحامى عنه وذبّ عنه وحاطه، وتحمّل الأذىٰ في سبيله من مشركي قريش ومنعه منهم، ولقي لأجله عناءً عظيماً، وقاسى بلاءً شديداً، وصبر على نصره والقيام بأمره، حتّى أنّ قريشاً لم تطمع في رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ إذ كانت كاعّةً (عاجزة) عنه حتّى توفّي أبوطالب، ولم يؤمر صلى الله عليه وآله بالهجرة إلّا بعد وفاته.

وكان أبوطالب مسلماً، لا يجاهر بإسلامه ؛ إذ لو كان يجاهر به لما كان يمكنه ما أمكنه من نصر رسول الله صلى الله عليه وآله ، على أنّه قد أقرّ بصحّة نبوّته في شعره مراراً، مثل قوله:

ودعوتَني وعلمتُ أنّك صادقٌ ولقد صدقتَ وكنتَ قبلُ أميناً
ولقد عَلِمتُ بأنّ دينَ محمّدٍ من خير أديان البريّة ديناً[١]

وأُمُّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وهي أوّل هاشمية ولدت لهاشمي. وكان علي عليه السلام أصغر بنيها، وهم جعفر وعقيل وطالب. وأسلمت بعد عشرة من المسلمين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرمها ويعظّمها ويدعوها: «أمّي». وأوصت إليه حين حضرتها الوفاة، فقَبِلَ

١. أعيان الشيعة: ج ١، ص ٣٢٤.

وصيّتَها، وصلّىٰ عليها، ونزل في لحدها واضطجع فيه، بعد أن ألبسها قميصه، فقال له أصحابه: إنّا ما رأيناك صنعت يا رسول الله بأحد ما صنعت بها! فقال: «إنّه لم يكن أحد بعد أبي‌طالب أبرّ بي منها. إنّما ألبستها قميصي؛ لتُكسىٰ من حلل الجنّة، واضطجعت معها؛ ليهون عليها ضغطة القبر»[١].

وأضاف المفيد والطبرسي أنّ النبيّ ﷺ لقّنها الإقرار بولاية ابنها أميرالمؤمنين، كما اشتهرت به الرواية[٢]. وهي أوّل امرأة بايعت رسول الله ﷺ من النساء[٣].

ولادته المباركة

المشهور أنّه ولد بمكة في البيت الحرام، يوم الجمعة، الثالث عشر من شهر رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل[٤].

قال الحاكم النيسابوري: تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أميرالمؤمنين عليّ بن أبي‌طالب ـ كرّم الله وجهه ـ في جوف الكعبة[٥].

وقال المفيد وغيره: إنّه لم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله تعالى سواه؛ إكراماً من الله تعالى جلّ اسمه له بذلك، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم[٦].

---

١. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٣ ـ ١٤.
٢. الإرشاد. ج ١، ص ٥ وإعلام الورى، ج ١، ص ٣٠٦.
٣. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٣ ـ ١٤.
٤. الإرشاد، ج ١، ص ٥.
٥. المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ٤٨٣.
٦. الإرشاد، ج ١، ص ٥ والفصول المهمّة، ص ٣٠.

وجاء عن أمّ عمارة بنت عبادة: أنّ أبا طالب أخذ بيد فاطمة بنت أسد، وجاء بها إلى الكعبة، وقال لها: اجلسي على اسم الله، فطلقت طلقة واحدة، فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظّفاً، لم أرَ كحسن وجهه، فسمّاه عليّاً، وحمله النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى أدّاه إلى منزلها[١].

تسميته وألقابه

قال ابن أبي‌الحديد وغيره: إنّ اسمه الأوّل الّذي سمّته به أُمّه (حيدرة)، باسم أبيها أسدبن هاشم (والحيدرة: الأسد)، فغيّر أبوه اسمه، وسمّاه عليّاً[٢].

وكنّاه النبي صلى الله عليه وآله بأبي‌تراب، لمّا رآه ساجداًمعفّراً وجهه في التراب،[٣] وكانت أحب كناه إليه، وكان ابنه الحسن عليه السلام يدعوه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا الحسين، ويدعوه الحسين عليه السلام أبا الحسن، وكُنّي بأبي‌السبطين وأبي‌الريحانتين.

ولقّبه النبي صلى الله عليه وآله بأميرالمؤمنين، وخاطبه بذلك جلّة المهاجرين والأنصار[٤]. ولُقّب أيضاً بالمرتضىٰ، ووليّ الله، وحبيب الله، ووصيّ رسول الله، وخليفة رسول الله، وأسد الله، وسيف الله، وأخ الرسول، وسيّد العرب، وفتى قريش، وقسيم الجنّة، والنار، وباب مدينة العلم، وسيّد

---

١. كشف الغمّة، ج ١، ص ٥٩ و٦٠.
٢. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢، وكشف الغمّة، ج ١، ص ٦١.
٣. . إعلام الورى: ج ١، ص ٣٠٧ وشرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١١.
٤. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢، ١٣، ١٤٣.

المسلمين، ويعسوب المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، وإمام المتّقين، والصدّيق الأكبر.

وكانت شهرته بعد وفاة رسول الله ﷺ هي الوصيّ[١].

وقد اشتهر هذا اللقب له عليه السلام في الصدر الأوّل، وانتشر انتشاراً واسعاً، حتّى انعكس في كتب اللغة مثل لسان العرب وتاج العروس وغيرهما، وقد بذلت مدرسة الخلفاء جهوداً كبيرة لكتمان أخبار الوصية، وتأويل ما انتشر منها[٢].

تربيته ونشأته

لقد كان هناك اهتمام خاص ومبكّر من قبل الرسول الأعظم ﷺ بعلي بن أبي طالب عليه السلام ، اذ أحبّه حُبّاً شديداً، وقال لأُمّه: «اجعلي مهده بقرب فراشي». وكان ﷺ يلي أكثر تربيته، وكان يطهّر علياً في وقت غسله، ويوجره (يجعل في فمه) اللبن عند شربه، ويحرّك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ورقبته، ويقول: «هذا أخي ووليّ وناصري وصفيّي وذخري وكهفي وصهري ووصيّي وزوج كريمتي وأميني على وصيّتي وخليفتي». وكان يحمله دائماً، ويطوف به جبال مكّة وشعابها وأوديتها وفجاجها[٣].

وقد أوضح الإمام علي عليه السلام نفسه نشأته النموذجية، الّتي كانت تنطوي

---

١. المصدر نفسه.

٢. أُنظر معالم المدرستين، ج ١، ص ٢٩٥ ـ ٣٤٠، الطبعة الخامسة.

٣. كشف الغمة، ج ١، ص ٦٠.

على هذه المكرمات بأبلغ وجه، حيث قال في خطبته القاصعة: «... وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولدٌ، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويُمسُّني جسده، ويُشمّني عَرْفَه. وكان يمضغ الشيء ثمّ يُلقمنيه. وما وجد لي كذبةً في قول، ولا خَطلةً في فعلٍ.

لقد كُنتُ أتبعه اتّباع الفصيل أثَر أُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه عَلَماً، ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور كلّ سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيِس من عبادته، إنّك لتسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبيّ، ولكنّك لوزير، وإنّك لعلى خيرٍ»[١].

مراحل حياته

(١) من الولادة حتّى البعثة النبويّة المباركة، وهي عشر سنين.

(٢) ثم ثلاث عشرة سنة من البعثة إلى الهجرة.

(٣) ثم عشر سنوات حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

(٤) ثم خمس وعشرون سنة حتّى انتهاء خلافة عثمان.

(٥) ثم خمس سنوات تمثل مدّة حكومته عليه السلام.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

الخلاصة:

* لقد تفرّع علي بن أبي‌طالب من ذات الأصل الّذي تفرّع منه رسول الله ﷺ ، فكان نسبُه ونسب رسول الله ﷺ واحداً.

* ولقد تميّز علي عليه السلام عمّن سواه من الصحابة ؛ إذ لم يداخله من الشرك شيء قط. ثمّ اختص به رسول الله ﷺ ، وأخذ يلهمه معالم الحكمة الإلهية والعلم الربّاني ، ما لم يدركه غيره من الصحابة.

* أبدى عليّ عليه السلام الطاعة والانقياد التام لله ولرسوله ﷺ ، وتحلّىٰ بفضائل الأخلاق وبذل النفس والنفيس من أجل العقيدة الإسلامية.

* اختاره اللّه وصيّاً لرسوله ﷺ فقام بالوصاية خير قيام ، حتّى شهد له بذلك العدو قبل الصديق.

* حمل الإمام علي عليه السلام من شريف الأسماء وسموالألقاب ما يشير إلى الارتباط القوي بالله ، وسلامة العقيدة الإلهية ، ومكارم الأخلاق.

الأسئلة:

١ . ما هي المهمّة الّتي أوكلها رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام من بعده؟

٢ . بماذا امتاز الإمام علي عليه السلام على صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

٣ . كيف أصبح عليّ عليه السلام خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، دون غيره من الصحابة؟

٤ . ما هي العلاقة النسبية بين النبي محمّد صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام ؟

٥ . ما هي الكرامة الّتي فضّل الله بها الإمامَ علياً عليه السلام حين ولادته؟ اذكر الرواية ، مع ما يمكن أن تستنتج منها.

٦ . لماذا كانت كُنية أبي تراب أحبّ الكُنىٰ للإمام علي عليه السلام ؟

٧ . كم سنة أمضاها الإمام علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله ؟

الدرس ١٥

انطباعات عن شخصية الإمام علي بن أبي‌طالب عليه السلام

اجتمع للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من صفات الكمال، ومحمود الشمائل و الخلال، وسناء الحسب، وعظيم الشرف، مع الفطرة النقيّة، والنفس المرضيّة، ما لم يتهيّأ لغيره من أفذاذ الرجال.

إنّه اميرالمؤمنين، وسيّد الوصيّين، وأول خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله المهديّين، بأمر من الله تعالىٰ، ونصّ من رسوله صلى الله عليه وآله. وقد صرّح القرآن بعصمته وطهارته من كلّ رجس[1]. وباهَلَ رسول الله صلى الله عليه وآله نصارىٰ نجران به وبزوجته وبولديه[2]، كما اعتبره من القربىٰ الذين وجبت مودّتهم[3]، مصرّحاً غير مرّة بأنّهم عدل الكتاب المجيد[4]، حيث ينجو المتمسّك بهما ويتردّى المتخلّف عنهما.

عاصر الإمام عليّ‌بن أبي‌طالب عليه السلام حركة الوحي الرسالي، منذ بدايتها حتى انقطاع الوحي برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت له مواقفه المشرّفة، والتي يغبط عليها، في دفاعه عن الرسول والرسالة طيلة ثلاثة وعشرين

---

١. الاحزاب: ٣٣
٢. آل عمران: ٦١.
٣. الشورى: ٢٣.
٤. انظر حديث الثقلين في الدرس ٨.

عاماً من الجهاد المتواصل، والدفاع المستمر عن حريم الإسلام الحنيف. وقد انعكست مواقفه وإنجازاته وفضائله في آيات الذكر الحكيم، ونصوص الحديث النبويّ الشريف.

قال ابن عباس: قد نزلت ثلاثمائة آية في علي عليه السلام[١]، وما نزلت: ﴿يا أيّها الذين آمنوا﴾ إلّا وعليّ أميرها و شريفها[٢]، ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في آي من القرآن، وما ذكر عليّاً إلّا بخير[٣].

ولكثرة ما نزل في علي عليه السلام من الآيات المباركة، خصّص جمع من المتقدّمين و المتأخّرين كتباً، جمعت ما نزل فيه عليه السلام. ونشير هنا إلى بعض الآيات التي صرّح المحدّثون بنزولها في حقّه، منها:

١ . ما عن ابن‌عباس: أنه كان مع عليّ‌بن‌أبي طالب أربعة دراهم لايملك غيرها، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانيةً، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربّهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[٤].

٢ . وعن ابن عباس أيضاً: أنّ عليّاً عليه السلام تصدّق بخاتمه وهو راكع، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكع، فأنزل الله: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٥].

---

١. الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٥١٦. تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٢٢١، الصواعق المحرقة، ٧٦. راجع: شواهد التنزيل، ونور الابصار، ٨٧ ـ ٩٠.

٢. كشف الغمة، ٩٣. ٣. ينابيع المودة، ٩٣.

٤. البقرة (٢): ٢٧٤. وراجع: ينابيع المودّة، ٩٢.

٥. المائدة: ٥٥. وراجع: تفسير الطبري، ج ٦، ص ١٥٦ والبيضاوي وغيرهما.

٣ . لقد اعتبرت آية التطهير(١) عليّاً عليه السلام من أهل بيت الوحي المطهّرين من كلّ رجس، كما اعتبرته آية المباهلة(٢) نفس النبي صلى الله عليه وآله.

٤ . أمّا سورة الإنسان فقد أشارت إلى إخلاص عليّ وأهل بيته عليهم السلام، وخشيتهم من الله، وتضمّنت أيضاً الشهادة الربّانية لهم بأنّهم من أهل الجنّة(٣).

وقد عقد أرباب الصحاح وغيرهم من المحدّثين فصولاً خاصّة بفضائل الإمام عليّ عليه السلام في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله. ولم تعرف الإنسانية في تأريخها الطويل رجلاً أفضل من عليّ عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يسجّل لأحد من الفضائل ما سجّل لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، على الرغم من كلّ ما وجهه الأعداء والمنافقون إليه من سبٍّ وشتم على المنابر، طوال حكم بني أُميّة، وهم في صدد الانتقاص منه، حتى لم يجدوا للعيب موضعاً فيه. ومما قاله عمر بن الخطّاب: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل عليّ، يهدي صاحبه إلى الهدىٰ ويردّه عن الردّىٰ»(٤).

و قيل لعليّ عليه السلام: ما لك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً؟ فقال: «إنّي كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكتّ ابتدأني»(٥).

وعن ابن عمر: أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله يوم آخىٰ بين أصحابه، وجاء عليّ وعيناه ندمعان قال صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»(٦).

---

١. الاحزاب: ٣٣. وراجع: صحيح مسلم، فضائل الصحابة.
٢. آل عمران: ٦١، صحيح الترمذی، ج ٢، ص ٣٠٠.
٣. راجع: الكشّاف للزمخشري، والطبري في الرياض النضرة، ج ٢، ص ٢٠٧.
٤. الرياض النضرة، ج ١، ص ١٦٦.
٥. طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٣٣٨، وحلية الأولياء، ج ١، ص ٦٨.
٦. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٥٩٥ الحديث ٣٧٢٠.

وعن أبي ليلىٰ الغفاري أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبيطالب؛ فإنّه أوّل من آمن بي، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمة، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين»[١].

واعترف الخلفاء جميعاً بأنّ عليّاً أعلم الصحابة وأقضاهم، وأنّه لولا عليّ لهلكوا، حتى صارت مقولة عمر مضرب الأمثال: ـ لولا علي لهلك عمرـ[٢].

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب.

ولمّا بلغ معاوية مقتل عليّ ؛ قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابنأبي طالب[٣].

وقال الشعبي: كان عليّبن أبي طالب في هذه الأمة مثل المسيح بن مريم في بنياسرائيل: أحبّه قوم فكفروا في حبّه، وأبغضه قوم فكفروا في بغضه[٤].

وكان أسخى الناس، وكان على الخُلُق الذي يحبّه الله في السخاء والجود، وما قال: «لا» لسائل قطّ[٥].

---

١. الاصابة لابن حجر، ج ٤، ص ١٧١ الرقم ٩٩٤، ومجمع الزوائد، ج ١، ص ١٠٢.
٢. شرح نهجالبلاغة، ج ١، ص ٦، وتذكرة الخواص، ص ٨٧.
٣. الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٤٥.
٤. العقد الفريد، ج ٢، ص ٢١٦.
٥. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٧.

وقال صعصعة بن صوحان لعليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم بويع: والله يا أميرالمؤمنين، لقد زيّنتَ الخلافة وما زانتك، ورفعتَها وما رفَعْتك، ولَهي إليك أحوج منها إليك.

وعن ابن شبرمة: أنّه ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: «سلوني» غير علي بن أبي طالب[١].

وقام القعقاع بن زرارة على قبره، فقال: رضوان الله عليك يا أميرالمؤمنين؛ فوالله لقدكانت حياتك مفتاح الخير، ولو أنّ الناس قبلوك لأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، ولكنّهم غمطوا النعمة، وآثروا الدنيا[٢].

١. أعيان الشيعة، ج ٣، القسم ١، ص١٠٣.

٢. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٣.

الخلاصة:

* لقد تفرّد الامام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بخصال وخصائص، ميّزته عن سائر الصحابة، وفرضت تقدّمه على سائر أقرانه من الصحابة وغيرهم. والآيات القرآنية زاخرة بهذه الفضائل المتميّزة، كما أشارت نصوص الرّسول صلى الله عليه وآله أيضاً إلى ماامتاز به عليٌّ على من سواه.

* وتأتي شهادات الصحابة والتابعين كذلك لتشير إلى عمق الوجود العلوي في وجدان الأُمة على الرغم من عدم انقياد عددٍ كبيرٍ منهم لإمامة هذه الشخصيّة العظيمة.

الأسئلة:

١. اذكر معالم شخصية الإمام عليه السلام في مجالات: العلم والفقه والإيمان والشجاعة والجرأة والقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله والقضاء والهيبة والوقار والزهد، علىٰ ضوء انطباعات الآخرين عنه.

٢. هل تستطيع أن تصوّر أثر شخصية الإمام عليه السلام في مسيرة الدعوة الإسلامية، من خلال آراء الآخرين عنه؟

٣. إذا كانت كلّ الآراء والأفكار تمجّد الإمام عليه السلام، فلماذا لم يُعطَ حقّه؟

٤. اذكر ثلاثة نصوص قرآنية، تشير إلى جملة من فضائل وخصائص الإمام علي عليه السلام.

٥. اذكر ثلاثة أحاديث نبويّة مشهورة، تشيد بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

الدرس ١١

من فضائل الإمام عليّ عليه السلام ومظاهر شخصيّته (١)

١ : الانقياد للحقّ

اتّسمت شخصيّة الإمام علي بن أبي‌طالب عليه السلام بسمة بارزة، هي ملتقى صفاته جميعاً، ومحور كلّ كمالاته، ألا وهي الانقياد للحقّ حيث كان وأنّىٰ كان.

وتَمَثَّل انقياده للحقّ في الحقبة الأُولى من حياته بالطاعة المطلقة لأوامر الله ورسوله، والتضحية الدائمة، والتفاني المستمر في أهداف الرسالة وقيادتها المعصومة، والتأسّي التام بالنبيّ الرائد، والتبنّي الكامل لجميع مشاريع هذه القيادة الرشيدة.

ولهذا استحقّ أن يكون خليفةً للرسول صلى الله عليه وآله، ونائباً وفيّاً، وأميناً مخلصاً، في تحقيق أهداف الرسول صلى الله عليه وآله ومقاصد الرسالة؛ إذ تمثّلت كمالات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في شخص عليّ عليه السلام خير تمثيل.

٢ : عبادته عليه السلام

قال عليه السلام: «إنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»[١].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي، واصفاً عبادة الإمام عليه السلام: كان أعبد الناس، وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة. وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على وِرده أن يُبْسَط له نِطَعٌ[٢] بين الصفّين ليلة الهرير، فيصلّي عليه وِرْدَه، والسهام تقع بين يديه، وتمرّ على صِماخيهِ[٣] يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته! وما ظنّك برجل كانت جبهته كثَفِنَة البعير[٤]، لطول سجوده!.

وأنت إذا تأمّلت دعواتِه ومناجاتِه، ووقفتَ على ما فيها، من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزّته، والاستخذاء[٥] له، عرفتَ ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أيّ قلبٍ خرجتْ، وعلى أيّ لسان جرت.

٣. زهده عليه السلام

روى هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلتُ على الإمام عليّ بالخورنق، وكان الفصل شتاء، وعليه خلق قطيفة، وهو يرعد فيه، فقلت:

---

١. نهج البلاغة، قصار الحكم ٢٣٧.
٢. بساط من الجلد.
٣. أذنيه.
٤. اشارة إلى غلظتها.
٥. الخضوع والإنقياد.

يا أميرالمؤمنين! إنّ الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً، وأنت تفعل ذلك بنفسك؟ فقال: «والله ما أرزؤكم[١] شيئاً، وما هي إلّا قطيفتي الّتي أخرجتُها من المدينة»[٢].

وسُمع عليٌّ عليه السلام يقول على المنبر: «مَن يشتري منّي سيفي هذا؟ فلو كان عندي ثمن إزارٍ ما بعته» . فقام إليه رجلٌ فقال: أسلفك ثمن إزار[٣].

وأتى أحدهم عليّاً بطعامٍ نفيسٍ حلو، يقال له الفالوذج، فلم يأكله عليّ، ونظر إليه وهو يقول: «والله إنّك لطيّب الريح، حسن اللون، طيّب الطعم، ولكن أكره أن أُعوّد نفسي ما لم تعتدْ»[٤].

والمشهور أيضاً أَن عليّاً لم يبنِ آجرة على آجُرَّة، ولالبنة على لَبِنة ولا قصبة على قصبة، كما أنه أبى أن يسكن قصر الإمارة، الّذي كان معدّاً له بالكوفة.

ووصف ابن أبيالحديد زهد الإمام عليه السلام قائلاً: ما شبعَ من طعام قطّ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً. وكان يقول: «لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان»[٥]

٤ . مروءته وحلمه عليه السلام

قال ابن أبيالحديد: وأمّا الحلم والصفح فكان أحلم الناس عن ذَنْب، وأصفحَهم عن مسيء. وقد ظهر ذلك يوم الجمل؛ حيث ظفر بمروان بن

---

١. أي: ما أصبت منكم.

٢. حلية الأولياء، ص ٨٢، والكامل في التأريخ، ج ٢، ص ٤٤٢.

٣. المناقب (للخوارزمي)، ص ٦٩، وكشف الغمة، ج ١، ص ٢٣٢.

٤. تذكرة الخواص، ص ١١٥.

٥. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٦.

الحكم ـ وكان أعدى الناس له، وأشدَّهم بغضاً ـ فصفح عنه[١].

وحاربه أهل البصرة، وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وشتموه، فلمّا ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: ألا لا يُتبَع مُوَلٍّ، ولا يُجهَزُ على جريح، ولا يُقتَل مستأسر، ومَنْ ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن.

ولم يأخذ أثقالَهم، ولا سبى ذراريَّهم، ولا غَنِمَ شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل، ولكنّه أبى إلّا الصفح والعفو.

ولمّا ملك عسكر معاوية عليه الماء، وأحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم عليّ عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شِرْبَ الماء، فقالوا: لا والله، ولا قطرة حتّى تموت ظمأً كما مات ابن عفّان. فلمّا رأى عليه السلام أنّه الموتُ لا محالَة تقدّم بأصحابه، وحمل على عساكر معاوية حَمَلات كثيفة، حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتلٍ ذَريع، سقطت منه الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة، لا ماء لهم. فقال له أصحابه وشيعتُه: امنعهم الماء يا أميرالمؤمنين كما منعوك، ولا تَسقِهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي، فلا حاجة لك إلى الحرب. فقال: لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم. افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يُغني عن ذلك. فهذه إن نَسَبْتَها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالاً وحسناً، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلِقْ بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام![٢]

---

١. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٢.
٢. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٣.

٥ . فروسية الإمام وشجاعته

قال ابن أبي‌الحديد عن شجاعة الإمام عليه السلام : إنّه أنسى الناس فيها ذكر مَنْ كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماتُه في الحرب مشهورة، يُضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة. وهو الشجاع الّذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلّا قتله، ولا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت الأُولى إلى ثانية، وفي الحديث: «كانَتْ ضَرَباته وتراً»[١].

ولمّا دعا عليه السلام معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلّا اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي‌الحسن؟ وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرِق! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي![٢]

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، قالت أُخت عمروبن عبدوَدّ ترثي أخاها:

لو كان قاتلُ عمرٍو غيرَ قاتِلِهِ ... بكيتُه أبداً ما دُمْتُ في الأبدِ[٣]
لكنَّ قاتِلَهُ من لا نظير له ... وكان يُدعَى أبوه بيضة البلَدِ[٤]

---

١. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٠، تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم.

٢. المصدر السابق.

٣. من أبيات ذكرها صاحب اللسان، ج ٨، ص ٣٩٥، وروايته:

لو كان قاتل عمرٍو غير قاتِله ... بكيتُه ما أقام الرُّوح في جسدي
لكنّ قاتِلَه من لا يُعابُ بِهِ ... وكانَ يُدعى قديماً بيضة البَلدِ

٤. بيضة البلد، يريد عليّ أبي‌طالب، أي أنّه فرد ليس مثله في الشرف كالبيضة الّتي هي تريكة وحدها، ليس معها غيرها.

وقال ابن‌قتيبة: ما صارعَ أحداً قطّ إلّا صرعه[١]. وهو الّذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عُصبة من الناس ليقلِبوه فلم يقلبوه، وهو الّذي اقتلع هُبَلَ من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جدّاً، وألقاه إلى الأرض، وهو الّذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيّام خلافته عليه‌السلام بيده، بعد عجز الجيش كلّه عنها، وأنبط[٢] الماء من تحتها[٣].

٦. التورّع عن الظلم والبغي

كان عليّ عليه‌السلام ـ مع قوّته البالغة وشجاعته النادرة ـ يتورّع عن الظلم والبغي مهما كانت الظروف؛ فقد أجمع المؤرخون على أن عليّاً عليه‌السلام كان يأنف القتال إلّا إذا حُملَ عليه حملاً. لذا كان يسعى إلىٰ تسوية الأُمور مع خصومه ومن يبادره بالعداوة بالطُرَف السليمة التي تحقن الدم، وتحول دون النِزال. وكان يردّد على أسماع ابنه الحسن عليه‌السلام: «لا تدعوَنّ إلى مبارزة»[٤].

ولمّا كان قول الإمام لا يخرج إلّا عن معدن صافٍ، فقد طالما عمل بوصيّته هذه، وعفّ عن القتال إلّا مكرَهاً. فمن ذلك: لما أخذ جنود الخوارج يعدّون العدّة ليحاربوه، ونصحه أحدهم بأن يبادرهم قبل أن يبادروه، أجاب قائلاً: «لا أُقاتلهم حتّى يقاتلوني»[٥].

---

١. المعارف، ص ٢١٠.
٢. أنبط: فجّرَ.
٣. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢١.
٤. نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة ٢٣٣.
٥. أُنظر عبقريّة الإمام عليّ عليه‌السلام (لعبّاس محمود العقّاد)، ص ١٨.

الخلاصة:

* حين نطالع صفحات من شخصية الإمام علي عليه السلام فانما نشير بقدر ما تدركه عقولنا، من استيعاب لدور هذا الإمام المعصوم في الحياة؛ فلقد عجزت العقول عن إدراك عظمة هذا الإنسان، فتاهت في الإفراط تارةً، فأشركت، كما تاهت في التفريط أُخرىٰ، فأبغضت وارتدّت.

* كان الإمام علي عليه السلام من أعبد الناس، وما قوي على عبادته أحد، ولكنه جسّد العلاقة النموذجية للعبد بخالقه، بأداء المناسك على أتمّ وجه، ومارس العبادة سلوكاً يومياً، ومنهاجاً تربوياً، يبني الإنسان الربّاني، ويشيد الحضارة الاسلاميّة الفريدة.

* عاش الإمام عليه السلام زاهداً في كلّ ملذّات الدنيا الزائلة؛ لأنّه أدرك مغزىٰ الدنيا ومغزى الزهد فيها، فأدرك الفيض الربّاني، الّذي لا يوازيه فيض ونعيم.

* تعامل الإمام عليه السلام مع كلّ أعدائه من موقع الرفعة والمروءة، ومنطق العقل والإيمان راجياً، صلاح الأمّة وتجنّب الفتن، مبتغياً إيقاظ الضمير في النفوس المريضة، فعفا وصفح وحلم، وتناسىٰ الإساءَة والمعاملة بالمثل، وإن كانت حقّاً ثابتاً له.

* لم يعرف التأريخ مدافعاً صُلْباً عن العقيدة الإلهية السامية كعليّ عليه السلام، فقد كان مقداماً شجاعاً، ذا يقين لا يتزعزع، وذا بأس لا يلين، وذا قلب لا يعرف الخوف، فضرب للعالم أجمع أجلّ صور البطولة والشجاعة في ساحات الحرب، وتنفيذالمهمّات الصعبة.

* وكان التورّع عن الاعتداء أصلاً من أُصول منهج الإمام علي عليه السلام في الحياة.

الأسئلة:

١. ما هي أهم صفة اتّسم بها الامام علي عليه السلام؟

٢. كيف تصوّر شخصية الإمام علي عليه السلام من خلال تعامله مع الرسول صلى الله عليه وآله؟ وما هي آثار ذلك التعامل؟

٣. كيف كانت العبادة عند الإمام علي عليه السلام؟

٤. لماذا كان الإمام علي عليه السلام يزهد في الدنيا مع ما له من حقّ فيها؟

٥. بماذا اختلف عن غيره من الزهّاد؟

٦. اذكر نموذجين من صفح الامام عليه السلام وحلمه.

الدرس ١٢

من فضائل الإمام عليّ عليه السلام ومظاهر شخصيته (٢)

٧: الوفاء عند الإمام علي عليه السلام

ما كان لعليّ أن يختار الصداقة على العداوة لولا ذلك الفيض العظيم من الوفاء والحنان، تزخر به نفسه، ويطغى على جنانه.

فمن ذلك: ما رواه الثقات من المخبرين أنصاراً وأخصاماً، من أنّ الزبير وطلحة لمّا ألحّا في حربه، وإنكار بيعته، والتجنّي عليه في موقعة الجمل المشهورة، خرج عليّ عليه السلام إليهما حاسراً، لا يحتمي بدرعٍ ولا بسلاح، تدليلاً على نوايا السلم الّتي يُضمرها، ونادى: يا زبير! اخرج إليّ. فخرج الزبير إليه مدجّجاً بالسلاح. وسمعتْ عائشة ذلك فصاحت: واحرباه، ذلك لأنّها لم يخالجها أقلّ شك في أن الزبير لا محالة مقتول؛ فخصمُ عليّ مقضيّ عليه بالموت إذا نازله، مهما كان حظّه من الشجاعة عظيماً، ومهما كانت خبرته بالقتال فائقة.

ولشدّ ما دهشتْ عائشة ومَنْ حولها، وهم يرون عليّ بن أبي‌طالب

يعانق الزبير! عانقه طويلاً؛ لأنّ أسباب المودّة لا تنقطع في القلب الكبير!

أخذ عليّ عليه السلام يسأل الزبير بلهجة الصداقة القديمة: «ويحك يا زبير! ما الّذي أخرجَك»؟ قال: «دم عثمان!» قال: «قَتَلَ الله أولانا بدم عثمان». وجعلَ عليّ يذكّره العهود والصداقات، وأيام الأُخوّة السالفات! وربّما بكىٰ عليّ في مثل هذا الموقف، ولكن الزبير استمر في قتال الإمام حتّى صُرع. وكان مصرعه على كرهٍ من راعي المودّات، عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام[١].

٨: رفق عليّ عليه السلام

قال الإمام عليّ عليه السلام «والله لو أُعطيتُ الأقاليم السبعة، بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملةٍ، أسلبُها جُلبَ شعيرةٍ ما فعلتُ. وإنّ دنياكم عندي لأهونُ من ورقةٍ في فم جرادة!»[٢]

أوَليس عليّ عليه السلام صاحب العهد الرائع إلى الأشتر النخعي، عامله على مصر وأعمالها، وفيه يقول: «ولا تكونَنّ عليهم سبعاً ضارياً، تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق. أعطِهم من عفوك وصفحكَ مثل الّذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه. ولا تندمنّ على عفوٍ ولا تبجَحَنّ بعقوبة.» ثم يقول له: «وامنع من الاحتكار»[٣]. لقد كان تشديد عليّ عليه السلام في منع الاحتكار من الأسباب البعيدة التي أدّت إلى ما كان من أمره مع معاوية وأنصاره؛ فهؤلاء يريدون الملك والمال والمغانم لأنفسهم، وعليّ يريدها جميعاً للشعب.

---

١. انظر مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٧٠، قادتنا، ج ٢ ص ١٧٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

٣. نهج البلاغة، الكتاب، ٥٣.

وبلغ عليّ من الرفق بالناس وطلب العذر لهم عمّا يفعلون، أن حاربه أهل البصرة، وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وسبّوه ولعنوه، فلمّا ظفر بهم رفعَ السيف عنهم، وأدخلهم في أمانه. ومن ذلك أيضاً: أنّه أوصى خيراً بقاتله الأثيم، ابن ملجم.

٩ : عدل عليّ عليه السلام

ليس غريباً أن يكون عليٌّ عليه السلام أعدل الناس، بل الغريب أن لايكون كذلك!

ومما يُحكى من عدله، أنّه وجد درعه عند رجل مسيحي من عامّة الناس، فأقبل به إلى أحد القضاة، واسمه شريح؛ ليخاصمه ويقاضيه. ولمّا كان الرجلان أمام القاضي قال عليّ عليه السلام: إنّها درعي، ولم أبعْ ولم أهَبْ! فسأل القاضي الرجل المسيحي: ما تقول فيما يقول أميرالمؤمنين؟ فقال: ما الدرع إلّا درعي، وما أميرالمؤمنين عندي بكاذب!

وهنا التفت القاضي شريح إلى عليّ يسأله: هل من بيّنة تشهد أنَّ هذا الدرع لك؟ فضحك عليّ عليه السلام وقال: أصاب شريح؛ ما لي بيّنة! فقضى شريح بالدرع للرجل المسيحي، فأخذها ومشى، وأميرالمؤمنين ينظر إليه! إلّا أنّ الرجل لم يخطُ خطوات قلائل، حتّى عاد يقول: أمّا أنا فأشهد أنّ هذه أحكام الأنبياء عليهم السلام! أميرالمؤمنين يدينني إلى قاضٍ يقضي عليه! ثم قال: الدرع ـ والله ـ درعك يا أميرالمؤمنين، وقد كنتُ كاذباً فيما ادّعيتُ. وبعد زمنٍ رأىٰ الناس هذا الرجل إلى جانب الإمام علي عليه السلام، وهو من أصدق

الجنود له، وأشدّ الأبطال، بأساً وبلاءً في قتال الخوارج يوم النهروان[١].

ووصايا الإمام عليه السلام ورسائله إلى الولاة تكاد تدور حول محور واحد، هو: العدل. وما تواطأ الناس عليه ـ أباعد وأقارب ـ إلّا لأنّه ميزان العدالة، الّذي لا يميل إلى قريب، ولا يساير نافذاً، ولا يجوز فيه إلّا الحق. أمّا عثمان بن عفّان، الذي وليّ أمر المسلمين قبله، فقد أطلق أيدي الأقارب والأعوان والصحابة في كلّ مورد من موارد الجاه والثروة؛ منقاداً بذلك إلى آراء بطانة السوء، وكان مروان أشدّهم تأثيراً عليه.

فلمّا صارت الخلافة إلىٰ الإمام علي عليه السلام أبىٰ إلّا أن يعدل فيهم، فعزل منهم من عزل، وأبعد عن السلطان والاحتكار من أبعد. كما حارب كلّ من تحدِّثه نفسه بأن يحوّل الرسالة عن مجاريها الطبيعية العادلة، لتصبّ في بيته مالاً وسلطاناً وجاهاً. وطالما ردّد علىٰ أسماع هؤلاء قوله الرائع: «إنّي لعالم بما يصلحكم، ويقيم أوَدَكم، ولكني لا أرىٰ إصلاحكم بإفساد نفسي!»[٢].

١٠: الكرم والسخاء عند الإمام علي عليه السلام

كان عليّ عليه السلام أسخى الناس وأجودهم كفّاً؛ إذ كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده ويبقىٰ جائعاً. وفيه وفي أهل بيته عليهم السلام نزل قوله تعالى: ﴿ويُطْعِمُون الطعام على حبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ۞ إنّما نُطعمكم لوجه الله لا نُريدُ منكم جزاءً ولا شُكوراً﴾[٣].

---

١. تأريخ الخلفاء، ص ١٨٤، والكامل في التأريخ، ج ٣، ص ٤٠١.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٦٩.

٣. الإنسان: ٨ ـ ٩.

وروى المفسّرون أيضاً أنه لم يكن يملك إلّا أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية، فأُنزل فيه: ﴿الّذين يُنفقون أموالهم باللّيلِ والنّهارِ سِرّاً وعلانيةً﴾[1].

وروي عنه أنّه كان يَسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة، حتّى مَجَلَت يده، وكان يتصدّق بالأُجرة، ويشدُّ على بطنه حجَراً.

١١ : الصدق والإخلاص عند علي عليه السلام

بلغ به الصدق مبلغاً أضاع به الخلافة. ولو رضي عن الصدق بديلاً في بعض أحواله لما نال منه عدوّ، ولا انقلب عليه صديق.

وقد اجتمع إليه مرّةً كبار المهاجرين؛ يريدون إقناعه بمسايرة معاوية، إلى أن يستتب له الأمر فيقصيه حينئذٍ، فخالفهم جميعاً ؛ مترفّعاً عن الحيلة.

وقد جاءه المغيرة بن شعبة بعد مبايعته بالخلافة، وهو من ذوي الحُنْكة والحيلة والمداراة، فقال له: إنّ لك حقّ الطاعة والنصيحة، وإنّ الرأي اليوم تحرزُ به ما في غد، وإن الضياع اليوم تُضيّعُ به ما في غد. أقرِرْ معاوية على عمله، وأقرِرْ ابن عامر على عمله، وأقرر العمّال على أعمالهم، حتّى إذا أتتك طاعتهم وبيعة جنودهم استبدلتَ أو تركت.

فصمتَ عليّ عليه السلام غير طويل، ثمّ أعلن إباءَه عن الحيلة قائلاً: «لا أُداهن في ديني، ولا أُعطي الدنيّة في أمري»[2].

ولمّا ظهرت حيلة معاوية أطلق الإمام عليّ هذه العبارة، الّتي تصح أن

---

١. البقرة: ٢٧٤.

٢. مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

تكون مثلاً للخلق العظيم؛ إذ يقول: «والله ما معاوية بأدهىٰ منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهة الغدر لكنتُ من أدهى الناس»[١].

ومن قوله في التشديد على ضرورة الصدق مهما اختلفت الظروف: «علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك، على الكذب حيث ينفعك»[٢].

١٢ : الثقة بالنفس عند الإمام علي عليه السلام

لقد اقترنت كلّ هذه الصفات النبيلة بالثقة بالنفس، الّتي عُرف بها الإمام عليه السلام، بل إن الثقة شيء ملازمٌ بالضرورة لهذه الخصائص. فالإمام يعمل وهو مطمئن إلى نُبل العمل وصراحة الحقّ فيه. وليس تصدّيه لفارس الجزيرة، عمرو بن عبدودّ ـ والنبي وأصحابه يحذّرونه منه ـ إلّا شاهداً على هذه الثقة بالحق والشجاعة الّذين تمتلئ بهما نفسه.

وأمّا خروجه إلى الصلاة دون أن يصطحب من يقيه خطر الأعداء، وهم كثرٌ حواليه، حتّى أدركه ابن ملجم وضربه بالسيف المسموم أفلا يُعدّ شاهداً على الثقة بالحق الّذي تفيض به جوارحه وسيرته كلّها؟

وبهذه الثقة الرائعة يقول لسهل بن حنيف الأنصاري، عامله على المدينة، عندما علم أنّ قوماً من أهلها لحقوا بمعاوية: «أما بعد، فقدبلغني أنّ رجالاً ممّن قبلك يتسلّلون إلى معاوية، فلاتأسفْ على مايفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم؛ إنّهم ـ واللهِ ـ لم ينفروا من جورٍ، ولم يلحقوا بعدل!»[٣].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٠.
٢. نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٨.
٣. نهج البلاغة، الكتاب، رقم ٧٠.

الخلاصة:

* عاطفة الوفاء عند الإمام عاطفة عميقة، كانت تعمر قلبه، وتظهر على تعامله وسلوكه حتّى مع خصومه؛ راجياً بذلك هداية الضالين منهم، والمنحرفين عن سواء السبيل.

* أمّا العدل فلو تمثّل رجلاً لكان علي بن أبي طالب عليه السلام دون غيره. لقد كان عليه السلام القوة الضاربة لتطبيق العدل بالسوية، وما كان إلّا الخبير العالم بالإنسان والمجتمع والقانون الإلهي، فما حاد أنملة عن الحقّ والعدل في الحياة بكل صورها وأبعادها.

* إنّ كلّ شيء في شخصية الإمام علي عليه السلام متكامل مترابط؛ إذ لانجد أيّ تفاوت بين مظاهر شخصيته الشريفة، ولذا كان بحقّ آية من آيات الله، ونموذج الأُسوة الحسنة للبشرية جمعاء في الطاعة لله، وتجسيد العقيدة الإلهية، فكراً وسلوكاً وعاطفة، فهو النموذج الرائع للحاكم الفذّ والمحكوم المطيع، والصورة الوضّاءة للإخلاص والطاعة والعبودية وقوّة الحق.

* كان الإمام علي عليه السلام أسخىٰ الناس، وأجودهم كفّاً، وأعلاهم كرماً، كما تميّز بسلامة القلب، والبعد عن الحقد حتّى على ألدّ أعدائه، ولم يرضَ عن الصدق بديلاً في أقواله وأفعاله. وقد اقترنت كلّ هذه الفضائل بالثقة بالحقّ في أعلى درجاته.

* وتميّز ابن أبي طالب عليه السلام بالجهاد المتواصل في كلّ مراحل حياته، إلى جانب سجاحة الخُلُق، ودقّة الرأي وسداد النظر، وسطوع البيان، وسرعة البديهة، و قوّة العارضة. لذا كان القائد الألمعي، و المثل الأعلى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ كمال ومكرُمة.

الأسئلة:

١ . اذكر صوراً من وفاء الإمام عليّ عليه السلام.

٢ . استشهد بثلاث كلمات تصورّ رفق الإمام عليّ عليه السلام.

٣ . ما هي العلاقة بين العدل و بين الإمام عليّ عليه السلام؟

٤ . لماذا كان الإمام عليّ عليه السلام ـ مع قلّة ذات يده ـ أسخى الناس؟

٥ . ما هي العلاقة بين صدق علي عليه السلام وإخلاصه؟

٦ . اذكر صورتين من صور الثقة العالية للإمام علي عليه السلام بنفسه.

الدرس ١٣

من تراث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (١)

لا نكاد نجد تراثاً موسوعيّاً خصباً ومتكاملاً ومعروفاً ـ بعد تراث الرسول صلى الله عليه وآله ـ كالتراث الّذي خلّفه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في ما عرف «بنهج البلاغة» أوّلاً، و«غرر الحكم ودرر الكلم» ثانياً.

والمعاجم الموضوعيّة لكلّ من هذين الكتابين النفيسين تقدّم لنا صورة مضيئة وناصعة عن موسوعيّة هذا التراث، وعظمته، وعُمقه، وشموليّته لمختلف جوانب الحياة الفرديّة والاجتماعيّة. وقد اخترنا موضوعين مهمّين مرتبطين بالفرد والمجتمع من هذا التراث العظيم.

حقيقة السعادة والشقاء

١ . «الآخرة فوز السعداء».

٢ . «عند العرض على الله تتحقّق السعادة من الشقاء».

٣ . «حلاوة الآخرة تُذهِب مضاضة شقاء الدُّنيا».

مَن هو السعيد؟

١ . «السعيد مَنْ خافَ العِقاب فآمن، ورَجا الثواب فأحْسَنَ».

٢ . «كفىٰ بالمرء سعادةً أن يوثق به في أُمور الدين والدُّنيا».

٣ . «ما أعظم سعادة من بوشر قلبه ببرد اليقين».

٤ . «ما سعد مَن شَقِي إخوانُه».

٥ . «السعيد من استهانَ بالمفقود».

موجبات السعادة

١ . التعقّل والمعرفة

أ ـ «مَن قاتَل جهلَه بعلمه فاز بالحظّ الأسعد».

ب ـ «من عرف الله سبحانه لم يَشْقَ أبداً».

٢ . اخلاص الطاعة لله

أ ـ «من أطاعَ الله لم يَشْقَ أبداً».

ب ـ «لا يسعد امرؤٌ إلّا بطاعة الله سبحانه».

ج ـ «السعيد مَن أخلص الطاعة».

د ـ «بادر الطاعةَ تَسْعَدْ».

هـ ـ «لا يسعد أحد إلّا بإقامة حدود الله».

و ـ «سهرُ الليل في طاعة الله ربيعُ الأولياء وروضة السعداء».

ز ـ «سهر العيون بذكر الله فرصة السعداء ونزهة الأولياء».

٣. الجدّ في إصلاح النفس

«من أَجْهَدَ نفسه في صلاحِها سعد».

«إنّ النفس، الّتي تجهد في اقتناء الرغائب الباقية، لَتُدْرِكُ طَلَبَها، وتَسعَدُ في مُنْقَلَبِها».

٤. الجهاد في سبيل الله

«الجهادُ عماد الدين ومنهاجُ السُّعداء».

٥. العزوف عن الدنيا الفانية

«إنّ الدنيا تُعطىٰ وتُرتَجَعُ... يَعرض عنها السُعَداء، ويرغب فيها الأشقياء».

«إنّ السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم».

«اِعزف عن الدنيا تسعَد بمنقلبِك، وتصلح مثواك».

«إن كنتم للنعيم طالبين فاعتقوا أَنْفسَكم من دار الشقاء».

٦. حُسْن الاستعداد للموت

«اِحذر الموت، وأحسِن له الاستعداد تَسعَد بمنقلبك».

«في الموت راحةُ السُّعداء».

٧. محاسبة النفس

«من حاسب نفسه سعد».

٨. تدارك التضييع

«تدارك في آخر عمرِك ما أَضعتَهُ في أوّله تسعد بمنقلبك».

٩. مجالسة العلماء

«جالِس العلماءَ تَسْعَد».

١٠. الإنفاق في سبيل الله

«الجوادُ في الدنيا محمود، وفي الآخرة مسعود».

«إذا قدّمت مالك لآخرتك، واستخلَفْتَ الله سبحانه على من خلَّفْتَه من بعدِك سعدتَ بما قدّمت، وأحسَنَ الله لك الخلافة على من خلَّفْتَ».

أسعد الناس

«إنّ أحببت أن تكون أسعَدَ الناس فاعمل بما علمتَ».

«أسعدُ الناس بالخير العاملُ به».

«أسعدُ الناس العاقلُ المؤمن».

«إنّ أسعَدَ الناس من كان من نفسه بطاعة الله متقاضياً».

«أسعد الناس بالدنيا التارك لها، وأسعدُهم بالآخرة العامل لها».

«أسعدُ الناس من عرف فضلنا[1]، وتقرّب إلى الله بنا، وأخلَص حبَّنا، وعمل بما إليه نَدَبْنا، وانتهىٰ عمّا عنهُ نَهَيْنا، فذاك منّا، وهو في دارالمقامة معنا».

---

١. أي أهل البيت عليهم السلام.

مَنْ هو الشقي؟

«من اعتمد على الدنيا فهو الشقيّ المحروم».

علامات الشقاء

«مِن الشقاء أن يصون المرءُ دنياه بدينه».

«مِن علامات الشقاء الإساءةُ إلى الأخيار».

«مِن علامة الشقاء غشّ الصديق».

موجبات الشقاء

١ . «الحمق شقاء».

٢ . «من الشقاء فساد النيّة».

٣ . «من الشقاء احتقاب الحرام».

٤ . «لا يشقىٰ امروٌ إلّا بمعصية الله. (وإضاعة حدود الله)».

٥ . «من شقاء المرء أن يُفسِدَ الشكُّ يقينه».

٦ . «سبب الشقاء حبّ الدنيا».

٧ . «من كانت الدنيا همّه طال يوم القيامة شقاؤه».

٨ . «ثمرةُ الحسد شقاء الدنيا والآخرة».

٩ . «الحرص والشره يُكسبان الشقاء والمذلّة».

١٠ . «ظلم الفرد في الدنيا عنوان شقائه في الآخرة»[١].

---

١. أُنظر غرر الحكم ودررالكلم (للآمُدي) والمعجم المفهرس له.

الخلاصة:

* اعتنى القرآن الكريم بكلّ القضايا الّتي تهمّ حياة الإنسان ومستقبله، وسار الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام المعصومون ـ لاسيما أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب ـ على المنهج القرآني الرفيع، وعكفوا على تفسير مقاصد القرآن، وتبيان إشاراته ورموزه لذا كانت قضية السعادة والشقاء من أولى القضايا الّتي اهتموا بها وأشاروا اليها، فأوضحوا ملاك السعادة والشقاء، كما أوضحوا سمات ومظاهر الإنسان السعيد والإنسان الشقيّ، وتعرّضوا إلى موجبات السعادة وموجبات الشقاء، وبهذا قدّموا المنهج التكاملي للإنسان في هذه الحياة.

الأسئلة:

١. ما هو ملاك السعادة في كلام الإمام علي عليه السلام ؟

٢. من هو السعيد في منظار الإمام عليه السلام ؟

٣. كيف تحصل السعادة؟

٤. من هو أسعد الناس؟

٥. ما هي موجبات الشقاء وعلاماته؟

الدرس ١٤

من تراث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (٢)

فلسفة الحكم ونظامه

أولاً ـ الحكم ضرورة اجتماعيّة

أ ـ «الإمامة نظام الأُمّة».

ب ـ «لابدّ للناس من أميرٍ، برٍّ أو فاجرٍ».

ثانياً ـ فلسفة الحكم

١. الحكم عرض زائل

أ ـ «الدولة كما تُقبلُ تُدبِرُ».

ب ـ «الملك المنتقل الزائل حقير يسير».

٢. الحكم وسيلة لا هدف

«اللهمَّ إنّك تعلم أنّه لم يكن الّذي كان منّا منافسَةً في سُلطانٍ، ولاالتماسَ شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونُظْهِرَ الإصلاحَ في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطَّلَة من حدودك».

٣. الحكم مختبر الحياة

أ ـ «ستّة تختبر بها عقول الرجال: المصاحبة والمعاملة والولاية والعَزل والغِنى والفقر».

ب ـ «القدرة تُظهِرُ محمودَ الخِصالِ ومذمومَها».

ثالثاً ـ مهام الدولة الإسلامية

١. تثقيف الأُمّة:

«على الإمام أن يعلِّم أهل ولايته حدود الإسلام والإيمان».

٢. إقامة العدل:

أ ـ «العدل قوام الرعيّة».

ب ـ «العدلُ نظامُ الإمرة».

ج ـ «الرعيّة لا يُصلحها إلّا العدل».

د ـ «في العدل الاقتداء بسنّة الله، وثبات الدول».

٣. حماية الدين:

أ ـ «كلّ دولة يحوطها الدين لا تُغْلَبُ».

ب ـ «الملوك حماةُ الدين».

ج ـ «من جعل ملكه خادماً لدينه انقاد له كلّ شيء».

٤. إقامة الحدود:

أ ـ «في حمل عباد الله على أحكام الله استيفاء الحقوق وكلّ الرفق».

ب ـ «ممّا حمله الله على الإمام: إقامة الحدود على مستحقّيها.

٥. الاجتهاد في النصيحة:

«ليس على الإمام إلّا ما حُمّل من أمر ربّه: الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة».

٦. توفير الفيء وتحسين المعيشة:

أ ـ «أمّا حقّكم عليَّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم».

ب ـ «أحسن الملوك حالاً من حَسُن عيشُ الناس في عيشه».

٧. تربية الأُمّة:

«فأمّا حقّكم عليَّ فالنصيحة لكم...، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا».

٨. الدفاع عن استقلال البلاد وكرامة الأُمّة:

جاء في تعليمات الإمام لولاته: «وتعاهَدْ ثغورَهم وأطراف بلادهم» وجاء أيضاً: «لابد للناس من أمير... يقاتل به العدوّ».

٩. توفير الأمن الداخلي:

«لابدّ للناس من أمير... تأمن به السُبُل».

١٠. إغاثة الملهوفين:

«زكاة السلطان إغاثة الملهوف».

١١. الاهتمام بالعمران:

«فضيلة السلطان عمران البُلدان».

١٢. الانتصار للمستضعفين:

«ويؤخذ للضعيف من القويّ حتّى يستريح برّ، ويُستراح من فاجرٍ».

رابعاً ـ عوامل ثبات الحكم وصفات الحاكم النموذجيّ

١. تفهّم الأُمور:

أ ـ «يحتاج الإمام إلى قلبٍ عَقول».

ب ـ «العقل منزِّهٌ عن المنكَر، آمِرٌ بالمعروف».

٢. الانقياد للحق وتجسيده في العمل:

أ ـ «من اتّخذ الحقّ لجاماً اتّخذه الناس إماماً».

ب ـ «من ساس نفسه أدرك السياسة».

ج ـ «إذا نفذ حكمك في نفسك تداعت أنفس الناس إلى عدلك».

د ـ «أجلّ الأُمراء من لم يكن الهوى عليه أميراً».

هـ ـ «أعقل الملوك من ساس نفسه للرعيّة بما يُسقط عنه حجّتها، وساس الرعيّة بما تثبت حجّته عليها».

٣. الشجاعة في تحقيق الحقّ وإقامة العدل:

«يحتاج الإمام إلى قلبٍ عقول، ولسانٍ قؤول، وجَنان على إقامة الحقّ صؤول».

٤. حُسن النيّة:

«أفضل الملوك من حَسُنَ فعْله ونيّته، وعدل في جنده ورعيّته».

٥. سطوع البيان:

«يحتاج الإمام إلى... لسانٍ قَؤول».

٦. الإحسان إلى الرعيّة:

أ ـ «من أحسَنَ إلى رعيّته نشر الله عليه جناح رحمته، وأدخله في مغفرته».

ب ـ «من أحسَنَ الكفاية استحقّ الولاية».

٧. عموم العدل:

أ ـ «ملاك السياسة العدل».

ب ـ «من عدل نفذ حكمه».

ج ـ «من عدل في سلطانه استغنىٰ عن أعوانه».

د ـ «من عمل بالعدل حصّن الله ملكه».

هـ ـ «من كثر عدله حُـمِدَت أيّامه».

و ـ «أفضل الملوك سجيّةً من عَمَّ الناس بِعَدْلِه».

٨. عفّة النفس:

أ ـ «أفضل الملوك أعفّهم نفساً».

ب ـ «السيّد من لا يُصانع ولا يخادع، ولا تغرّه المطامع».

٩. الاقتصاد وتدبير المعيشة:

أ ـ «لن يهلك مَنْ اقتصد».

ب ـ «حُسن السياسة يستديم الرياسة».

ج ـ «حُسن التدبير وتجنّب التبذير من حُسن السياسة».

١٠. الانصاف:

أ ـ «الإنصاف زَينُ الإمرة».

ب ـ «زكاة القدرة الإنصاف».

١١. الرفق:

أ ـ «رأس السياسة استعمال الرفق».

ب ـ «نِعْمَ السياسة الرفق».

١٢. الحلم:

أ ـ «الحلم رأس السياسة».

ب ـ «آلة الرئاسة سعة الصدر».

ج ـ «العفو زكاة القدرة».

د ـ «إضرب خادمك إذا عصىٰ الله، واعفُ عنه إذا عصاك».

هـ ـ «سياسة العدل في ثلاث: لين في حزم، واستقصاء في عدل، وإفضال في قصد».

١٣. الدفاع عن الدين:

«صيّر الدين حِصْنَ دولتك، والشكر حِرزَ نعمتك؛ فكل دولة يحوطها الدينُ لا تُغْلَبُ، وكلّ نعمة يُحرزها الشكر لا تُسْلَبُ».

١٤. كثرة الورع:

«اِستعِن على العدل بحُسن النيّة في الرعيّة، وقلّة الطمع، وكثرة الورع».

١٥. الشعور بأنّ السلطة أمانة الله في عنقه:

أ ـ «إنّ السلطان لأمين الله في الأرض».

ب ـ «إنّ عملك ليس لك طُعمة».

١٦. اليقظة:

أ ـ «من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحَفَظَة».

ب ـ «من أمارات الدولة التيقّظ لحراسة الأُمور».

١٧. عدم الاغترار بالقدرة:

«ذو الشرف لا تبطره منزلة نالها وإن عظمت، والدنيّ تبطره أدنى منزلة».

١٨. التكليف بما يُطاق:

«إذا أردت أن تُطاع فاسأل ما يُستطاع».

١٩. التوزيع الصحيح للأعمال، وتحديد مسؤولية كلّ فرد:

«اِجعل لكل إنسان من خَدَمِك عملاً تأخذه به؛ فإنّه أحرىٰ أن لا يتواكلوا».

٢٠. بذل المعروف:

أ ـ «من بذل معروفه استحقّ الرئاسة».

ب ـ «الجود رياسة».

ج ـ «من بذل جاهه استحمد».

د ـ «زين الرياسة الإفضال»[١].

١. راجع تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم (للآمدي)، القسم الرابع، ص ٣٢٧ ـ ٣٤٨.

الخلاصة:

* جاء الإسلام ليؤسّس دولة إلٰهية ذات نظام ربّاني، وقيادة نموذجيّة، تحقّق للإنسانيّة السعادة العاجلة والآجلة معاً.
* وقد أسّس الرسول الرائد هذه الدولة المباركة وأقام أعمدتها. وأمّا وصيّه الأمين على رسالته فقد أفاض في بيان معالم الدولة النموذجيّة بعد ما طرأ الانحراف بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ، وبيّن أسباب بقاء الدولة واستمرارها وتكاملها، وأسباب سقوط الدول والحضارات وأُفولها. كما أنّ عهده النموذجي إلىٰ واليه علىٰ مصر، مالك الأشتر ﵁ يجسّد الأُطروحة الكاملة للنظام الإداري الإسلامي.

الأسئلة:

١. استخلص من أقوال الإمام علي ﵇ سنن ثبات الحكم وصلاحه.
٢. هل يمكن أن تستنتج من أقوال الإمام علي ﵇ توجيهات إلىٰ ربّ الأسرة، باعتباره حاكماً عليها؟
٣. في ضوء توجيهات الإمام ﵇، ما هي واجبات الحاكم تجاه الأُمّة؟
٤. في ضوء أقوال الإمام علي ﵇، هل تستطيع أن تحدّد مواطن انحراف الحكّام عن الخط الصحيح؟

الدرس ١٥

فاطمة الزهراء عليها السلام أُم الأئمة الطاهرين

نسبها الكريم

إنّ حلقة الوصل بين الرسالة والإمامة هي فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، أمّ الأئمة المعصومين عليهم السلام وسيدة نساء العالمين.

أُمّها الطاهرة سيّدة نساء قريش، خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّىٰ بن قصي. وهي أوّل امرأة تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت من أهل بيت علمٍ وشرفٍ، وكفاها عِظمة أنّها ولدت مثل فاطمة الزهراء عليها السلام، الصديقة الطاهرة المعصومة.

مولدها الشريف

قال الطبرسي في إعلام الورىٰ: الأظهر في روايات أصحابنا أنّها ولدت سنة خمس من المبعث بمكّة في العشرين من جمادى الآخرة، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قبض ولها ثماني عشرة سنة وسبعة أشهر[١].

---

١. إعلام الورى، ج ١، ص ٢٩٠.

وروي عن جابر بن يزيد أنّه قال: سئل الباقر عليه السلام: كم عاشت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: أربعة أشهر، وتوفّيت ولها ثلاث وعشرون سنة[١].

وهذا قريب ممّا رواه غير الإمامية من أنّها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وآله،[٢] فتكون ولادتها بعد المبعث بسنة.

وذكر الأُستاذ أبو سعيد الواعظ في كتاب شرف النبيّ: أنّ جميع أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله ولدوا قبل الإسلام إلّا فاطمة وإبراهيم عليه السلام، فإنّهما ولدا في الإسلام[٣].

أسماؤها وألقابها

روي عن الإمام جعفرالصادق عليه السلام أنّه قال: «لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزّوجلّ: فاطمة، والصدّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدّثة، والزهراء»[٤].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إنّما سمّيت ابنتي فاطمة؛

---

١. نحوه في مناقب ابن شهر آشوب، ج ١، ص ٣٥٧.

٢. مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٦١ و ١٦٣؛ الاستيعاب، ج ٤، ص ٣٧٤؛ مقتل الخوارزمي، ص ٨٣؛ الإصابة، ج ٤، ص ٣٧٧.

٣. راجع إعلام الورى، ج ١، ص ٢٩٠ عن شرف النبي صلى الله عليه وآله.

٤. أمالي الصدوق، ص ٤٧٤ والخصال، ج ٢، ص ٤١٤ ودلائل الإمامة، ص ١٠ وتاج المواليد (ضمن مجموعة نفيسة)، ص ٢٠.

لأنّ الله سبحانه فطمها وفطم من أحبّها من النار»[١].

وسمّاها النبيّ صلى الله عليه وآله، البتول أيضاً[٢]، وقال لعائشة: «ياحميراء، إنّ فاطمة ليست كنساء الآدميّين، ولا تعتلّ كما تعتلّون»[٣].

وكانت يصبّ عليها من ماء الجنّة، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أسري به دخل الجنّة، وأكل من فاكهتها وشرب من مائها، فنزل من ليلته، فوقع على خديجة فحملت بفاطمة، فكان حمل فاطمة من ماء الجنّة[٤].

نشأتها

ولدت فاطمة من أكرم أبوين عرفهما التأريخ البشري؛ إذ لم يكن لأحد في تأريخ الإنسانية ما لأبيها من الآثار، الّتي غيّرت وجه التأريخ، ودفعت بالإنسان أشواطاً بعيدةً نحو الأمام في بضع سنوات معدودات. كما لم يحدّث التأريخ عن أمٍّ كأمّها، الّتي وهبت كلّ ما لديها لزوجها، ولمبدئه العظيم مقابل ما أعطاها من هداية ونور.

وفي ظلّ هذين الأبوين العظيمين درجت فاطمة البتولعليها السلام ونشأت في دارٍ، يغمرهاحنان أبيها الّذي حمل عبء النبوّة وتحمّل ماتنوء به الجبال.

---

١. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٤٦ ومعاني الأخبار، ص ٦٤ وعلل الشرائع، ص ١٧٨.
٢. علل الشرائع، ص ١٨١ ومناقب ابن‌شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٣٠.
٣. مناقب ابن‌شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٣٠ والمعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٤٠٠.
٤. راجع ما رواه ابن عبّاس أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله في مناقب ابن المغازلي، ص ٣٥٧ و ٤٠٦، ومناقب الخوارزمي، ص ٦٤ وذخائر العقبى، ص ٣٦.

مراحل حياتها

١ . لقد عاشت الزهراء عليها السلام محن تبليغ الرسالة الإلهية منذ نعومة أظفارها، وحوصرت مع أبيها وأُمّها وسائر بني هاشم في الشِّعب المعروف، ولم تبلغ في بدء الحصار من العمر سوىٰ سنتين.

٢ . وما أن رُفع الحصار بعد سنوات ثلاث صعبة حتّى واجهت محنة وفاة أُمّها عليها السلام، ثمّ وفاة أبي‌طالب عليه السلام، وهي في بداية عامها السادس، فبقيت هي سلوة لأبيها ـ وهو يواجه الصعوبات والشدائد ـ تؤنسه في وحدته، وتؤازره على طغاة قريش وعتاتهم.

٣ . وهاجرت هي والفواطم مع ابن عمّها عليّ عليه السلام إلى يثرب في الثامنة من عمرها، وبقيت مع أبيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حتّى اقترنت بالإمام علي بن أبي‌طالب عليه السلام، فكوّنت أشرف بيت في الإسلام؛ إذ أصبحت الوعاء الطاهر للسلالة النبويّة الطيبة، والكوثر المعطاء لعترة رسول‌الله صلى الله عليه وآله الميامين.

٤ . لقد قدّمت الزهراء عليها السلام أروع مثل للزوجة وللأُمومة في أحرج لحظات التأريخ الإسلاميّ؛ حيث كان الإسلام يريد أن يختطّ طريق الخلود والعُلىٰ في ظل بيئة جاهليّة وأعراف قَبَليّة ترفض إنسانيّة المرأة، وتعدّ البنت عاراً. لذا كان على مثل الزهراء عليها السلام ـ وهي بنت الرسالة ووليدة النهضة الإلهية الفريدة ـ أن تضرب بسلوكها الفردي والزوجي والاجتماعي مثلاً حقيقيّاً وعمليّاً، يجسّد مفاهيم الرسالة وقيمها تجسيداً واقعيّاً.

وقد أثبتت الزهراءؑ للعالم الإنساني أجمع أنّها الإنسان الكامل، الّذي استطاع أن يكون آية إلهية كبرى على قدرة الله البالغة وإبداعه العجيب؛ اذ كانت تتمتع بأوفر حظّ من العظمة والكرامة، وأوفىٰ نصيب من الجلالة والبهاء.

وانجبت الزهراء البتول لعليّ المرتضىٰؑ وليدين عظيمين هما سيّدا شباب أهل الجنّة وابنا رسول الله: «الحسن والحسين»، الإمامان الطاهران، كما أنجبت السيدتين الكريمتين: زينب الكبرىٰ وأُمّ كلثوم، المجاهدتين الصابرتين.

٥ ـ وأسقطت خامس أبنائها «المحسن» بعد وفاة أبيها في أحداث الاعتداء على بيتها، بيت الرسالة والإمامة. وصدقت نبوءة القرآن حين قال: ﴿إنّا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر إنّ شانئك هو الأبتر﴾؛ فهي كوثر الرسالة الذي أعطاه الله لرسولهﷺ، غير أنّه كان يحتاج إلى تضحيات كبرى يقدّمها الرسولﷺ فداءً لشجرة الرسالة الباسقة؛ ليندحر شانئوه الذين خططوا لإجهاض الرسالة ورموزها منذ بزوغها.

وفاتها وغسلها

توفّيت (صلوات الله عليها) في الثالث من جمادى الآخرة سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة، وبقيت بعد النبيّﷺ خمسة وتسعين يوماً[1]. وروي:

---

١. الذريّة الطاهرة (للدولابي)، ص ١٥١، ١٩٩ وكشف الغمّة، ج ١، ص ٥٠٣.

أربعة أشهر، كما روي أربعون يوماً، وروي أيضاً خمسة وسبعون يوماً، كما روي ستّة أو ثمانية أشهر[١].

وتولّى الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام غسلها[٢]، كما روي: أنّه أعانه على غسلها أسماء بنت عميس، وكانت فاطمة قد أوصت أن لا يغسّلها إذا ماتت إلّا أسماء وعليّ (صلوات الله وسلامه عليه)[٣].

دفنها وموضع قبرها

وصلّى عليها أميرالمؤمنين، والحسن والحسين عليهما السلام، وعمّار، والمقداد، وعقيل، والزبير، وسلمان، وبريدة، ونفر من بني هاشم في جوف الليل.

ودفنها أميرالمؤمنين عليه السلام سرّاً؛ بوصيّة منها في ذلك[٤].

واختلف في موضع قبرها، فمن قائل: إنّها دفنت في البقيع[٥]. وقائل: إنّها دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنوأميّة في المسجد صارت في

---

١. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٥٧ والإصابة، ج ٤ ص ٣٧٩ وجلاء العيون، ج ١، ص ٢١٦.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٨٢، وعلل الشرائع، ص ١٨٤ و دلائل الإمامة، ص ٤٦ وتاج المواليد (ضمن مجموعة نفيسة)، ص ٩٨ والاستيعاب، ج ٤، ص ٣٧٩.

٣. كشف الغمة، ج ١، ص ٥٠٠ ومستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٦٣ والاستيعاب، ج ٤ ص ٣٧٩.

٤. انظر روضة الواعظين، ص ١٥٢، وتاج المواليد (ضمن مجموعة نفيسة)، ص ٩٨، ومناقب ابن شهرآشوب، ج ٣، ص ٣٦٣، وصحيح البخاري، ج ٥، ص ١٧٧، وصحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣٨٠، وطبقات ابن سعد، ج ٨، ص ٢٢٩، ومصنّف عبدالرزّاق، ج ٥، ص ٤٢٧، وسنن البيهقي، ج ٦، ص ٣٠٠، وتأريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٠٨، ومستدرك الحاكم، ج ٣، ١٦٢، والاستيعاب، ج ٤، ص ٣٧٩، وأسد الغابة، ج ٥، ص ٥٢٤.

٥. تاج المواليد، ص ٩٩ ومناقب ابن شهرآشوب، ج ٣، ٣٥٧ وكشف الغمة، ج ١، ص ٥٠١.

المسجد[١]. وقائل: إنّها دفنت فيما بين القبر والمنبر[٢]، ولعلّه إلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة»[٣].

إلّا أنّ الطبرسي قال: والقول الأوّل بعيد، والقولان الآخران أشبه وأقرب إلى الصواب، فمن استعمل الاحتياط في زيارتها زارها في المواضع الثلاثة[٤].

---

١. الكافي، ج ١، ص ٣٨٣ والفقيه، ج ١، ص ١٤٨ وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٣١١ ومعاني الأخبار، ج١، ص ٢٦٨ وذخائر العقبى، ص ٥٠٤.

٢. معانى الأخبار، ج ١، ص ٢٦٨ وروضةالواعظين، ص ١٥٢.

٣. الكافي، ج ٤، ص ٥٥٣ ـ ٥٥٥؛ الفقيه، ج ٢، ص ٣٣٩؛ التهذيب للطوسي، ج ٦، ص ٧؛ الموّطأ، ج ١، ص ٩٧؛ صحيح البخاري، ج ٢، ص ٧٧؛ صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٠١٠؛ مسند أحمد، ج ٢، ص ٢٣٦، ٣٧٦، ٤٣٨، ٤٦٦، ٥٣٣ وج ٣، ص ٤ و ج ٤، ص ٣٩، ٤٠؛ صحيح الترمذي، ج ٥، ص ٧١٨، ٧١٩؛ سنن النسائي، ج ٢، ص ٣٥، وفي جميعها إلّا الفقيه: «بيتي» بدل قبري.

٤. إعلام الورى، ج ١، ص ٢٩٣.

الخلاصة:

* لقد ترعرعت فاطمة الزهراء عليها السلام ـ ابنة سيد البشرية وسيّدة نساء العالمين ـ في ظل نبيّ الرحمة ومربّي الإنسانيّة، وحباها الله بخصال سامية. وأمّا أمّها فقد توفّيت وهي تقارع المحن من أجل الرسالة، فشاطرت أباها السلوة والعزاء.

* هاجرت من مكّة مع ابن عمّها لتلتحق بأبيها صلى الله عليه وآله الذي شرع ببناء أركان الدولة الإسلامية المباركة.

* لقد اختارها الله زوجة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فقدّمت أروع نموذج للمرأة المسلمة، وكانت أيضاً الوعاء الطاهر للسلالة النبويّة، الّتي امتدّت عبر ولديها، سيدي شباب أهل الجنة، فكانت ملتقى النبوّة والإمامة.

* عاشت مع أبيها وزوجها كل صعاب الدعوة الإسلامية، وشاركتهما مهمّة البناء الرسالي.

* عانت من ظلم الفئة المنحرفة بعد أبيها صلى الله عليه وآله، وأسقطت الخامس من ولدها إثر حادثة الاعتداء عليها وعلى زوجها؛ فلم تعش طويلاً بعد ذلك حتّى التحقت بأبيها صابرة محتسبة ما لحق بها من أذى من أجل الرسالة المحمّدية الخالدة.

الأسئلة:

١ . أين ولدت فاطمة الزهراء عليها السلام ؟

٢ . كم كان يبلغ عمر فاطمة عليها السلام حين بُعث النبي صلى الله عليه وآله ؟

٣ . متى تزوّجت الزهراء عليها السلام ؟

٤ . ماذا أنجبت الزهراء من بنين وبنات؟

٥ . ما هي مراحل حياتها عليها السلام ؟

٦ . لماذا كان بيت الزهراء عليها السلام أشرف بيت في الإسلام؟

٧ . متى وأين وكيف دفنت الزهراء عليها السلام ؟

الدرس ١٦

انطباعات عن شخصيّة الزهراء فاطمة عليها السلام

فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة أعظم نبيّ صلى الله عليه وآله، وزوجة أشرف إمام عليه السلام، وأُم السبطين، الحسن والحسين، سيدّي شباب أهل الجنّة.

إنّها الوجه المشرق الوضّاء للرسالة الخاتمة، والوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة، والمنبت الطيّب لعترة رسول الله عليهم السلام، وهي كذلك سيد نساء العالمين جميعاً.

لقد اقترن تأريخها بتأريخ الرسالة؛ إذ وُلدِت قبل الهجرة، وتوفيت بعد الرسول صلى الله عليه وآله بعدّة أشهر.

وقد حفلت آيات الذكر الحكيم خلال عقدين من تأريخ الرسالة المشرق بمكرمات الزهراء وفضائل أبيها وبعلها وبنيها عليهم السلام الذين قدّموا أروع أمثلة الجهاد والصبر والإخلاص والتضحية في سبيل الله.

وأمّا النبي العظيم صلى الله عليه وآله فقد أشاد بعظيم منزلتها، وبما بلغته من موقع ريادي في خطّ الرسالة، محتذياً (صلوات الله عليه) خُطى القرآن الكريم

فيما صرّح به من فضائل ومكرمات لأهل بيت الوحي عليهم السلام بشكل عـام، ولمهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله بشكل خاص[١].

١. الزهراء عليها السلام عند سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله

قال صلى الله عليه وآله: «إنَّ الله ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها»[٢].

قال صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّـي؛ مَنْ آذاها فقد آذاني، ومن أحبّها فقد أحبّني»[٣].

قال صلى الله عليه وآله: «فاطمة قلبي وروحي الّتي بين جنبيَّ»[٤].

قال صلى الله عليه وآله: «فاطمة سيّدة نساء العالمين»[٥].

لقد تواترت مثل هذه الشهادات في كتب الحـديث والسـيرة[٦] عـن

---

١. راجع ما ورد في تفسير سورة الكوثر، وآية التطهير، وآيـة المـودّة فـي القـربى، وآيـة المباهلة، وسورة الدهر من نصوص نبويّة حول الزهراء وأهل بيت الرسالة في كتاب أعلام الهداية، ج٣؛ لتقف من خلال نصوص الوحي على عظيم منزلتها عند الله سبحانه و تعالى.

٢. أنظر كنزالعمّال، ج ٦، ص ٢١٩ ومستدرك الصحيحين، ج ٣، ص ١٥٣ وميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٧٢.

٣. أنظر الصواعق المحرقة، ص ١٠٧، ١٣٨؛ صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق؛ كنز العمّال، ج ٦، ص ٢٢؛ خصائص النسائي، ص ٣٥؛ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة؛ صحيح الترمذي، ج ٢، ص ٣١٩.

٤. راجع فرائد السمطين، ج ٢، ص ٦٦.

٥. رواه أبوداود الطيالسي في مسنده، ج ٦، في أحاديث النساء وأبونعيم في حـلية الأوليـاء، ج٢، ص ٢٩، والطحاوي في مشكل الآثـار، ج ١، ص ٤٨ وشـرح نـهج البـلاغة (لابـن أبي‌الحديد)، ج ٩، ص ١٩٣ والعوالم، ج١١، ص ٤٦، ٤٩.

٦. أنظر كنز العمّال، ج ٧، ص ٩٢ ومسند أحمد، ج ٦، ص ٢٩٦ و٣٢٣ ومستدرك الصحيحين، ج ٣، ص ١٤٧، ١٥١ وصحيح البخاري كتاب الاستئذان، وصـحيح التـرمذي، ج ٢، ص ٣٠٦، وحلية الأولياء، ج ٢، ص ٤٢ والاستيعاب. ج ٢، ص ٧٢٠، ٧٥٠.

رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي لا ينطق عن الهوى[١]، ولا يتأثّر بنسب أو سبب، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

ولمّا كان النبي الأكرمصلى الله عليه وآله قد ذاب في دعوته وكان للناس في ذلك أُسوة، أصبحت خفقات قلبه ونظرات عينه ولمسات يده وخطوات سعيه وإشعاعات فكره كلّه مَعْلَماً من معالِم الدين، ومصدراً للتشريع، ومصباحاً للهداية، وسبيلاً للنجاة.

إنّ هذه الشهادات من خاتم الرسلصلى الله عليه وآله أوسِمَةٌ للزهراءعليها السلام، تزداد تألّقاً كلّما مرّ الزمن، لاسيّما إذا لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه صلى الله عليه وآله لها: «يا فاطمة اعملي لنفسك؛ فإنّي لا أُغني عنكِ من الله شيئاً»[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلّا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد»[٣].

وقوله صلى الله عليه وآله: «إنّما فاطمة شجنة منّي، يقبضني مايقبضها، ويبسطني مايبسطها[٤]. وإنّ الأنساب يوم‌القيامة تنقطع غيرنسبي وسببي وصهري ...»[٥].

---

١. كما أشارت إلى ذلك سورة النجم: ٣.

٢. فاطمة الزهراء وتر في غمد، من مقدّمة السيّد موسى الصدر.

٣. رواه صاحب الفصول المهمّة عن مسلم والترمذي، ص ١٢٣ وراجع تفسير الوصول، ج ٢، ص ١٥٩ وشرح ثلاثيّات مسند أحمد، ج ٢، ص ٥١١.

٤. الشجنة، الشعبة من كلّ شيء، والشجنة ايضاً كالغصن يكون من الشجرة، وراجع مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٥٤ وكنزالعمّال، ج ١٢، ص ١١١، الحديث ٣٤٢٤.

٥. انظر مسند أحمد، ج ٤، ص ٣٢٣ و٣٢٢ والمستدرك، ج ٣، ص ٥٨.

وروي أنّ رسول الله ﷺ خرج ذات يوم، وقد أخذ بيد فاطمة عليها السلام وقال: «من عَرَفَ هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي الّذي بين جنبيّ؛ فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»(١).

وقال ﷺ مرة أخرى: «فاطمة أعزّ الناس عليّ»(٢).

وهذه النصوص خير شاهد على عصمتها بعد آية التطهير، بل تخطّ لنا طريقاً واعياً لما تستقبله الرسالة من أحداث حيث إنّها لا تغضب إلّا لله.

٢. الزهراء عليها السلام عند أهل البيت عليهم السلام والصحابة والتابعين

عن الإمام عليّ بن الحسين، زين العابدين عليه السلام انه قال: «لم يولد للرسول ﷺ من خديجة على فطرة الإسلام إلّا فاطمة»(٣).

وعن الإمام أبيجعفر الباقر عليه السلام: «والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم»(٤).

وعن الإمام أبيعبدالله الصادق عليه السلام: «إنّما سمّيت فاطمة؛ لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها»(٥).

وعن ابن عباس: إنّ رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم، وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال:

---

١. راجع الفصول المهمّة، ص ١٢٨ ورواه في كتاب المختصر عن تفسير الثعلبي، ص ١٣٣.
٢. أمالي الطوسي، ج ١، ص ٢٤ والمختصر، ص ١٣٦.
٣. روضة الكافي، ص ٥٣٦.
٤. كشف الغمة، ج ٢، ص ٩٩.
٥. بحار الانوار، ج ٤٣، ص ٦٥.

«اللهمَّ إنّك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ؛ فأحبب من أحبّهم وأبغض من أبغَضهم، ووالِ من والاهم وعادِ من عاداهم، وأعن من أعانهم، واجعلهم مطهَّرين من كلّ رجس، معصومين من كلّ ذنب، وأيّدهم بروح القدس منك».

وعن أُمّ المؤمنين، أمّ سلمة أنّها قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله صلى الله عليه وآله.

وعن أُمّ المؤمنين، عائشة أنّها قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلّا أن يكون الّذي أولدها[1]، وكانت إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله قام، فقبّلها ورحّب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا دخل عليها قامت من مجلسها، فقبّلته وأخذت بيده وأجلسته في مجلسها، وكان يختصّها بسرّه، ويرجع إليها في أمره[2].

قال ابن الصبّاغ المالكي: ... وهي بنت من أُنزل عليه ﴿سبحان الّذي أسرىٰ﴾[3]، ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيّدة بإجماع أهل السداد[4].

وقال الحافظ أبو نعيم الإصفهاني: من ناسكات الأصفياء وصفيّات الأتقياء فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ السيّدة البتول، البضعة الشبيهة بالرسول ... كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة[5].

---

١. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٩٧، ٩٩.
٢. أهل البيت (لتوفيق أبوعلم)، ص ١٤٤.
٣. الإسراء: ١.
٤. الفصول المهمّة، ص ١٤٣، طبعة بيروت.
٥. حلية الأولياء، ج ٢، ص ٣٩. طبعة بيروت.

وقال عبد الحميد بن أبي‌الحديد المعتزلي: وأكرم رسول الله ﷺ فاطمة إكراماً عظيماً أكثر ممّا كان الناس يظنّونه... حتّى خرج بها عن حبّ الآباء للأولاد، فقال لمحضر الخاصّ والعامّ مراراً لا مرّة واحدة، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد: «إنّها سيّدة نساء العالمين، وإنّها عديلة مريم بنت عمران، وإنّها إذا مرّت في الموقف نادى منادٍ من جهة العرش: يا أهل الموقف! غضّوا أبصاركم؛ لتعبر فاطمة بنت محمّد» وهذا من الأحاديث الصحيحة، وليس من الأخبار المستضعفة... وكم قال لا مرّة: «يؤذيني ما يؤذيها، ويغضبني ما يغضبها، وإنّها بضعة منّي؛ يريبني ما رابها»[١].

١. شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ١٩٣.

الخلاصة:

* فاطمة عليها السلام كوكب زاهر في سماء العقيدة الإسلاميّة، وعَلَم هداية في عالم البشرية، امتدحها الله في القرآن الكريم، وأظهر فضائلها. وأمّا رسول الله صلى الله عليه وآله فقد وصفها، وهو يسطّر للأجيال ملامح مكانتها ودورها، ويشدّ المسلمين إلى ودّها ورضاها. ثم تتابع الأئمة المعصومون عليهم السلام، وهم يلهجون بذكرها، وسطوع نورها حتّى استبان لكلّ ذي عينين أنّ من الواجب نشر فضائلها.
* وعلى ذلك أيضاً درج الصحابة والكتّاب والمحدّثون والمؤرّخون، وهم يُكبِرون شأنها ومقامها، ويلهجون بفضائل صفاتها.

الأسئلة:

١ . ما هي الآيات القرآنية الّتي تحدّثت عن فضل الزهراء عليها السلام؟

٢ . لقد قرن رسول الله صلى الله عليه وآله رضا الزهراء عليها السلام وغضبها برضا الله وغضبه، فما معنى ذلك؟

٣ . استعرض ثلاثة نصوص عن الائمة المعصومين عليهم السلام حول فضائل الزهراء عليها السلام.

٤ . ما هي مكانة الزهراء لدى الكتّاب والمؤرّخين؟

الدرس ١٧

من فضائل الزهراء عليها السلام ومظاهر شخصيّتها (١)

أنّها ابنة نبيّ، حرّر العقول، ووقف بذوي العقول فوق الأجيال، كما أنّها زوجة إمامٍ كان ركناً من أركان الحق، وامتداداً لأعظم نبيّ في تأريخ الإنسان.

لقد حازت فاطمة كمال العقل وجمال الروح وصفاء الضمير، ورسمت لنا ملامح الطريق الوعر الذي سلكته الرسالة بمواقفها وتراثها فكانت هي ركناً من أركان الرسالة، ولذا فلا يمكن فهم تأريخ الرسالة بصورة دقيقة من دون فهم تأريخها.

وقد مثّلت الزهراء عليها السلام أشرف ما في المرأة من إنسانية وصيانة وكرامة وقداسة، بالإضافة إلى ما كانت عليه من ذكاء وقّاد وعلم واسع، وكفاها فخراً أنّها تربّت في مدرسة النبوّة، وتخرّجت من معهد الرسالة، وتلقّت عن أبيها، الرسول الأمين صلى الله عليه وآله ما تلقّاه عن ربّ العالمين[١].

---

١. انظر أهل‌البيت (توفيق أبوعلم)، ١١٦.

لقد سمعت فاطمة القرآنَ الكريم من فم النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله ومن صوت عليّ عليه السلام المرتضى، فعبدت ربّها بعد أن وعت أحكامه وفرائضه وسننه وعياً لم يحصل عليه غيرها من ذوي الشرف والمكرمات.

ومن هنا نعرف السرّ في ما صرّحت به عائشة، من أنّها لم تجد في الأرض امرأة كانت أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة، وقد علّلت هي ذلك بقولها: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلّا أن يكون الّذي أولدها صلى الله عليه وآله[١].

وهكذا صارت الزهراء البتول صورة الإنسانية الكاملة، الّتي يتخشّع بتقديسها المؤمنون.

علمها ومعرفتها

لم تكتف الزهراء فاطمة عليها السلام بما هيّأ لها بيت الوحي من معارف، ولم تقتصر على الاستنارة العلمية، الّتي كانت تهيّئها لها شموس العلم والمعرفة المحيطة بها من كلّ جانب.

لقد كانت تحاول في لقاءاتها مع أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعلها باب مدينة علم النبي أن تنهل من العلوم ما استطاعت. كما كانت ترسل ولديها، الحسن والحسين إلى مجلس الرسول صلى الله عليه وآله بشكل مستمر، ثم تستنطقهما بعد العودة إليها. وهكذا كانت تحرص على طلب العلم، كما كانت تحرص على تربية ولديها تربيةً فُضلىٰ. ولقد كانت تبذل ما تكتسبه من العلوم لسائر نساء المسلمين، بالرغم من كثرة واجباتها البيتية.

---

١. المصدر السابق.

إن هذا الجهد المتواصل لها في طلب العلم ونشره قد جعلها من كبريات رواة الحديث، ومن حَمَلة السنّة المطهّرة حتّى أصبح كتابها الكبير، الّذي كانت تعتزّ به أشدّ الاعتزاز يُعرف باسم «مصحف فاطمة».

ولا ننسى أنّ أحد أسمائها قد كان هو «المحدَّثة»، وبذلك تكون شقيقة لمريم في تحديث الملائكة لها. وهذا مصدر آخر لعلمها الذي انتقل إلى أبنائها الأئمة المعصومين عليهم السلام يتوارثونه كابراً عن كابر.

ويكفيك دليلاً على ذلك، وعلى سموّها فكراً، وكمالها علماً ما جادت به قريحتها من خطبتين مهمّتين[1]، ألقتهما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله: إحداهما بحضور كبار الصحابة في مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والأُخرىٰ في بيتها. وقد تضمّنتا مضامين رائعة، تعبّر عن عمق فكرها وأصالته، واتّساع ثقافتها، وقوّة منطقها، وصدق نبوءاتها فيما ستنتهي إليه الأُمّة بعد انحرافها عقيب وفاة أبيها. أضف إلىٰ ذلك رفعة أدبها، وعظيم جهادها في ذات الله وفي سبيل الحق تعالىٰ.

لقد كانت الزهراء عليها السلام من أهل بيت، اتّقوا الله وعلّمهم الله[2]، وهكذا فطمها الله بالعلم فسمّيت فاطمة، كما انقطعت عن النظير فسمّيت بالبتول.

مكارم أخلاقها

لقد كانت فاطمة عليها السلام كريمة الخليقة، شريفة الملكة، نبيلة النفس، جليلة الحس، سريعة الفهم، غرّاء المكارم، جريئة الصدر، رابطة الجأش،

---

١. أُنظر الخطبتين في الإحتجاج للطبرسي.

٢. اشارة إلى قوله تعالى: ﴿اتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (بقره : ٢٨٢.

حميّة الأنف، نائية عن مذاهب العجب، لا يحدّدها مادّي الخيلاء، ولا يثني أعطافها الزهو والكبرياء[١].

لقد كانت ذات رحابة صدر، وسعة أناة، ووقار وسكينة، ورفق ورزانة، وعفّة وصيانة.

كان لا يجري لسانها بغير الحق، كما لا تنطق إلّا بالصدق. لا تذكر أحداً بسوء، فلا غيبة ولا نميمة، ولا همز ولا لمز. تحفظ السر، وتفي بالوعد، وتصدق النصح، وتقبل العذر، وتتجاوز عن الإساءة، وكثيراً ما أقالت العثرة، وتلقّت الإساءة بالحلم والصفح.

لقد كانت عَزوفة عن الشرّ، ميّالة إلى الخير، أمينة، صدوقة في قولها، صادقة في ذاتها ووفائها، وكانت في الذروة العالية من العفاف. لا يميل بها هواها؛ لأنّها من أهل بيت الرسالة، الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وكانت إذا كلّمَت إنساناً، أو خطبت في الرجال، يكون بينها وبينهم ستر، يحجبها عنهم عفّةً وصيانةً.

وكانت قانعة بحالها، موقنة بأنّ الحرص يفرّق القلب ويشتّت الأمر، مستمسكة بما قاله لها أبوها: «يا فاطمة اصبري على مرارة الدنيا؛ لتفوزي بنعيم الأبد»[٢].

فكانت راضية بالعسير من العيش، صابرة على شظف الحياة[٣]، قانعة

---

١. أنظر أهل البيت، ص ١٣٢ ـ ١٣٤.
٢. الدّر المنثور، ج ٦، ص ٢٦١.
٣. مصاعب الحياة.

باليسير من الحلال، راضيةً مرضيّة، لا تطمح إلى ما لغيرها، ولا تستشرف ببصرها إلى ما ليس من حقّها، وما كانت تتنزّل إلى سؤال غير الله تعالىٰ، فهي غنيّة بنفسها كما قال أبوها صلى الله عليه وآله: «إنّما الغنىٰ غنى النفس»[١].

إنّها السيّدة (البتول) الّتي انقطعت إلى الله تعالى عن دنياها، وعزفت عن زخارفها وغرورها، وعرفت آفاتها، وصبرت على أداء مسؤوليّاتها، وهي تعاني شظف العيش، ولسانها رطب بذكر مولاها.

لقد كان همّ الزهراء عليها السلام الآخرة، فلم تحفل بمباهج الدنيا، وهي ترىٰ إعراض أبيها صلى الله عليه وآله عن الدنيا وما فيها من متع ولذائذ وشهوات.

وعُرف عنها عظيم صبرها على البلاء، وكبير شكرها عند الرخاء، ورضاها بواقع القضاء حتّى روت عن أبيها صلى الله عليه وآله: «ان الله إذا أحبَّ عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه»[٢].

---

١. نهج الفصاحة، الكلمة ٢٣٨٢. ٢. أنظر أهل البيت، ص ١٣٧.

الخلاصة:

* إذا كان خلق النبي ﷺ القرآن، فأخلاق الزهراء عليها السلام هي أخلاق أبيها ﷺ.

* لقد ظهر لنا من مكارم أخلاق الزهراء عليها السلام وسمّو شخصيتها ما يجعلها قدوة وأُسوة للمسلمين جميعاً.

* لقد فضّلها الله علىٰ نساء العالمين، لأنّها تشرّبت بالعلم الإلهي، وأيقنت بالرسالة الإسلامية، وأطاعت رسول الله ﷺ بإخلاص يفوق الوصف.

* وقد بذلت كلّ ما تملك من طاقة في سبيل الدعوة إلى الله، وبناء صرح الرسالة، وخدمة الأمّة المسلمة حباً في الله تعالى أيضاً.

* كما أخلصت في إيمانها وعبادتها، وتكاملت في كلّ جوانب حياتها، حتّى تجلّى حبّها لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ في كل مراحل حياتها.

الأسئلة:

١ . تكلّم عن البيئة التوحيديّة الّتي نشأت وتكاملت فيها شخصيّة الزهراء عليها السلام.

٢ . كيف اهتمّت الزهراء عليها السلام بالعلم والمعرفة؟

٣ . ما هي أهمّ مكارم أخلاقها؟

٤ . ما هي مميّزات علوم الزهراء عليها السلام ومعارفها؟

٥ . ماهو مصحف فاطمة عليها السلام؟

٦ . ماهي القيمة التأريخية لخطبتي الزهراء عليها السلام؟

للمطالعة

جودها وإيثارها

لقد كانت الزهراء خير من يؤثر على نفسه اقتداءً بأبيها، حتّى عُرف عنها إيثارها بقميص عرسها ليلة زفافها عليها السلام، وكفىٰ بما جاء في سورة الدهر شاهداً على عظيم إيثارها، وجميل سخائها.

روىٰ جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه: صلّىٰ بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة العصر، فلمّا انفتل (و اتمّ صلاته) جلس في قبلته والناس حوله، فبينا هم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب، عليه سمل[1] قد تهلهل وأخلق، ولا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً. فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله يستحثه الخبر[2]، فقال الشيخ: يا نبي الله، أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاُكسني، وفقير فأرشني.

فقال صلى الله عليه وآله: «**ما أجد لك شيئاً، ولكن الدال على الخير كفاعله. انطلق إلىٰ منزل مَنْ يحب الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه. انطلق إلى حجرة فاطمة**». وكان بيتها ملاصقاً لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله، الّذي ينفرد به لنفسه من أزواجه. وقال أيضاً: «يا بلال، قم فقف به على منزل فاطمة».

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلمّا وقف علىٰ باب فاطمة نادىٰ بأعلىٰ صوته: السلام

---

١. السَمِل: الثوب الخَلقِ، وتهلُّل الثوب: تخريقه.

٢. يسأله بجدّ.

عليكم يا أهل بيت النبوّة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل، الروح الأمين، بالتنزيل من عند ربّ العالمين. فقالت فاطمة: «عليك السلام، فمن أنت يا هذا؟».

قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك السيّد البشير من شقّة، وأنا ـ يا بنت محمّد ـ عاري الجسد، جائع الكبد، فواسيني يرحمكِ الله.

وكان لفاطمة وعلي عليهما السلام في تلك الحال ـ وكذا رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ثلاثة أيام، ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك من شأنهما. فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ، كان ينام عليه الحسن والحسين، فقالت: «خذ أيّها الطارق، فعسى الله أن يختار لك ما هو خير فيه». قال الأعرابي: يا بنت محمد، شكوت إليكِ الجوع فناولتيني جلد كبش. ما أصنع به، مع ما أجد من السَغَب (والجوع)؟

فلمّا سمعت هذا من قوله عمدت إلىٰ عقد كان في عنقها، أهدته لها فاطمة بنت عمّها، حمزة بن عبدالمطّلب، فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي، وقالت: «خذ وبعه، فعسى الله أن يعوّضك به ما هو خير منه».

فأخذ الأعرابي العقد، وانطلق إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، والنبي جالس في أصحابه، فقال: يا رسول الله، أعطتني فاطمة هذا العقد فقالت: «بعه».

قال: فبكىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «كيف لا يعوّضك به ما هو خير منه؟! وقد أعطتك فاطمة بنت محمد، سيّدة بنات آدم».

فقام عمّار بن ياسر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟.

قال صلى الله عليه وآله: «اشتره يا عمّار، فلو اشتركَ فيه الثقلان ما عذّبهم الله بالنار».

فقال عمّار: بكم العقدُ يا أعرابي؟ قال: بشبعة من الخبز واللحم، وبردة يمانية، أستر بها عورتي وأُصلّي بها لربّـي، ودينار يبلّغني أهلي. وكان عمّار قد باع سهمه الّذي نفله

رسول الله ﷺ من خيبر ولم يبق شيئاً، فقال: لك عشرون ديناراً، ومئتا درهم هجرية، وبردة يمانية، وراحلتي تبلغك أهلك، وشبعك من خبز البرّ واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال، يا رجل. وانطلق به عمّار فوفاه فأضمن له. وعاد الأعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**أشبعتَ واكتسيت؟**» قال الأعرابي: نعم، واستغنيت بأبي أنت وأُمّي.

قال: «فاجز فاطمة بصنيعها». فقال الأعرابي: **اللهمَّ إنّك إله ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا علىٰ كلّ الجهات، اللهمَّ أعطِ فاطمة مالا عين رأت ولا أُذن سمعت».**

فأمّن النبي علىٰ دعائه، وأقبل على أصحابه، فقال: «**إنّ الله قد أعطىٰ فاطمة في الدنيا ذلك: أنا أبوها ولا أحد من العالمين مثلي، وعلي بعلها ولولا علي لما كان لفاطمة كفؤ أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما، سيدا شباب أسباط الأنبياء، وسيدا شباب أهل الجنّة».**

وكان بازائه المقداد وعمّار وسلمان. فقال: «وأزيدكم؟».

قالوا: نعم يارسول الله. فقال ﷺ: «**أتاني الروح ـ يعني جبرئيل عليه السلام ـ انها إذا هي قُبضت ودفنت، يسألها الملكان في قبرها: من ربك؟ فتقول: الله ربي. فيقولان فمن نبيك؟ فتقول: أبي، فمن وليّكِ؟ فتقول: هذا القائم علىٰ شفير قبري.**

ألا وأزيدكم من فضلها؟ إن الله قد وكّل بها رعيلاً من الملائكة، يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها في حياتها وعند قبرها وعند موتها، يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وعلىٰ بعلها وبنيها. فمن زارني بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي، ومن زار فاطمة فكأنّما زارني، ومن

زار علي بن أبي‌طالب فكأنّما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنّما زار علياً، ومن زار ذريّتهما فكأنّما زارهما».

فعمد عمار إلى العقد فطيّبه بالمسك، ولفّه في بردة يمانية، وكان له عبد ابتاعه من ذلك السهم الّذي أصابه بخيبر، فدفع العقد إلى المملوك، وقال له: خذ هذا العقد وادفعه لرسول الله وأنت له، فأخذ المملوك العقد فأتىٰ به رسول الله ﷺ، فأخبره بقول عمّار، فقال النبي ﷺ: «انطلق إلى فاطمة، فادفع إليها العقد وأنت لها». فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله ﷺ. فأخذت فاطمة عليها السلام العقد وأعتقت المملوك، فضحك الغلام، فقالت: «ما يضحكك يا غلام؟».

قال: أضحكني عظم بركة هذا العقد: أشبع جائعاً، وكسا عرياناً، وأغنىٰ فقيراً، وأعتق عبداً، ورجع إلىٰ ربه[1].

---

١. أهل البيت، ص ١٣٨.

الدرس ١٨

من فضائل الزهراء عليها السلام ومظاهر شخصيّتها (٢)

إيمانها وتعبّدها لله تعالى

إنّ الإيمان بالله هو رمز الإنسان الكامل، والتعبّد لله تعالى وسُلَّم الوصول إلى قِمَم الكمال.

وقد حاز الأنبياء والأولياء مقاعد الصدق في دار الكرامة، بما اكتسبوا من درجات الإيمان، وبما اجتهدوا في الدنيا، لاكتساب الصالحات، وإخلاص العبادة لله سبحانه.

وقد شهد القرآن الكريم ـ كما جاء في سورة الإنسان (الدهر) ـ على كمال إخلاص الزهراء عليها السلام، وخشيتها لله سبحانه، وعظيم إيمانها به وباليوم الآخر، إيماناً صاغ منها مثالاً يُحتذى به كما شهد الرسول صلى الله عليه وآله لها قائلاً: «إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها، ففرغت لطاعة الله»[1]، و«إنّها متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله،

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٤٦، ٥٦ ـ ٥٨ والمشاش، رأس العظيم اللين.

زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّوجلّ لملائكته: يا ملائكتي، انظروا إلى أمتي فاطمة، سيّدة إمائي، قائمة بين يديّ، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أُشهدكم أنّي قد آمنتُ شيعتها من النار»[١].

وقال الحسن بن علي عليه السلام: «رأيت أمّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أُمّاه، لِمَ لا تدعينَ لنفسكِ كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بُنـيّ! الجار ثم الدار»[٢].

وكانت تخصّص الساعات الأخيرة من نهار الجمعة للدعاء. كما كانت لا تنام الليل في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، وكانت تحثّ جميع من في بيتها على إحياء الليل بالعبادة والدعاء.

وقال الحسن البصري: ما كان في هذه الأمّة أعبد من فاطمة: كانت تقوم حتّى تورّمت قدماها[٣]. وكانت تنهج في صلاتها من خوف الله تعالى[٤].

وهل خرجت فاطمة عليها السلام في حياتها كلّها عن المحراب؟ فهي في البيت تعبد الله في حسن التبعّل، وفي تربية أولادها. وهي في قيامها بالخدمات العامّة كانت تطيع الله وتعبده أيضاً. كما أنّها في مواساتها للفقراء كانت تقوم بعبادة الله، مؤثرة على نفسها ولو كان بها خصاصة.

---

١. المصدر السابق.
٢. أمالي الصدوق، المجلس ٢٤، ص ١٠٠.
٣. عدّة الداعي، ص ١٣٩.
٤. المصدر السابق.

حنانها وشفقتها وتدبيرها

لمست الزهراء عليها السلام من أبيها حبّه ومودّته وحنانه وشفقته، فكانت نعم البرّة به صلى الله عليه وآله: أخلصت له في حبّها وولائها ووفائها له، فآثرته على نفسها. وكانت تتولّى تدبير بيت أبيها صلى الله عليه وآله، وتقوم بإدارته، فتنجز ما يصلحه، وتبعث فيه الهدوء والراحة له. كما كانت تسارع إلى كلّ ما يرضي أباها رسول الله صلى الله عليه وآله: تسكب له الماء ليغتسل، وتهيّئ له طعامه، وتغسل ثيابه، فضلاً عن اشتراكها مع النساء لحمل الطعام والشراب، وسقاية الجرحىٰ ومداواتهم.

وفي غزوة أُحُد داوَتْ جراح أبيها حينما رأت أنّ الدم لا ينقطع؛ اذ أخذت قطعة حصير، فأحرقته حتّى صار رماداً، ثم ذرّته على الجرح، فاستمسك الدم.

وجاءته في حفر الخندق بكسرةٍ من خبز، فرفعتها إليه فقال: «ما هذه يا فاطمة؟ قالت: من قرص اختبزته لابنيّ، جئتك منه بهذه الكسرة. فقال: يا بنيّة، أما إنّها لأوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام»[1].

وقد استطاعت الزهراء عليها السلام أن تملأ الفراغ العاطفي، الّذي عاشه الرسول صلى الله عليه وآله بعد فقده أبويه وزوجته الكريمة، خديجة الكبرىٰ، في أقسىٰ ظروف الدعوة والجهاد في سبيل الله.

ومن هنا نفهم مغزى ما تكرّر على لسانه صلى الله عليه وآله من أن «فاطمة أُمُّ أبيها»[2].

---

١. عوالم العلوم (سيّدة النساء)، ج ١، ص ٢٤٤ عن مجمع الزوائد، ج ١، ص ٣١٢.

٢. راجع أُسد الغابة، ج ٥، ص ٥٢٠ والاستيعاب، ج ٤، ص ٣٨٠.

كان يعاملها معاملة الأم: يقبّل يدها، ويبدأ بزيارتها عند عودته إلىٰ المدينة، كما كان يودّعها، وينطلق من عندها في كلّ رحلاته وغزواته، فكان يتزوّد من هذا المنبع الصافي عاطفةً وبركةً لسفره ورحلته.

كما كان يكثر التردّد عليها، فتقابله فاطمة عليها السلام كما تقابل الأُم ولدها، فترعاه وتحتضنه وتخفّف آلامه، كما كانت تخدمه وتطيعه.

جهادها المتواصل

ولدت فاطمة في حدّة الصراع بين الإسلام والجاهليّة، وفتحت عينيها والمسلمون في شدّة الجهاد مع الوثنيّة الجائرة. لقد فرضت قريش الحصار على رسول الله صلى الله عليه وآله وبني هاشم جميعاً، فدخل الرسول صلى الله عليه وآله مع زوجته المجاهدة وابنته الطاهرة الشِعب، وحاصرتهم قريش ثلاث سنين، وأذاقتهم فيها ألوان الحرمان، وشظف العيش، إلّا أنهم جاهدوا في الله؛ دفاعاً عن الحقّ وتضحية من أجل المبدأ.

ومرّت سنون الحصار صعبة ثقيلة، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله منها منتصراً، وشاء الله أن يختار خديجة لجواره، في ذلك العام، كما توفّي فيه أبوطالب، عمّ الرسول صلى الله عليه وآله وحامي الدعوة، وناصر الإسلام، وأخذ الحزن والأسىٰ بقلب الرسول صلى الله عليه وآله بعد فَقده أحبَّ الناس إلى قلبه وأعزّهم عليه. وهكذا رُزئت فاطمة عليها السلام وهي لم تشبع بعدُ من حنان الأُمومة، وشاطرت أباها المأساة والألم، بالرغم من أنّها قد فقدت أُمّها، مصدر الحنان الثرّ، وكان الرسول يحاول دائماً أن يعوّض لها من حبّه ما فقدته من حنان أمّها الكبير.

ولقد صبّت قريش كلّ حقدها وأذاها على الرسول صلى الله عليه وآله ، بعد وفاة عمّه وحاميه، وكانت الزهراء عليها السلام ترى بأُمّ عينيها ما يقوم به سفهاء قريش وطغاتهم من انتقاصهم للرسول وايذائه، وهو يريد إخراجهم من الظلمات إلى النور.

أمّا الرسول صلى الله عليه وآله فكان يحاول أن يخفّف عنها عبء الألم، ويحثّها على الصبر قائلاً: «لا تبكي يا بنيّة؛ فإنّ الله مانع أباك وناصره على أعداء دينه ورسالته»[1] وهكذا كان يزرع الرسول في نفس ابنته روحاً جهادية عالية، ويملأ قلبها بالصبر والثقة بالنصر.

وهاجرت الزهراء عليها السلام بعد هجرة أبيها إلى المدينة مِن جوّ مكّة المرعب، مع ابن عمّها عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، الّذي استهان بكبرياء قريش وغرورها، والتحق بالرسول صلى الله عليه وآله في قُبا، بعد أن تورّمت قدماه من المشي.

وانتقلت الزهراء عليها السلام إلى بيت زوجها المتواضع في المدينة، بعد أن أرسى أبوها صلى الله عليه وآله دعائم دولته المباركة، وشاركته في جهاده صابرة، على قساوة الحياة، ومصاعب الجهاد في سبيل الله، وهي تحاول أن تقدّم صورة نموذجية لحياة عائلية جديدة.

كما لعبت الزهراء عليها السلام دوراً بارزاً وكبيراً في نصرة الحقّ، والدفاع عن وصية الرسول صلى الله عليه وآله ، حينما وقفت، صارخة بشكل لا مثيل له، ضد الانحراف، وإلى جانب وليّها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في أحرج أيّام حياته، لتوكّد أن الجبهة الداخلية في حياة عليّ عليه السلام صامدة، لا تشعر

---

١. سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله، ص ٢٩٥.

بالضعف، ولكنّها تترك تقدير الظروف وانتخاب الموقف لقائدها وزوجها الإمام، ليقرّر ما هو الأنسب بالظروف.

لقد كانت الزهراء عليها السلام تأتي إلى قبور الشهداء في منطقة أُحُدُ كلَّ غداة سبت، وتترحّم عليهم وتستغفر لهم.

إنّ هذه الممارسات تفصح عن مدى تقدير فاطمة عليها السلام للجهاد وللشهادة، وتعبّر بوضوح عن قيم حياتها العملية، الّتي بدأت بالجهاد واعتمدت عليه وانتهت به لتصل إلى درجة الشهادة[١].

---

١. أنظر: فاطمة الزهراء وترٌ في غمد، من مقدّمة السيّد موسى الصدر.

الخلاصة:

* كانت الزهراء على هدي أبيها في كلّ مجال، وشهد لها النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ الله قد ملأ قلبها وجوارحها ايماناً بالله تعالى، كما شهد لها معاصروها بأنّها كانت من أعبد أهل زمانها.

كما عرفت بحنانها على أبيها حتّى آثرته على نفسها وبنيها وسمّاها بأمّ أبيها.

* وقد حملت وسام الجهاد في سبيل ربّها ورسالة أبيها قبل زواجها و بعده، ووقفت صامدة أمام الأعاصير بعد رحيل أبيها، لتنير درب الحقّ للسالكين.

الأسئلة:

١. صف عبادة الزهراء عليها السلام.

٢. في أيّ المعارك شاركت الزهراء عليها السلام أباها؟

٣. كيف خفّفت الزهراء عليها السلام من معاناة أبيها صلى الله عليه وآله؟

٤. ماهي أهم خصائص الزهراء عليها السلام كأمّ؟

٥. ما هو دور الزهراء عليها السلام في تثبيت دعائم الرسالة المهديّة؟

الدرس ١٩

من تراث الزهراء فاطمة عليها السلام

١ . عن فاطمة بنت رسول الله: أنّها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فبسط ثوباً وقال لها: اجلسي عليه، ثمّ دخل الحسن فقال له: اجلس معها، ثمّ دخل الحسين فقال له: اجلس معهما، ثمّ دخل عليٌّ فقال له: اجلس معهم، ثمّ أخذ بمجامع الثوب فضمَّه علينا، ثمّ قال: اللّهمّ هم منّي وأنا منهم، اللّهمّ ارض عنهم كما أنّي عنهم راض[١].

٢ . عن محمّد بن عمر الكناسي عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عن فاطمة الصغرى عن الحسين بن عليّ عن فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله قالت: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنَّ الله عزّوجلّ باهى بكم، فغفر لكم عامّة، وغفر لعليّ خاصّة، وإنّي رسول الله إليكم، غير هائب لقومي ومحاب لقرابتي. هذا جبرئيل عليه السلام يخبرني: إنَّ السعيد كلَّ السعيد حقَّ السعيد من أحبَّ عليّاً في حياتي وبعد وفاتي»[٢].

---

١. دلائل الإمامة، ٢ و ٣، وح ٣٤ قد تقدّم في الفصل السابق تحت الرقم ١٦ من طريق العامّة.

٢.) «أسنى المطالب» لشمس الدين الجزريّ، ٧٠.

٣. عن عليّ عن فاطمة عليها السلام قالت: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، من صلّى عليك غفر الله له، وألحقه بي حيث كنت من الجنّة»[١].

٤. عن زينب ابنة عليّ، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: أما إنّك يا عليُّ وشيعتك في الجنّة[٢].

٥. وقالت سلام الله عليها: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها: أما ترضين أنّي زوَّجتك أوَّل المسلمين إسلاماً، وأعظمهم علماً؟ فإنّك سيِّدة نساء العالمين كما سادت مريم نساءَ قومها[٣].

٦. عن سهل بن سعد الأنصاريّ قال: سُئلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأئمة فقالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ عليه السلام يا عليُّ أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فابنه عليُّ بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليٌّ فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه عليٌّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليٌّ فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فاذا مضى محمّد فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه الحسن

---

١. كشف الغمّة، ج ١، ص ٤٧٢.

٢. دلائل الإمامة، ٢ و ٣، ومثله في احقاق الحق، ج ٧، ص ٣٠٧، وينابيع المودَّة، ٢٥٧.

٣. «أسنى المطالب» للعلّامة الوصّاني اليمنّي، مخطوط.

أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالقائم المهديُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمّة الحق، وألسنة الصدق، منصور من نصرهم، مخذول من خذلهم»[١].

٧ . وإلى مقاصد التشريع الاسلامي أشارتعليها السلام بقولها: «جعل الله الإيمانَ تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاةَ تزكيةً للنفس، ونماءً في الرزق، والصيامَ تثبيتاً للإخلاص، والحجَّ تشييداً للدين، والعدْلَ تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهادَ عِزّاً للإسلام، والصّبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام مِنْسأة في العمر و منماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وتركالسرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشركإخلاصاً له بالربوبيّة».

٨ . وسألت الزهراء أباها صلى الله عليه وآله فقالت: «يا أبتاه! ما لمنتهاون بصلاته من الرجال والنساء؟» قال: «يا فاطمة، من تهاون بصلاته من الرجال و النساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ستّ منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره»».

٩ . وقالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: اياكِ والبخل؛ فإنّه عاهة لاتكون في كريم. اياك والبخل، فإنّه شجرة في النار، وأغصانها في الدنيا، فمن

---

١. راجع كفاية الأثر، ١٩٣ ـ ٢٠٠.

تعلّق بغصن من أغصانها أدخله النار. وعليكِ بالسخاء؛ فإنّ السخاء شجرة من شجر الجنّة، أغصانها متدلّية إلى الأرض، فمن أخذ منها غصناً قاده الغصن إلى الجنّة[١].

١٠. وقالت عليها السلام: «البشر في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنّة، والبشر في وجه المعاند المعادي يقي صاحبه عذاب النار»[٢].

١١. وقالت عليها السلام: «من أصعد إلى الله خالص عبادته، أهبط الله إليه أفضل مصلحته»[٣].

١٢. وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه عن المرأة: ما هي؟ قالوا: عورةٌ. قال: فمتى تكون أدنى من ربّها؟ فلم يدروا. فلمّا سمعت فاطمة عليها السلام ذلك قالت: «أدنى ما تكون من ربّها أن تلزم قعر بيتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله «إنَّ فاطمة بضعة منّي»[٤].

١٣. وقالت عليها السلام في وصف ما هو خير للنساء: «خير لهنَّ ألّا يرين الرجال ولا يرونهنَّ»[٥].

١٤. وعن عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السلام: «أنَّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبيُّ صلى الله عليه وآله: لِمَ حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشمّ الريح، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: أشهد أنّك بضعة منّي»[٦].

---

١. أهل البيت لتوفيق أبو علم، ١٣٠ ـ ١٣١.
٢. تفسير الإمام، ٣٥٤، والمراد من الفقرة الثانية مداراة النواصب تقيّةً منهم.
٣. بحارالانوار، ٧١ ج، ص ١٨٤.
٤. بحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٩٢.
٥. حلية الأولياء، ج ٢، ص ٤٠.
٦. ملحقات إحقاق الحق، ج ١٠، ص ٢٥٨.

الخلاصة:

* الروايات المأثورة عن الزهراء فاطمة عليها السلام شاهد صدق علىٰ سعة ثقافتها، وارتوائها من معين الرسالة الثر.

وللزهراء عليها السلام خطبتان بليغتان مشهورتان تمثلان عمق ثقافتها، وسعة علومها المختلفة.

وقد سجّل التاريخ دورها الريادي في كشف النقاب عن أخطر مؤامرة مرّت بها الرسالة الالهية والدولة الاسلامية والامة المسلمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، من خلال هاتين الخطبتين البليغتين.

* وقد اعتنت الزهراء عليها السلام بالمرأة المسلمة والأسرة المسلمة بمواقفها وكلماتها و إرشاداتها وكانت نموذجاً رائعاً للمرأة المسلمة العالمة والإنسانة الرائدة والقدوة الحسنة لكلّ بنات حوّاء ومن هنا حازت على وسام «سيّدة النساء العالمين».

الأسئلة:

١ . اذكرنماذج منفلسفة التشريع الإلهي في تراث الزهراء عليها السلام ؟

٢ . ماهو موقف الزهراء من الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

٣ . ماالدليل على اهتمام الزهراء بحديث الرسول صلى الله عليه وآله ؟

٤ . ماهي سيرة الزهراء عليها السلام في كيفيّة التعامل مع الرجال؟

٥ . كيف ينبغي أن يكون المؤمن؟

٦ . من هو السعيد حقّ السعيد في كلام الزهراء عليها السلام ؟

الدرس ٢٥

الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام (٣ ـ ٥٠ هـ)

النسب المُشرق

الامام الحسن عليه السلام حفيد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وسبطه الأكبر، وأحد سيّديّ شباب أهل الجنّة، وأحد اثنين انحصرت بهما ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأحد الأربعة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وأحد الثقلين الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسّك بهما. وهو أيضاً ثاني الأئمة الاثني عشر، الذين استخلفهم خاتم المرسلين على أمته من بعده وأبوه سيّد الوصيّين علي، أميرالمؤمنين وأمّه سيّدة نساء العالمين، فاطمة الطهر البتول؛ فما أشرفه من نسب.

تاريخ الولادة

لمّا حان وقت ولادة الزهراء عليها السلام ـ في النصف من شهر رمضان المبارك في السنة الثالثة للهجرة ـ النبوية المباركة ـ بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وآله أسماء بنت عميس وأُمّ أيمن، فقرأتا عليها آية الكرسي والمعوّذتين.

ولمّا أُذيع نبأ الولادة غمرت موجات السرور والفرح قلب النبي ﷺ، فسارع إلى بيت ابنته ليهنئها بمولودها الجديد، ويبارك لأخيه وابن عمّه أميرالمؤمنين، ويفيض على وليدهما من مكرمات نفسه.

ونادى أسماء قائلاً: «يا أسماء: هاتيني ابني...». فدفعته إليه وهو في خرقة صفراء، فرماها النبيّ وقال: «ألم أعهد إليكم أن لا تلفّوا المولود في خرقة صفراء؟!». وقام ﷺ فسرّأه، وألباه بريقه[١]، وضمّه إلى صدره، ورفع يديه بالدعاء له قائلاً: «اللهمَّ إنّي أُعيذه بك، وذريّته من الشيطان الرجيم...»[٢].

وأجرى النبي ﷺ السنةالإسلامية على مولوده المبارك وهي كما يلي:

١. أذّن ﷺ في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى[٣]؛ إذ «إنّ ذلك عصمة للمولود من الشيطان الرجيم»[٤].

٢. وسأل الرسول ﷺ أخاه عليه السلام، عن تسميته لوليده، فأجابه قائلاً: «ما كنت لأسبقك يا رسول الله».

فقال له النبي ﷺ: «ما كنت لأسبق ربّي».

---

١. سرّأه: قطع سرّته، وألباه بريقه، مأخوذ من اللباء، وهو أول اللبن عند الولادة، والمراد أنّه ﷺ أطعمه بريقه كما يطعم الصبيّ اللباء.

٢. دائرة المعارف (للبستاني)، ج ٧، ص ٣٨.

٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٣٩١ وصحيح الترمذي، ج ١، ص ٢٨٦ وقيل: إنّه لم يفعل ذلك بنفسه، وانّما أوعز إلى أسماء بنت عميس وأُمّ سلمة أن تفعلا ذلك به ساعة الولادة. ذكره الشبلنجي في نورالأبصار، ص ١٠٧.

٤. حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام، ج ١، ص ٦١.

وإذا بالوحي يناجي الرسول، ويحمل له «التسمية» من الحق تعالىٰ إذ يقول له جبرائيل: سمّه «حسناً»[١].

٣. وانطوت سبعة أيام على ولادة سبط الرسول صلى الله عليه وآله، فاتّجه إلى بيت فاطمة عليها السلام؛ ليقوم ببعض التكريم والاحتفاء، فجاء بأقصىٰ ما عنده من البر والتوسعة، فعقّ عنه بكبش واحد[٢]، وأعطى القابلة منه الفخذ، وصار فعله هذا سنّة لأُمّته من بعده.

٤. وحلق رأسه، وتصدّق بوزنه فضّة على المساكين[٣]، وطلى رأسه بالخَلوق[٤].

٥. ختنه في اليوم السابع من ولادته[٥]؛ فإنّ ختان الطفل في ذلك الوقت أطيب له وأطهر[٦].

---

١. تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٧٠ وجاء فيه أنّ أمين الوحي جبرئيل هبط على النبي صلى الله عليه وآله فقال له: إنّ ربّك يقرئك السلام ويقول لك: «عليّ منك بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبي بعدك فسمّ ابنك هذا باسم ولد هارون فسأله صلى الله عليه وآله: وما كان اسم ابن هارون يا جبرئيل؟ فقال: شبّر، فقال له صلى الله عليه وآله: إنّ لساني عربيّ فقال: سمّه الحسن» ففعل ذلك.

٢. تأريخ الخميس، ج ١، ص ٤٧٠ ومشكل الآثار، ج ١، ص ٤٥٦، وحلية الأولياء، ج ٧، ص ١١٦.

٣. تأريخ الخميس، ج ١، ص ٤٧٠، ونور الأبصار، ص ١٠٧ وصحيح الترمذي، ج ١، ص ٢٨٦ وجاء فيها أنّ زنة شعره كانت درهماً أو بعض درهم.

٤. الخلوق، طيب مركّب من زعفران وغيره، وفي بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٦٨ أنّ أهل الجاهلية كانوا يطلون رأس الصبيّ بالدم، فقال صلى الله عليه وآله: «الدم من فعل الجاهلية»، ونهى أسماء عن فعل ذلك.

٥. نور الأبصار، ص ١٠٨.

٦. أنظر جواهر الكلام، كتاب النكاح، إذ روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «طهّروا أولادكم يوم السابع فإنّه أطيب وأطهر، وأسرع لنبات اللحم، وأنّ الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين يوماً».

٦ . وكنّاه النبي ﷺ بأبي محمّد[١]، ولا كنية له غيرها[٢].

٧ . ولقب الإمام الحسن عليه السلام بالسبط، والزكـي، والمـجتبىٰ، والسـيّد، والتقيّ.

ملامحه

كانت ملامحه تحاكي ملامح جدّه الرسول الأعظم ﷺ؛ فقد حـدّث أنس بن مالك قائلاً: لم يكن أحد أشبه بالنبيّ من الحسن بن عليّ[٣].

وكما شابه جدّه في صورته وملامحه، فقد شابهه في سموّ أخـلاقه، الّتي امتاز بها على سائر النبيّين عليهم السلام[٤].

واتّفق الرواة على أنّ الحسن عليه السلام قد ورث من جدّه العـظيم أخـلاقه الكريمة، فلم يؤثَر عنه أنّه قابل مسيئاً بإساءَتِه، أو جازى مذنباً بذنبه، وإنّما كان يَسَعَهم بعظيم أخلاقه، ويغدِق عليهم بالبرّ والمعروف.

---

١. أُسد الغابة، ج ٢، ص ٩.

٢. الكنية، هي الّتي تصدّر بأب أو أُمّ، وهي من سنن الولادة فعن الإمام محمّد الباقر عليه السلام: «إنّا لنكنّي أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم».

٣. فضائل الأصحاب، ١٦٦، وفـي صـحيح التـرمذي، ج ٢، ص ٣٠٧ عـن عـلي عليه السلام قـال: «الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه بالنبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك»، وفي الإصابة عن البهي قال: تذاكرنا من أشبه النبي ﷺ من أهله؟ فدخل علينا عبدالله بن الزبير، فقال: أنا أُحدّثكم بأشبه أهله به، وأحبّهم إليه: الحسن بن عليّ، ورواه الهيثمي في مجمعه، ج ٩، ص ١٧٥.

٤. تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٠. وعن الغزالي في احياء العلوم، أنّ رسـول الله ﷺ قـال للحسن: «أشبهت خلقي و خُلقي».

مراحل حياته

عاش الإمام الحسن عليه السلام ٤٧ سنة، قضى ما يزيد على سبع سنين منها مع جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، وثلاثة عقود مع أبيه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. بينما قضى عقداً واحداً بعد أبيه عليه السلام. وبهذا يمكن أن نقسّم مراحل حياته إلى مايلي:

١. حياته في ظل جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. (٣ هـ - ١١ هـ)

٢. حياته في ظلّ إمامة أبيه المرتضىٰ عليه السلام. (١١ هـ - ٤٠ هـ)

٣. حياته بعد أبيه عليه السلام. (٤٠ هـ - ٥٠ هـ)

نشأته

١. لقد نشأ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في أحضان جدّه رسول الله، وتغذّى من معين رسالته وأخلاقه ويسره وسماحته، وظلّ معه في رعايته، حتّى اختار الله لنبيّه دار خلده، بعد أن ورّثه هديه وأدبه وهيبته وسؤدده، وأهّله للإمامة الّتي كانت تنتظره بعد أبيه، وقد صرّح بها جدّه في أكثر من مناسبة حينما قال: «الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا، اللهمّ إنّي أُحبّهما، فأحبّ من يحبّهما»[1].

٢. وبقي الإمام المجتبىٰ عليه السلام بعد جدّه في رعاية أُمّه الزهراء، الصدّيقة الطاهرة، وأبيه سيّد الوصيّين. الّا أنّه ما لبث أن طوىٰ الصفحة الثانية من حياته برحيل أُمّه الزهراء عليها السلام.

---

١. راجع المناقب (لابن شهر آشوب)، ج ٣، ص ٣٨١ - ٣٨٥.

٣ . وأشرف الإمام على دور الشباب في خلافة عمر، وانصرف مع أبيه إلى تعليم الناس، وحلّ مشاكلهم.

٤ . لقد وقف الإمام الحسن الزكي إلى جانب أبيه عليه السلام في عهد عثمان، وهو يضع حدّاً للفساد، الّذي كان ينتشر في جسم الأُمّة والدولة الإسلامية آنذاك.

٥ . لقد كان الحسن بن عليّ (السبط) إلى جانب أبيه عليه السلام في كلّ ما يقول ويفعل، واشترك معه في جميع حروبه، وكان يتمنّى على أبيه أن يسمح له بمواصلة القتال، وخوض المعارك عندما يتأزّم الموقف، بينما كان أبوه شديد الحرص عليه، وعلى أخيه الحسين عليه السلام خشية أن ينقطع بقتلهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله[1]، وبقي الحسن عليه السلام إلى جانب أبيه أميرالمؤمنين إلى آخر لحظة، وكان يعاني ما يعانيه الإمام علي عليه السلام من أهل العراق، ويتألّم لآلامه، وهو يرىٰ معاوية الطليق يبثّ دعاته، ويغري القادة من جيش أبيه بالأموال والمناصب، حتّى فرّق أكثرهم، وأصبح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل[2]. حتّىٰ استُشهد الامام عليه السلام، وورث خليفته ووصيّه الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام تلك الأعاصير والتحدّيات.

---

١. حياة الإمام الحسن بن عليّ: ج ١، ص ٤٩٧.

٢. راجع نهج البلاغة، الخطبة ٢٥.

الخلاصة:

* الحسن السبط عليه السلام فرع الشجرة النبوية ، الّتي حباها الله بالرحمة ، وتعهّدها الرسول صلى الله عليه وآله بالعناية والاهتمام. ولد في بدايات تأسيس الكيان الإسلامي في المدينة المنوّرة ، وفي أوج الصراع بين الإسلام والكفر ، وحروب الدفاع عن الإسلام الّتي كان يقودها النبي صلى الله عليه وآله.

* بلغ اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بسبطه المبارك غايته ، فأجرىٰ له مراسيم الولادة الّتي أصبحت سنّة للمسلمين من بعده.

* أشار النبي صلى الله عليه وآله إلى ارتباط سبطه الزكي بالسماء منذ ولادته ، فلم يطلق عليه اسماً حتّى نزل الوحي بتسميته بالحسن ، وصرّح صلى الله عليه وآله بإمامته أمام المسلمين في أكثر من مناسبة ، ووجّه الناس لمحبّته وإطاعته.

* في أجواء محمومة ومشحونة بالخلاف والتوتر والانهيار ، استلم الإمام الحسن عليه السلام عهده بالإمامة بوصية من أبيه عليه السلام ، وقام بحنكة وسياسة ودراية بمعالجة الموقف. ثم اضطر الى أن يهادن معاوية والفئة الضالّة معه ؛ حفاظاً على الدين والأمّة.

الأسئلة:

١ . ماهي المراسم الّتي أجراها النبي ﷺ لسبطه الحسن عليه السلام عند ولادته؟

٢ . ماهي وجوه الشبه بين الإمام الحسن عليه السلام وجدّه المصطفى ﷺ ؟

٣ . ماهي كنية الإمام الحسن السبط عليه السلام ؟

٤ . ماهي ألقابه المباركة؟ وماذا يعني كلٌّ منها؟

٥ . تكلّم عن مراحل حياته باختصار.

٦ . اذكر أهمّ ما جرى للإمام الحسن عليه السلام منذ نشأته حتى استشهاد أبيه.

الدرس ٢١

انطباعات عن شخصيّة الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام

١. الإمام المجتبىٰ في آيات الذكر الحكيم

لم تتّفق كلمة المسلمين في شيء كاتّفاقهم علىٰ فضل أهل البيت عليهم السلام، وعلوّ مقامهم العلمي والروحي، وانطوائهم على جميع الكمالات الّتي أراد الله للإنسانية أن تتحلّىٰ بها.

والإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام هو أحد أهل البيت، المطهّرين من الرجس بلاريب[1]، وهو ابن رسول الله بنصّ آية المباهلة.

وقد خلّد القرآن الكريم هذا الحدث بمداليله العميقة حينما قال:

﴿فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[2].

---

١. الاحزاب: ٣٣.　　٢. آل عمران: ٦١.

روىٰ جمهور المحدّثين بطرق مستفيضة أنّها نزلت في أهـل البـيت، وهم: رسول الله وعليّ وفـاطمة والحسـن والحسـين عليهم السلام، والأبـناء هـما الحسنان.

كما تضمّن الحديث المستفيض عن الرسـول صلى الله عليه وآله بأنّـهم خـير أهـل الأرض، وأكرمهم على الله، ولهذا السبب أرد أن يـباهل بـهم. واعـترف أسقف نجران بذلك قائلاً:

أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله[١].

وهكذا دلّت الحادثة كما دلّت الآيـة عـلى عـظيم مـنزلتهم، وسـموّ مكانتهم، وأفضليّتهم، وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله ورسوله، وأنّهم لا يدانيهم في فضلهم أحد من العالمين.

ولم ينصّ القرآن الكريم عـلى عـصمة أحـد ـ غـير النـبي صلى الله عليه وآله مـن المسلمين ـ سوى أهل البيت الّذين طهّرهم الله من الرجس تطهيراً[٢]. ولم يختلف المسلمون في دخول عليّ والزهراء والحسنين عليهم السلام في ما تضمنته الآية المباركة[٣].

---

١. نور الأبصار، ١٠٠، وراجع تفسير الجلالين، وروح البيان، والكشاف والبيضاوي، والرازي، وصحيح الترمذي، ج ٢، ص ١٦٦، وسنن البيهقي، ج ٧، ص ٦٣، وصحيح مسلم، كـتاب فضائل الصحابة، ومسند أحمد، ج ١، ص ٨٥، ومصابيح السنة، ج ٢، ص ٢٠١.

٢. الأحزاب: ٣٣.

٣. راجع التفسير الكبير للفخر الرازي، تفسير النـيسابوري، وصـحيح مسـلم، ج ٢، ص ٣٣ وخصائص النسائي، ص ٤، ومسند أحمد، ج ٤، ص ١٠٧، وسنن البيهقي، ج ٢، ص ١٥٠، ومستدرك الحاكم، ج ٢، ص ٤١٦، وأُسد الغابة، ج ٥، ص ٥٢١.

ومن هنا نفهم السبب في وجوب مودّتهم عليهم السلام، وضرورة الالتزام بخطّهم دون من سواهم.

كما ذكرَ ابن عباس بأنّ آية المودّة في القربىٰ حينما نزلت، سأل بعض المسلمين رسول الله صلى الله عليه وآله عن مصداق القرابة الّتي أوجبها على المسلمين فأجاب قائلاً: «إنّهم علي وفاطمة وابناهما»[1].

وأشار القرآن الحكيم إلىٰ أسباب هذا التفضيل في سورة الإنسان، الّتي نزلت لبيان ما انطوى عليه أهل البيت عليهم السلام من الإخلاص في الطاعة والعبادة لله بقوله تعالىٰ: ﴿إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً* إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً* فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرةً وسروراً* وجزاهم بما صبروا جنّةً وحريراً﴾[2].

روىٰ جمهور المفسّرين والمحدّثين أن هذه السورة المباركة نزلت في أهل البيت، بعدما مرض الحسنان ونذر الإمام والزهراء عليهما السلام صيام ثلاثة أيام شكراً لله إن برئا. فوفوا بنذورهم، وجسّدوا فيه أروع أنواع الإيثار حتّى نزل قوله تعالىٰ: ﴿إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً* عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً* يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً...﴾[3] فشكر الله سعيهم على هذا الإيثار والوفاء بما أورثهم في الآخرة من مقام شامخ، وبما حباهم من موقع ريادي للمسلمين في الدنيا، حتّى يرث الأرض ومن عليها.

---

١. راجع تفسير الكبير والدّر المنثور، ج ٧ وتفسير الطبري، ج ٥، ص ١٦.

٢. الإنسان: ٩ ـ ١٢.	٣. الإنسان: ٥ ـ ٧.

٢. مكانة الإمام المجتبىٰ لدى خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله

لقد خصّ الرسول الأعظم حفيديه الحسن والحسين عليهما السلام بأوصاف تنبئ عن عظيم منزلتهما لديه، فقد قال صلى الله عليه وآله:

١. الحسن والحسين ريحانتاي[١] من الدنيا، والحسن والحسين ريحانتاى من هذه الأُمّة[٢].

٢. الحسن و الحسين خير أهل الأرض[٣].

٣. الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة[٤].

٤. الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا[٥].

٥. وهما من (أهل البيت) ومن العترة الّتي لا تفترق عن القرآن إلى يوم القيامة، فلن تضلّ أُمّةٌ تمسّكت بهما[٦].

٦. وَمَثَلُ أهل البيت كمثل سفينة نوح: من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق[٧].

٧. وهما ممّن قال عنهم جدّهم صلى الله عليه وآله: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف»[٨].

٨. وعن أنس أن رسول الله سُئِل: أيّ أهل بيتك أحبُّ إليك؟ قال:

---

١. صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٨٨.
٢. سنن الترمذي، ص ٥٣٩.
٣. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٦٢.
٤. سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٥٦ والترمذي، ص ٥٣٩.
٥. المناقب لابن شهرآشوب، ج ٣، ص ١٦٣ نقلاً عن مسند أحمد وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه.
٦. جامع الترمذي، ص ٥٤١ ومستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٠٩.
٧. حلية الأولياء، ج ٤، ص ٣٠٦.
٨. مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٤٩.

«الحسن والحسين». وكان يقول لفاطمة عليها السلام: «أدعي لي إبنيّ»، فيشمّهما ويضمّهما إليه![١]

٣. مكانة الإمام المجتبى عليه السلام لدى معاصريه

١ . سأل معاوية جلساءه: مَنْ أكرم الناس أباً وأُمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّةً وخالاً وخالةً؟ فقالوا: أميرالمؤمنين أعلم. فأخذ بيد الحسن بن علي وقال: هذا، أبوه عليّ بن أبي طالب، وأمّه فاطمة ابنة محمّد، وجدّه رسول الله، وجدّته خديجة، وعمّه جعفر، وعمّته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن محمّد، وخالته زينب بنت محمّد[٢].

٢ . وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت الحسن إلّا فاضت عيناي؛ وذلك أنّي رأيت رسول الله يدخل فَمهُ في فمِهِ، ثم يقول: «اللهمَّ إنّي أُحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه»، يقولها ثلاث مرّات[٣]. وقال: لاأزال أُحبّ هذا الرجل ـ يعني الحسن ـ بعدما رأيت رسول الله يصنع به ما يصنع[٤].

٣ . وحينما بادر مروان بن الحكم ـ وهو من ألدّ أعدائه ـ إلى حمل جثمانه الطاهر، استغرب منه الحسين عليه السلام قائلاً له: «أتحمل جثمانه، وكنت تجرّعه الغصص»؟! فأجابه مروان: كنت أفعل ذلك بمن كان يوازي حلمه الجبال[٥].

٤ . وقال عنه أبو الأسود الدؤلي: وإنّه لهو المهذّب، قد أصبح من

---

١. سنن الترمذي، ص ٥٤٠.
٢. أنظر العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٨٣.
٣. أنظر مختصر تأريخ دمشق (لابن عساكر)، ج ٧، ص ١٠.
٤. أنظر نور الأبصار، ص ١٧١.
٥. أنظر تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٩٨.

صريح العرب في غرّ لبابها، وكريم محتدها، وطيب عنصرها[١].

٥ . وقال عمرو بن إسحاق: ما تكلّم أحد أحبّ إليّ أن لا يسكت من الحسن بن عليّ، وما سمعت منه كلمة فحش قطّ[٢].

٦ . وقال عبدالله بن الزبير: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي: في هيبته وسموّ منزلته[٣].

---

١. حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ٢، ص ٢٤٧.

٢. أنظر بحارالانوار، ج ٤٣، ص ٣٥٨.

٣. أنظر البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٧.

الخلاصة:

* نصّ القرآن ـ وهو الكلام المعجز ودستور الحياة الخالد ـ علىٰ طهارة أهل البيت عليهم السلام ، ووجوب حبّهم ، ومتابعتهم ، والإيمان بولايتهم الّتي هي امتداد للولاية الإلهية ، فبهم دافع الله عن دينه الّذي ارتضاه لخلقه، كما شهد القرآن الكريم بفضل أهل البيت عليهم السلام ، وسموّ مكانتهم ، وإخلاصهم لله ورسالته. وكان الإمام الحسن عليه السلام من أبرز الشخصيات الّتي خصّها القرآن الكريم بالذكر مع سائر أهل البيت عليهم السلام .

* قرن رسول الله صلى الله عليه وآله سلامة العقيدة ونجاح الدولة الإسلامية ، بطاعة أهل البيت عليهم السلام ،كما ربط النجاة من النار بحبّهم وولايتهم. وأمر صلى الله عليه وآله المسلمين بطاعتهم في نصوص صريحة واضحة ، تدلّ على إمامتهم ، وخصّ بالذكر إمامة سبطه الحسن المجتبىٰ عليه السلام.

* لقد تسامىٰ الحسن السبط عليه السلام في عالم البشرية ؛ إذ كان يسطع نوراً وهدىً ونبلاً وفضيلةً حتّىٰ اضطرّ المخالف إلى الاعتراف بذلك قبل المُوالي والمحبّ ، فكان شمساً ساطعة في سماء العزّ والمجد والكرامة.

الأسئلة:

١ . ما هي الآية الّتي تشهد علىٰ عصمة الإمام الحسن السبط عليه السلام ؟

٢ . بيّن دلالة آية المباهلة على فضل الإمام الحسن عليه السلام .

٣ . كيف تدل سورة الإنسان على الموقع المتميز لأهل البيت عليهم السلام ؟

٤ . هل كان حبّ النبي صلى الله عليه وآله لسبطه الحسن عليه السلام بدافع العاطفة الأبوية؟ ولماذا؟

٥ . اذكر النصوص الّتي بيّن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله مكانة الإمام الحسن ، ودوره في الحياة الإسلامية.

للمطالعة

٤. مكانة الإمام المجتبى عليه السلام لدى العلماء والمؤرّخين

١. عن محمد بن إسحاق: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن؛ كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمرّ أحد من خلق الله؛ إجلالاً له. فإذا علم قام ودخل بيته، فمرّ النّاس. ولقد رأيته في طريق مكّة ماشياً، فما من خلق الله أحد رآه إلّا نزل ومشىٰ، وحتّى رأيت سعد بن أبي وقّاص يمشي[١].

٢. قال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني ـ وهو من أعلام القرن الخامس ـ عن الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام: هو سيّد الشباب، والمصلح بين الأقارب والأحباب، شبه رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيبه، سليل الهدىٰ وحليف أهل التقى، خامس أهل الكساء وابن سيّدة النساء، الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[٢].

٣. وقال ابن عبدالبرّ: لا أسود ممّن سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله سيّداً. وكان رحمة الله عليه حليماً ورعاً فاضلاً، دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا، رغبة فيما عندالله وقال: «والله ما أحببت ـ منذ علمت ما ينفعني وما يضرّني ـ أن آلي أمر أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله على أن يهراق في ذلك محجمة دم»[٣].

---

١. أنظر المناقب لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ١٤٨.

٢. راجع أخبار إصبهان، ج ١، ص ٤٤، طبعة ليدن، سنة ١٩٣١.

٣. الاستيعاب، ج ١، ص ٣٨٥، واعلم أنّ الملك والحكم إذا كان لإقامة حكم الله في الأرض فلايكون تركه زهداً وورعاً. وإنّما ترك الإمام القتال لانّ مسؤوليّة الإمام الشرعية في تلك

٤ . وقال ابن الأثير عنه: سيّد شباب أهل الجنّة، وريحانة النبي صلى الله عليه وآله، وهو خامس أهل الكساء[١].

٥ . وقال سبط ابن الجوزي: كان من كبار الأجواد، وله الخاطر الوقّاد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّه حبّاً شديداً[٢].

٦ . وقال الحافظ ابن كثير الدمشقي: وقد كان الصدّيق يجلّه ويعظّمه ويكرمه ويحبّه ويتفدّاه، وكذلك عمر بن الخطّاب... وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا، ويرى هذا من النعم عليه[٣].

٧ . وقال الحافظ ابن عساكر الشافعي: سبط رسول الله، وريحانته، وأحد سيِّدَي شباب أهل الجنّة...[٤].

٨ . وقال الحافظ السيوطي: سبط رسول الله، وريحانته وآخر الخلفاء بنصّه[٥].

٩ . وقال محمد بن طلحة الشافعي: كان الله قد رزقه الفطرة الثاقبة في إيضاح مراشد ما يعانيه، ومنحه النظرة الصائبة لإصلاح قواعد الدين ومبانيه[٦].

١٠ . وقال عبد القادر أحمد اليوسف: إنّ الحسن بن علي وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن تلاه من الأئمة المعصومين عليهم السلام يعتبرون أنفسهم أحقّ من غيرهم، لا بل هم المكلّفون بعد الرسول صلى الله عليه وآله بنشر الإسلام، والمحافظة على السنن، والشرائع المحمدية؛ لما لهم من وشائج القربىٰ، ونقاوة النفس، وتفهّم التنزيل[٧].

الظروف كانت تتطلب ذلك.

١. عن أُسد الغابة، ج ٢، ص ٩.

٢. تذكرة الخواصّ، ص ١١١.

٣. البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٧.

٤. مختصر تأريخ دمشق، ج ٧، ص ٥.

٥. تأريخ الخلفاء، ص ١٨٨.

٦. مطالب السؤول، ص ٦٥،

٧. الحسن بن عليّ (لعبد القادر أحمد اليوسف)، ص ٤٢.

الدرس ٢٢

من فضائل الإمام المجتبىٰ عليه السلام ومظاهر شخصيّته

عبادته

١ . روى المفضّل عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه: أنّ الحسن بن علي بن أبي‌طالب كان أعبد الناس في زمانه، وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حجّ حجّ ماشياً، وربّما مشىٰ حافياً.

وكان إذا ذكر الموت بكىٰ، وإذا ذكر القبر بكىٰ، وإذا ذكر البعث والنشور بكىٰ، وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكىٰ، وإذا ذكر العرض على الله ـ تعالى ذكره ـ شهق شهقة يغشىٰ عليه منها. وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربّه عزّوجلّ. وكان إذا ذكر الجنّة والنار اضطرب اضطراب السليم[1]، وسأل الله الجنّة، وتعوّذ به من النار.

وكان لايقرأ من كتاب‌الله عزّوجلّ ﴿يا أيّها الذين آمنوا﴾ إلّاقال: لبيّك اللهمَّ لبيّك. ولم يُرَ في شيء من أحواله إلّا ذاكراً لله سبحانه. كان أصدق الناس لهجةً، وأفصحهم منطقاً...[2].

---

١. السليم، مَن لسعته العقرب.

٢. راجع الأمالي للصدوق، ص ١٥٠ وبحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٣١.

٢ . لقد كان عليه السلام إذا توضّأ ارتعدت مفاصله، واصفرّ لونه. فقيل له في ذلك، فقال: «حقٌّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه، وترتعد مفاصله».

٣ . وكان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه، وقال: «ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم»[١].

٤ . وكان إذا فرغ من الفجر لم يتكلّم حتّى تطلع الشمس، وإن زحزح[٢].

٥ . وعن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام : «إنّ الحسن عليه السلام قال: إنّي لأستحي من ربّي أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته، فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليه»[٣].

٦ . وعن علي بن جذعان: أنّ الحسن بن علي عليه السلام خرج من ماله مرّتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرّات[٤].

حلمه وعفوه

لقد عُرف الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام بعظيم حلمه، حتّى قال عنه مروان بن الحكم ـ وهو ألدّ أعدائه ـ بأنّ حلمه كان يوازي الجبال.

وأدلّ دليل على عظيم حلمه هو صلحه مع معاوية، الّذي نازع

---

١. عن المناقب، ج ٣، ص ١٨٠، وبحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٣٣٩.
٢. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٣٩، وأخبار إصبهان، ج ١، ص ٤٤.
٣. المناقب، ج ٣، ص ١٨٠ وبحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٣٩.
٤. المصدر السابق.

علياً عليه السلام حقّه، وتسلّق من خلال ذلك إلى منصب القيادة والحكم.

وتحمّل بعد الصلح أشدّ أنواع التأنيب من خيرة أصحابه، فكان يواجههم بعفوه وأناته، ويتحمّل منهم أنواع الجفاء في ذات الله صابراً محتسباً.

ولم تُسمع منه قطّ كلمة فيها مكروه إلّا مرّة واحدة، فإنّه كان بينه وبين عمرو بن عثمان خصومة في أرض، فقال له الحسن عليه السلام: «ليس لعمرو عندنا إلّا ما يُرغم أنفه»[1].

وشتم مروان بن الحكم الحسن بن علي عليه السلام، فلمّا فرغ قال الحسن: «إنّي والله لا أمحو عنك شيئاً، ولكن مهّدك الله، فلئن كنت صادقاً فجزاك الله بصدقك، ولئن كنت كاذباً فجزاك الله بكذبك، والله أشدّ نقمةً منّي».

وروي أنّ غلاماً له عليه السلام جنى جنايةً توجب العقاب، فأمر به أن يُضرب فقال: يا مولاي ﴿والعافين عن الناس﴾[2]. قال: «عفوت عنك». قال: يا مولاي ﴿والله يحب المحسنين﴾[3]. قال: «أنت حرٌّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك»[4].

كرمه و جوده

إنّ السخاء الحقيقي هو بذل الخير بداعي الخير، وبذل الإحسان بداعي الإحسان، وقد تجلّت هذه الصفة الرفيعة بأسمىٰ معانيها في الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام حتّى لقّب بكريم أهل البيت عليهم السلام.

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٤٤.
٢. آل عمران، ١٣٤.
٣. آل عمران: ١٣٤.
٤. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٥٢.

لقد كان لا يعرف للمال قيمة سوى ما يردّ به جوع جائع، أو يكسو به عارياً، أو يغيث به ملهوفاً، أو يفي به دَيْنَ غارمٍ.

وقد كانت له جِفان واسعة أعدّها للضيوف.

وقيل له: لأيّ شيء لا نراك تردّ سائلاً؟ فأجاب: «إنّي لله سائل، وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأردَّ سائلاً، وإنّ الله عوّدني عادةً أن يفيض نعمه عليَّ، وعوّدته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشىٰ إن قطعت العادة أن يمنعني العادة»[١].

واجتاز عليه السلام يوماً على غلام أسود، بين يديه رغيف يأكل منه لقمة، ويدفع لكلب كان عنده لقمة أُخرىٰ، فقال له الإمام: «ما حملك على ذلك؟» فقال الغلام: إنّي لأستحي أن آكل ولا أطعمه.

وهنا رأى الإمام فيه خصلة حميدة، فأحبّ أن يجازيه على جميل صنعه، فقال له: «لا تبرح من مكانك». ثم انطلق فاشتراه من مولاه، واشترى الحائط (البستان) الّذي هو فيه، وأعتقه وملّكه إيّاه[٢].

تواضعه وزهده

إنّ التواضع دليل على كمال النفس وسموّها وشرفها، والتواضع لا يزيد العبد إلّا رفعةً وعظمةً. وقد حذا الإمام الحسن عليه السلام حذو جدّه وأبيه في أخلاقه الكريمة. وقد سجّل التاريخ بوادر كثيرة تشير إلى سموّ هذا الخلق الرفيع عند الإمام عليه السلام. لذا نشير إلىٰ شيءٍ منها:

---

١. أُنظر أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣١٩ والطبقات الكبرى، ج ١ ص ٢٣.

٢. راجع البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٨.

١ . اجتاز الإمام على جماعة من الفقراء قد وضعوا على الأرض كُسَيْرات، وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلمّ يابن بنت رسول الله إلى الغذاء. فنزل عليه السلام وقال: «إن الله لا يحبّ المستكبرين»، وجعل يأكل معهم حتّى اكتفوا والزاد على حاله ببركته، ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم[1].

٢ . ومرّ عليه السلام على صِبيانٍ يتناولون الطعام، فدعوه لمشاركتهم، فأجابهم إلى ذلك، ثم حملهم إلى منزله فمنحهم بِرّه ومعروفه، وقال: «اليد لهم، لأنّهم لم يجدوا غير ما أطعموني، ونحن نجد ما أعطيناهم»[2].

٣ . ومن مظاهر زهده ما حدّث به مدرك بن زياد أنّه قال: كنّا في حيطان ابن عباس فجاء ابن عبّاس والحسن والحسين، فطافوا في تلك البساتين، ثم جلسوا على ضفاف بعض السواقي، فقال الحسن: «يا مدرك هل عندك غذاء؟» فقلت له: نعم. ثم انطلقت فجئته بخبز وشيء من الملح مع طاقتين من بَقل فأكل منه، وقال: «يا مدرك ما أطيب هذا!».

وجيء بعد ذلك بالطعام وكان في منتهى الحُسن، فالتفت عليه السلام إلى مدرك، وأمره بأن يجمع الغلمان، ويقدّم لهم الطعام، فدعاهم مدرك، فأكلوا منه، ولم يأكل الإمام منه شيئاً، فقال له مدرك: لماذا لا تأكل منه؟ فقال عليه السلام : «إنّ ذاك الطعام أحبّ عندي»[3].

---

١. عوالم العلوم (الإمام الحسن)، ص ١٢٣ عن المناقب، ج ٣، ص ١٨٧.
٢. حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣١٣ عن الصبان على هامش نور الأبصار، ص ١٧٦.
٣. مختصر تأريخ دمشق، ج ٧، ص ٢١.

الخلاصة:

* شهد التاريخ بأنّ الحسن بن علي عليه السلام قد أخلص الطاعة والعبادة لله، وكان عارفاً عالماً بالشريعة وأحكامها. وما بأيدينا من نصوص تشير إلى ما كان يتمتع به من حس مرهف ونفس توّاقة، تناجي ربّ العالمين. ولم تكن عبادته عليه السلام في معزل وانزواء عن المجتمع، فقد كان يتفاعل مع كلّ قطّاعات المسلمين بصفته قائداً ومربيّاً لهم.

* وبنفسه الكبيرة وسجاياه الحميدة ترفّع عن أعدائه، كما ترفّع وعمّن جهل مقامه، فما سُمع منه فاحش من القول، ولا ردّ السِّبابَ والشتيمةَ على أحد. وبعقله الربوبي الراجح، وحلمه الفيّاض أنقذ الأمّة من الضياع في متاهات الانحراف، فتجرّع المرارة الكبرىٰ حرصاً على مصالح الشريعة الإسلامية وأمة جدّه سيدالمرسلين.

* إنّ الإمام الحسن عليه السلام فرع الدوحة الهاشمية الّتي عرفت بالكرم، وقد جعل كلّ كرمه طاعةً لله وأُسلوباً تربوياً يستنهض به الأمّة.

* كان الحسن عليه السلام قائداً للأمّة، وأميناً على الرسالة الإلهية. وفي كلّ جوانب حياته تجد فيض الهداية الربّانية للناس، يتجلّىٰ في تواضعه وكرمه وسماحته، وهو يركّز على التقوىٰ والزهد في الدنيا، ويربّي الناس على أنّ الآخرة هي دار المقام.

الأسئلة:

١ . هل تستطيع أن ترسم صورة واضحة لعبادة الإمام الحسن عليه السلام ؟

٢ . اذكر موقفاً يمثّل حلم الإمام الحسن عليه السلام ؟

٣ . لماذا لم يردّ الإمام الحسن عليه السلام السائل؟

٤ . اذكر حادثة تصوّر فيها زهد الإمام الحسن عليه السلام وتواضعه.

للمطالعة

للإمام المجتبى عليه السلام أدعية تتضمّن مجموعة من المعارف، وتحمل أدب التقديس لله تعالى، والخضوع له، والتذلّل بين يديه، ونشير إلى نموذج منها:

قال عليه السلام: **«اللهمَّ إنّك الخَلَفُ من جميع خَلقِك، وليس في خلقِكَ خَلَفٌ مثلُكَ. إلهي من أحسنَ فبرحمتكَ، ومن أساء فبخطيئته، فلا الّذي أحسنَ استغنىٰ عن رَفدك ومعونتك، ولا الّذي أساء استبدل بك وخرج من قدرتك. إلهي بك عرفتك، وبك اهتديتُ إلى أمرك، ولولا أنتَ لم أدرِ ما أنت، فيا مَن هو هكذا ولا هكذا غيره، صلِّ على محمّدٍ وآل محمدٍ، وارزقني الإخلاص في عملي، والسعة في رزقي. اللهمَّ اجعل خير عملي آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيّامي يوم ألقاك. إلهي أطعتك ولك المنّة عليَّ في أحبّ الأشياء إليك: الإيمان بك، والتصديق برسولك؛ ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك بك والتكذيب برسولك؛ فاغفر لي ما بينهما يا أرحم الراحمين»**[١].

وعن ابن كثير: أنّ الحسن كان يقرأ كلّ ليلة سورة الكهف في لوح مكتوب، يدور معه حيث دار من بيوت أزواجه قبل أن ينام وهو في الفراش[٢].

لقد تغذّى الإمام الحسن عليه السلام من لباب المعرفة وجوهر الإيمان، فكان من أشدّ الناس إيماناً، ومن أكثرهم إخلاصاً وطاعةً لله[٣].

---

١. مهج الدعوات، ص ١٤٤.
٢. راجع البداية والنهاية، ج ٨، ص ٤٢، طبعة دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ
٣. حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٢٦.

وروى المبرّد وابن عائشة أن شامياً رأى الحسن عليه السلام راكباً ، فجعل يلعنه والحسن لا يردّ. فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه السلام ، فسلّم عليه وضحك وقال: «أيّها الشيخ أظنّك غريباً، ولعلّك شبّهت؛ فلو استعتبتنا أعتبناك ، ولو سألتنا أعطيناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك ، وإن كنت عرياناً كسوناك ، وإن كنت محتاجاً أغنيناك ، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كانت لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعودَ عليك ؛ لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً».

فلمّا سمع الرجل كلامه بكىٰ ، ثم قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، والله أعلم حيث يجعل رسالته. كنتَ أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ ، والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ...[1].

وروي أنّ جارية حيّته بباقةٍ من ريحان ، فقال عليه السلام لها: «أنت حرّة لوجه الله» ، فلامه أنس على ذلك، فأجابه عليه السلام : «أدّبنا الله تعالىٰ فقال: **﴿وإذا حييتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها﴾** ، وكان أحسن منها إعتاقها»[2].

ومن مكارم أخلاقه أنّه ما اشترىٰ من أحد حائطاً ثمّ افتقر البائع إلّا ردّه عليه وأردفه بالثمن معه.

وجاءه فقير يشكو حاله ، ولم يكن عنده شيء في ذلك اليوم ، فعزّ عليه الأمر واستحيىٰ من ردّه ، فقال عليه السلام له: «إنّي أدلّك على شيء يحصل لك منه الخير». فقال الفقير: يا بن رسول الله، ماهو؟ قال عليه السلام : «اذهب إلى الخليفة ؛ فإنّ ابنته قد توفيت وانقطع عليها ، وما سمع من أحد تعزية بليغة ، فعزِّهِ بهذه الكلمات يحصل لك منه الخير». قال: يا بن

١. العوالم (الإمام الحسن)، ص ١٢١، نقلاً عن المناقب، ج ٣، ص ١٨٤.
٢. راجع المناقب، ج ٢، ص ١٨، والآية ٨٦ من سورة النساء.

رسول الله حفّظني إيّاها.

قال عليه‌السلام قل له: «**الحمد لله الّذي سترها بجلوسك على قبرها، ولم يهتكها بجلوسها على قبرك**».

وحفظ الفقير هذه الكلمات وجاء إلى الخليفة، فعزّاه بها فذهب عنه حزنه، وأمر له بجائزة ثم قال له:

أكلامك هذا؟

فقال: لا، وإنّما هو كلام الإمام الحسن.

قال الخليفة: صدقت، فإنّه معدن الكلام الفصيح، وأمر له بجائزة أُخرىٰ.

لقد كان عليه‌السلام يمنح الفقراء بِرّه قبل أن يبوحوا بحوائجهم، ويذكروا مديحهم؛ لئلا يظهر عليهم ذلّ السؤال[١].

---

١. حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٢٤.

الدرس ٢٣

من تراث الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام

١. العلم والعقل

١ . «تعلّموا العلم؛ فإنّكم صغار في القوم، وكبارهم غداً، ومن لم يحفظ منكم فليكتب»[١].

٢ . «حُسن السؤال نصف العلم»[٢].

٣ . «علّم الناس وتعلَّمْ عِلَم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك، وعلمتَ ما لم تَعلم»[٣].

٤ . «اليقين معاذ السلامة».

٥ . «أُوصيكم بتقوى الله وإدامة التفكّر؛ فإنّ التفكّر أبو كلّ خير وأُمّه»[٤].

---

١. أنظر الفصول المهمّة (لابن الصبّاغ المالكي)، ص ١٤٢.

٢. نور الأبصار، ص ١١٠.

٣. أنظر الاثنى عشريّة، ص ٣٧.

٤. حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٤٣ و ٣٤٦.

٦ . «العقل حفظ القلب كلّ ما استرعيته»[١].

٧ . «لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودّة لمن لا همّة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك سعادة الدارين، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً».

٨ . «لا يغشّ العقل من استنصحه».

٢ . القرآن الكريم

١ . «... كتاب الله فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوَّل عليه في كلّ شيء لا يخطئنا تأويله، بل نتيقّن حقائقه، فأطيعونا فإطاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله والرسول وأُولي الأمر مقرونة...».

٢ . «إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور؛ فليُجِلْ جالٍ بضوئه ... فإنّ التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور»[٢].

٣ . «... هذا القرآن فاتّخذوه إماماً. وإنّ أحق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه، وأبعدهم عنه مَنْ لم يعمل به وإن كان يقرؤه»[٣].

٤ . جاء رجل إلى مسجد الرسول ﷺ ليسأل عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وشاهدٍ ومشهود﴾[٤]، فرأىٰ ثلاثة أشخاص قد احتفّ بكل واحد منهم

---

١. الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام، ج ١، ص ٣٤٣ و ٣٤٦.

٢. حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ عن كشف الغمّة وإرشاد القلوب.

٣. المصدر السابق.

٤. البروج: ٣، أُنظر تفسير في مجمع البيان.

جمع من الناس، يحدّثهم عمّا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله. فسأل أحدهم، فقال: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة. ثم سأل الآخر فقال له: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر. ثم سأل الثالث فأجابه: الشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله والمشهود يوم القيامة لقوله تعالىٰ: ﴿يا أيها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾[1]، وقوله تعالى عن يوم القيامة ﴿ذلك يومٌ مشهود﴾[2].

فسأل عن الأوّل فقيل له: عبدالله بن عبّاس، وسأل عن الثاني فقيل له: عبدالله بن عمر، وسأل عن الثالث فقيل له: الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

٣. الحديث النبوي

لقد اهتمّ الامام الحسن المجتبىٰ عليه السلام اهتماماً بليغاً بنشر حديث الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسيرته ومكارم أخلاقه؛ إذ كان بنوأميّة يسعون لتضييع سيرة هذا الرسول العظيم، والتعتيم على جدارة أهل بيته لقيادة الأمة من بعده.

ونختار من الأحاديث التي رواها عن جدّه صلى الله عليه وآله ما يلي:

١ . «حيثما كنتم فصلّوا عليَّ؛ فإنّ صلاتكم تبلغني».

٢ . «يا مسلم، اضمن لي ثلاثاً أضمن لك الجنّة: إن أنت عملت بما افترِض عليك في القرآن فأنت أعبد الناس، وإن قنعت بما رُزِقت فأنت أغنى الناس، وإن اجتنبتَ ما حرّم الله فأنت أورع الناس...».

٣ . «إن من واجب المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم...».

---

١. الأحزاب: ٤٥. ٢. هود: ١٠٣.

٤ . «من صلّى الفجر، فجلس في مصلّاه إلى طلوع الشمس، ستره الله من النار».

٥ . جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ومعها إبناها، فسألته فأعطاها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحد منهما تمرةً فأكلاها، ثم نظرا إلى أُمّهما فشقّت التمرة اثنتين، فأعطت كل واحدة منهما شقّ تمرة، فقال رسول الله ﷺ: «رحمها الله برحمتها ابنيها»[1].

٤. ولاية أهل البيت عليهم السلام

١ . قال عليه السلام: «... واعلموا علماً يقيناً، أ نّكم لن تعرفوا التقىٰ حتى تعرفوا صفة الهدىٰ، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرّفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلّف، ورأيتم الفرية على الله، ورأيتم كيف يهوي من يهوي، ولا يجهلنّكم الذين لا يعلمون.

والتمسوا ذلك عند أهله؛ فإنّهم خاصّة نور يُستضاء بهم، وأئمّة يُقتدىٰ بهم، بهم عيش العلم وموت الجهل، وهم الذين أخبركم حلمهم عن علمهم، وحكمُ منطقهم عن صَمتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه، وقد خلت لهم من الله سابقة، ومضىٰ فيهم من الله حكم، إن في ذلك لذكرىٰ للذاكرين»[2].

---

١. حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٦١ و ٣٣٣ ـ ٣٣٤.
٢. حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٦٠ عن تحف العقول.

٢ . وخطب عليه السلام فتحدّث عن فلسفة التشريع، وعن ارتباط الأحكام بولاية أهل البيت عليهم السلام، ثمّ قال:

«ولولا محمّد صلى الله عليه وآله وأوصياؤه كنتم حيارىٰ، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تدخلون داراً إلّا من بابها».

وبعد أن استدلّ عليه السلام على كمال الدين وإتمام النعمة، وأشار إلى حقوق أولياء الله ودور أداءها في سلامة الحياة ونمائها، وأنّ البخيل هو من يبخل بالمودّة بالقربىٰ... قال: «سمعت جدّي صلى الله عليه وآله يقول: خُلقتُ أنا من نور الله، وخُلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبّوهم من نورهم، وسائر الناس من الناس»[1].

---

١. المصدر نفسه.

الخلاصة:

* عمل الأئمةُ المعصومون عليهم السلام على ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس الأمة، وحاولوا تطبيق الأحكام الإلهية في الحياة اليومية، متّخذين لذلك أساليب عديدة.

* وفي مرحلة تحصين الرسالة والأُمّة الإسلامية من الانحراف دأب الأئمة عليهم السلام علىٰ بناء الجماعة الصالحة ـ المؤمنة بالله وبرسوله وبأهل البيت عليهم السلام ـ وتوسيع قاعدتها في الأُمّة ما أمكن ذلك. كما عملوا عليهم السلام على نشر الفكر الإسلامي السليم، وتوضيح الأحكام بصورتها الصحيحة، وتحديد معالم الإنسان المسلم، الذي تريد الشريعة الإسلامية تربيته و إنتاجه.

* وفي أحاديث الإمام الحسن عليه السلام نلمس كلّ ذلك بوضوح، فهو قد نهل العلم والمعرفة من كتاب الله وجدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيه المرتضىٰ عليه السلام، ثمّ قام بمسؤولية الإمامة والقيادة للأُمة بعد أبيه ليُكمل الدور الريادي الذي أراده الله له.

الأسئلة:

١ . أيّ علم هو معاذ السلامة؟

٢ . ما العلاقة بين العقل والسعادة؟

٣ . كيف نستضئ بنور القرآن؟

٤ . هل اهتم الإمام الحسن عليه السلام بنشر أحاديث جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله ؟ أوضح ذلك.

٥ . ماهي مكارم الأخلاق التي تنفع طالب العلم في حياته العلميّة والعملية؟

المطالعة

المواعظ الحكيمة

١ . قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في التقوىٰ والحثّ عليها: **«إنّ الله لم يخلقكم عبثاً، وليس بتارككم سدىً، كتب آجالكم، وقسّم بينكم معائشكم؛ ليعرف كلّ ذي منزلة منزلته، وأنّ ما قدّر له أصابه، وما صرف عنه فلن يصيبه. قد كفاكم مؤونة الدنيا، وفرّغكم لعبادته، وحثّكم على الشكر، وافترض عليكم الذكر، وأوصاكم بالتقوى، وجعل التقوى منتهىٰ رضاه، والتقوىٰ باب كلّ توبة، ورأس كلّ حكمة، وشرف كلّ عمل.**

بالتقوى فاز من فاز من المتّقين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إنّ للمتّقين مفازا﴾[١] وقال: ﴿وينجّي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسّهم السوء ولا هم يحزنون﴾[٢].

فاتقوا عباد الله، واعلموا أنّ من يتّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن، ويسدّده في أمره، ويهيّئ له من رشده، ويفلحه بحجّته، ويبيّض وجهه، ويعطيه رغبته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً»[٣].

---

١. النبأ: ٣١.
٢. الزمر: ٦١.
٣. تحف العقول، ص ٥٥.

٢. وجاءه رجل من الأثرياء فقال له: يابن رسول الله! إنّي أخاف من الموت. فقال له عليه السلام: **«ذاك لأ نّك أخّرت مالك، ولو قدّمته لسرّك أن تلحق به»**[1].

٣. وقال عليه السلام عن طلب الرزق: **«لا تجاهد الطلب جهاد الغالب، ولا تشكل على القدر إشكال المستسلم؛ فإنّ ابتغاء الفضل من السُنّة، والإجمال في الطلب من العفّة، وليست العفّة بدافعة رزقاً، ولا الحرص بجالبٍ فضلاً؛ فإنّ الرزق مقسوم، واستعمال الحرص استعمال المآثم»**[2].

٤. وقال في الحثّ على الالتـزام بـالمساجد: **«من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثمان خصال: آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمةً منتظرة، وكلمة تدل على هدىً، أو تردعه عن ردىً، وترك الذنوب حياءً أو خشيةً»**[3].

٥. وحدّد السياسة تحديداً جامعاً ودقيقاً بـقوله عليه السلام: **«هي أن ترعىٰ حقوق الله، وحقوق الأحياء، وحقوق الأموات. فأمّا حقوق الله: فأداء ما طلب، والاجتناب عمّا نهىٰ. وأمّا حقوق الأحياء: فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك، ولا تتأخّر عن خدمة أُمتك، وأن تخلص لوليّ الأمر ما أخلص لأُمّته، وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا حاد عن الطريق السويّ. وأمّا حقوق الأموات: فهي أن تذكر خيراتهم، وتتغاضىٰ عن مساويهم؛ فإنّ لهم ربّاً يحاسبهم»**[4].

ومن غرر حكمه الثمينة

١. «إنّ من طلب العبادة تزكّىٰ لها».

٢. «المصائب مفاتيح الأجر».

---

١. تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٢.   ٢. تحف العقول، ص ٥٥.

٣. عيون الأخبار (لابن قتيبة)، ج ٣، ص ٣.

٤. حياة الإمام الحسن بن عليّ، ج ١، ص ٣٥١، ٣٦٧ ـ ٣٧٠.

٣ . «النعمة محنة ، فإن شكرت كانت كنزاً ، وإن كفرت كانت نقمة».

٤ . «أشدّ من المصيبة سوء الخُلق».

٥ . «من تذكّر بُعد السفر اعتدّ».

٦ . «العار أهون من النار».

٧ . «خير المال ما وُقي به العرض».

٨ . «المسؤول حرٌّ حتى يعد ، ومسترَقٌ بالوعد حتى ينجز».

٩ . «فضح الموتُ الدنيا. اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به، بمنزلة ما لم يخطر ببالك».

١٠ . «فوت الحاجة خير من طلبها إلىٰ غير أهلها»[١].

---

١. المصدر نفسه.

الدرس ٢٤

سيّدالشهداءالإمام الحسين بن عليﷺ (٤ ـ ٦١هـ)

النسب الوضيء

الامام الحسينﷺ حفيد الرسول الأعظمﷺ، وسبطه الثاني، وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة، وثالث الأئمة الاثني عشر وخامس أصحاب الكساء، وأبو الأئمة التسعة المهديين عليهم صلوات الله أجمعين.

إنّه ثمرة شجرة النبوة والإمامة، شجرة الحقّ والعدالة في الأرض.

أبوه باب مدينة علم النبيﷺ، وأُمّهُ سيّدة نساء العالمين، فاطمة الزهراءﷺ، وهو من أهل البيت الذين طهّرهم ربّهم من الرجس تطهيراً.

الولادة المباركة

رأت السيّدة أُمّ الفضل بنت الحارث ـ وهي لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطّلب[1] ـ في منامها رؤيا غريبة لم تهتدِ إلى تأويلها، فهرعت إلى رسول اللهﷺ قائلةً له:

---

١. وهي أوّل امرأة أسلمت بمكّة بعد السيّدة خديجة بنت خويلد، وكانت أثيرة عند النبيّﷺ فكان يزورها، ويقيم في بيتها. روت عنه أحاديث كثيرة، راجع ترجمتها في الاستيعاب والإصابة، ج ٤، ص ٤٦٤.

إنّي رأيت حلماً منكراً: كأنّ قطعة من جسدك قُطعت، ووُضعت في حجري... فقال لها: «خيراً رأيتِ: تلد فاطمة ـ إن شاء الله ـ غلاماً، فيكون في حجرك...».

ومضت الأيام سريعة، فوضعت سيّدة النساء فاطمة ولدها الحسين، فكان في حجر أمّ الفضل كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله[١].

وروي أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حين بُشّر بولادة سبطه الثاني أسرع إلى بيت بضعته فاطمة عليها السلام، وهو مثقل الخُطا قد ساد عليه الحزن والأسى، فنادى بصوت خافت حزين: «يا أسماء، هلّمي ابني».

فناولته سبطه، فاحتضنه النبي صلى الله عليه وآله، وجعل يقبّله، ثمّ انفجر بالبكاء، فذهلت أسماء وقالت: «فداك أبي وأُمّي، مِمَ بكاؤك؟!».

فأجابها النبي صلى الله عليه وآله، وقد اغرورقت عيناه بالدموع: «من ابني هذا».

وأخذتها الحيرة، فلم تدرك معنى هذه الظاهرة، فانطلقت تقول: «إنّه ولد الساعة».

فأجابها الرسول صلى الله عليه وآله بصوت يعلوه الحُزن قائلاً: «تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي...»[٢].

ثم نهض مثقلاً بالهمّ وهو يقول لأسماء: «لا تخبري فاطمة؛ فإنّها حديثة عهد بالولادة...»[٣].

---

١. مستدرك الصحيحين، ج ٣، ص ١٢٧.

٢. مسند الإمام زيد، ص ٤٦٨ وفى أمالي الصدوق، ص ١٢٠: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ الحسين بعد ولادته، ودفعه إلى صفية بنت عبدالمطلّب، وهو يبكى ويقول: «لعن الله قوماً هم قاتلوك يا بُني» قالها ثلاثاً. قالت: فداك أبي وأمّي، ومَن يقتله؟ قال: «تقتله الفئة الباغية من بني أُميّة».

٣. كشف الغمة، ج ٢، ص ٢١٦، روى علي عليه السلام «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من وُلد له مولود

تاريخ الولادة

المشهور أنّه ولد في السنة الرابعة من الهجرة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، والمعروف أنّه ولد في الثالث من شعبان المعظّم. وأجرى النبي صلى الله عليه وآله بنفسه أكثر المراسيم الشرعية لوليده المبارك كما أجراها لسبطه الحسن عليه السلام[1]. وسمّاه حسيناً كما سمّى أخاه حسناً[2]. ولم تكن العرب في جاهليتها تعرف هذين الاسمين حتى تسمّي أبناءَها بهما، وإنّما سمّاهما النبي صلى الله عليه وآله بهما بوحي من السماء[3].

وتولّى النبي صلى الله عليه وآله رعاية الحسين عليه السلام رعاية خاصّة، واهتمّ به اهتماماً بالغاً، فمزج روحه بروحه، وعواطفه بعواطفه، حتّىٰ كان يضع إبهامه في فمه.

وروي أنّه أخذه بعد ولادته، فجعل لسانه في فمه ليغذّيه بريق النبوّة، وهو يقول له:

«إيهاً حسين، إيهاً حسين، أبىٰ الله إلّا ما يريد، هي فيك وفي ولدك...»[4].

فليوذّن في أُذنه اليمنى، وليقم في اليسرى؛ فإنّ ذلك عصمة له من الشيطان الرجيم. وقد أمرني بذلك في الحسن والحسين، وأن يقرأ مع الأذان والإقامة فاتحة الكتاب وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص والمعوّذتين». جاء ذلك في دعائم الإسلام ج ١، ص ١٧٨.

١. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٣٨.

٢. أُسد الغابة، ج ٢، ص ١١ وفي تأريخ الخلفاء، ص ١٨٨: روى عرمان بن سليمان قال: الحسن و الحسين اسمان من أسماء أهل الجنّة، ما سمعت العرب بهما في الجاهلية.

٣. المناقب، ج ٣، ص ٥٠.

٤. أنساب الأشراف (للبلاذري)، ج ١، ق ١. وهي اشارة إلى الامامة الّتي استمرّت في ولد الحسين عليه السلام.

ملامحه

لقد كانت ملامح الحسين عليه السلام تحاكي ملامح جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، كما كان يحاكيه في أخلاقه الّتي امتاز بها على سائر النبيين عليهم السلام.

وقد وصف هيبته بعض شَرَطة ابن زياد بقوله: لقد شَغَلنا نور وجهه، وجمال هيبته عن الفكرة في قتله.

ولمّا جيء برأسه الشريف إلى الطاغية ابن زياد بُهر بنور وجهه، فقال: ما رأيت مثل هذا حسناً! فانبرىٰ إليه أنس بن مالك منكراً عليه ذلك بقوله: أما إنّه كان أشبههم برسول الله[1].

ألقابه وكناه

لقد تجلّت بعض ملامح شخصية الحسين عليه السلام في ألقابه الشريفه وهي:

الشهيد، الطيب، سيد شباب أهل الجنّة، السبط[2]، الرشيد، الوفي، المبارك، التابع لمرضاة الله،[3] الدليل علىٰ ذات الله، المطهّر، البرّ، أحد الكاظمين[4].

وكان يُكنّى بأبي عبدالله[5]. وقد ذكر غير واحد من المؤرّخين أنّه لا كُنية له غيرها[6]، وقيل: إنّه كان يكنّى بأبي علي[7]، وكنّاه الناس من بعد شهادته بأبي الشهداء، وأبي الأحرار.

---

١. حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ج ١، ص ٣٨ عن تحفة الأزهار وزلال الأنهار.

٢. نور الأبصار، ص ١١٤ وجوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام، ص ١١٦.

٣. دلائل الإمامة، ص ٧٣.

٤. الإرشاد، ص ١٠٣.

٥. الفصول المهمة، ص ١٧٦ ونور الأبصار، ص ١٥٢.

٦. المناقب، ج ٤، ص ٧١٧ وأنساب الأشراف ج ١، ق ١.

٧. دلائل الإمامة، ص ٧٦.

نقش خاتمه

كان له خاتمان : أحدهما من عقيق، وقدنقش عليه: «إنّ الله بالغ أمره»، وأمّا الثاني ـ وهو الذي سلب منه يوم عاشوراء ـ فقد كتب عليه: «لا إله إلّا الله عُدّةٌ لقاء الله».(١)

مراحل حياته

عاش الحسين عليه السلام في ظلّ جدّه سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله ما يزيد على ست سنوات، ومع أمّهِ فاطمة عليها السلام ما يقرب من سبع سنوات، كما أ نّه قضىٰ ما يزيد على ستة وثلاثين عاماً مع أبيه المرتضىٰ، وأمضى ما يناهز ستة وأربعين عاماً مع أخيه الحسن المجتبىٰ عليه السلام.

وتفرّد بالإمامة ومسؤولية هداية الأُمّة بعد جدّه وأبيه وأخيه بما يقرب من عشر سنوات، وهو يقارع ظلم الأمويين باللسان والبيان، حتى بدت الحقيقة للقريب والبعيد أنّ آل أبي سفيان إنّما يتستّرون بستار الإسلام، وهم أعداء الإسلام القُدامىٰ، لا يردعهم دين ولا ضمير. فوقف كالجبل الراسخ أمام عُتوّ يزيد وبطانته واستهتارهم بالقيم الإسلامية، وسجّل بدمه الطاهر ودماء عترته وصحبه الميامين أعلى مراتب التضحية والفداء في سبيل المبدأ الحق، وإحياء شريعة جدّه المصطفىٰ، وصدّق نبوءة جدّه صلى الله عليه وآله حين قال: «حسين منّي وأنا من حسين»(٢).

فسلامٌ عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يُبعثُ حيّاً.

---

١. كشف الغمة، ج ٣، ص٦.

٢. أُنظر سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٥١، رقم ١٤٤ وأمالي المرتضى، ج ١، ص ٢١٩.

الخلاصة:

* شاءت الإرادة الإلهية أن ينحصر نسل رسول الله ﷺ في ذرّية علي وفاطمة عليهما السلام. وقد عاش النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام أفراح ولادة سبطه الأوّل الحسن عليه السلام، ولم يمض عام واحد حتّى استبشر النبي ﷺ بولادة سبطه الثاني الحسين عليه السلام.

* طفحت مسحة من الحزن على أفراح ولادة الحسين عليه السلام؛ فقد وجم النبي ﷺ حين علم أنّ مأساة كبيرة ستجري على ولده الحسين عليه السلام، وهو يقوم بأعباء الخلافة والإمامة؛ إذ ستقف الأُمّة المنحرفة بوجهه وتقاتله.

* بَيْنَ الحسين عليه السلام وجدّه العظيم ﷺ تماثل كبير؛ فقد حاكاه في صورته وملامحه وأخلاقه، كما حاكاه في مواقفه؛ فإنّ النبي ﷺ أحدث ثورة في عالم البشرية حين صدع بالرسالة الإسلامية، والحسين عليه السلام أحدث ثورة في الأُمّة الإسلامية، وهزّ ضمير الإنسانية لتنهض بدورها تجاه دينها ورسالة ربّها.

* قاوم الإمام الحسين عليه السلام صدمة انحراف الخلافة وخطرها على الرسالة مواصلاً نهج أبيه وأخيه، ثم نهض بثورته، وضحّى بنفسه الزكيّة وأهل بيته وصحبه الأبرار؛ ليوقظ ضمير الأُمّة، ويحيي إرادتها، فاستشهد في طريق الحقّ مستسلماً إلى الإرادة الإلهية عزيزاً أبيّاً صابراً محتسباً.

* سمت شخصية الإمام الحسين عليه السلام فأثّرت في واقع الأُمّة الإسلامية تأثيراً عظيماً، وما زالت تضيء في سماء الإنسانية إلىٰ عصرنا هذا.

الأسئلة:

١ . متى ولد الإمام الحسين عليه السلام ، وأين كانت ولادته؟

٢ . كم سنة عاصر الامام عليه السلام كلّاً من جدّه، وأبيه، وأخيه؟

٣ . هل كان النبي صلى الله عليه وآله يعلم بما سيجري على ولده الحسين عليه السلام ؟ وماذا قال في ذلك؟

٤ . تحدّث باختصار عن ملامح وصفات الإمام الحسين عليه السلام .

٥ . اذكر حديثاً نبويّاً ينصّ على إمامة الحسين عليه السلام .

المطالعة

انطباعات عن شخصية الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

١. قال عمر بن الخطاب للحسين عليه السلام: إنّما أنبت ما ترى في رؤوسنا، الله ثم أنتم[١].

٢. قال عثمان بن عفّان في الحسن والحسين: فُطموا العلم فطماً، وحازوا الخير والحكمة[٢].

٣. كان عليه السلام في جنازة فأعيا وقعد في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال له: «يا أبا هريرة، وأنت تفعل هذا؟»

فقال له: دعني، فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك علىٰ رقابهم[٣].

٤. أخذ عبدالله بن عباس بركاب الحسن والحسين عليهما السلام، فعوتب في ذلك، وقيل له: أنت أسنّ منهما. فقال: إنّ هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، أفليس من سعادتي أن آخذ بركابهما؟![٤].

وقال له معاوية بعد وفاة الحسن عليه السلام: يابن عبّاس، أصبحت سيّد قومك. فقال: أمّا ما أبقى الله أبا عبدالله الحسين فلا[٥].

---

١. الإصابة، ج ١، ص ٣٣٣ وقال: سنده صحيح.

٢. الخصال، ص ١٣٦.

٣. المصدر نفسه.

٤. تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٣٢٢.

٥. حياة الإمام الحسين (للقرشي) ج ٢، ص ٥٠٠.

٥ . قال أبو برزة الأسلمي ليزيد حينما رآه ينكت ثغر الحسين عليه السلام: أتنكت بقضيبك ثغر الحسين؟! أما لقد أخذ قضيبك في ثغره مأخذاً، لربّما رأيت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يرشفه... أما إنّك ـ يا يزيد ـ تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمّد شفيعه[١].

٦ . قال معاوية لعبدالله بن جعفر: أنت سيّد بني‌هاشم ، فأجابه: سيد بني‌هاشم حسن وحسين[٢].

وكتب عبدالله‌بن جعفر للحسين عليه السلام: إن هلكت اليوم طفئ نور الإسلام ؛ فإنّك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين[٣].

٧ . وسأل رجل عبدالله بن عمر عن دم البعوض يكون في الثوب: أفيصلّي فيه؟ فقال: ممّن أنت؟ قال: من أهل العراق. قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله!، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«هما ريحانتاي من الدنيا»**[٤].

٨ . قال محمد بن الحنفية: إنّ الحسين أعلمنا علماً، وأثقلنا حلماً، وأقربنا من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً، كان إماماً فقيهاً[٥].

٩ . مرّ الحسين عليه السلام بعمرو بن العاص وهو جالس في ظل الكعبة، فقال: هذا أحب أهل الأرض إلى أهل الأرض، وإلى أهل السماء اليوم[٦].

١٠ . قال معاوية لابنه يزيد: وما عسيتُ أن أعيب حسيناً، ووالله ما أرى للعيب فيه موضعاً[٧].

---

١. الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص ١٩٨.
٢. الحسن بن علي (لكامل سليمان)، ص ١٧٣.
٣. البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٦٧.
٤. تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٣١٤.
٥. بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٤٠.
٦. تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٣٢٢.
٧. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٨٣، ٥٩٠.

١١ . ومن خطبة ليزيد بن مسعود النهشلي: وهذا الحسين بن علي ابن رسول الله ﷺ، ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر؛ لسابقته وسنّه وقدمه وقرابته... يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير... فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجّة، وبلغت به الموعظة[١].

١٢ . قال ابن سيرين: لم تبكِ السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلّا على الحسين عليه السلام. ولمّا قتل اسودّت السماء، وظهرت الكواكب نهاراً، حتى رؤيت الجوزاء عند العصر، وسقط التراب الأحمر، ومكثت السماء سبعة أيام بلياليها كأنّها علقة[٢].

---

١. المصدر نفسه.

٢. تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٣٣٩.

الدرس ٢٥

من فضائل الإمام الحسين عليه السلام ومظاهر شخصيته

لقد تجلّت في شخصية الإمام الحسين بن علي عليهما السلام مجموعة من صفات الكمال، نشير إلى بعض منها:

١. قوة الإرادة

لقد وقف السبط الشهيد في وجه الحكم الأُموي، فأعلن رفضه لبيعة يزيد، وانطلق مع قلّة الناصر إلى ساحات الجهاد؛ ليرفع كلمة الحقّ، ويدحض كلمة الباطل، وقد حشدت عليه الدولة الأُموية جيوشها الهائلة، فلم يهتمّ بها، إذ أعلن عن عزمه وارادته بكلمته الخالدة:

«إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما...»[1].

وانطلق مع الأُسرة الكريمة من أهل بيته وأصحابه إلى ميدان الشرف والمجد؛ ليرفع راية الإسلام، ويحقّق للأُمّة الإسلامية أعظم الانتصارات، حتى استشهد سلام الله عليه، وهو من أقوى الناس إرادة، وأمضاهم

---

١. الوثائق الرسميّة لثورة الإمام الحسين عليه السلام، ص ١١٢.

عزيمة وتصميماً، غير مكترث بما عاناه من الكوارث التي تذهل العقول وتحيّر الألباب.

٢. الإباء عن الضيم

من أكثر ألقابه انتشاراً بين الناس هو أبو الضيم؛ فقد كان المثل الأعلى لهذه الظاهرة؛ اذ هو الذي رفع شعار الكرامة، ورسم طريق الشرف والعزّة، حتى قال عنه ابن أبي الحديد المعتزلي: سيّد أهل الإباء الذي علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف اختياراً على الدنيّة. عُرض عليه الأمان هو وأصحابه فأنف من الذلّ، وخاف ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنّه لا يقتله، فاختار الموت على ذلك[١].

وكانت كلماته يوم الطفّ من أروع ما أُثر من الكلام العربي في تصوير العزّة والمنعة والاعتداد بالنفس:

١. «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعّي قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة. يأبى الله ذلك [لنا] ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأُنوف حميّة، ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام...»[٢].

٢ ـ «والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد. إنّي عذت بربّي وربّكم أن ترجمون...»[٣].

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٠٢.
٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨ وإثبات الوصيّة للمسعودي، ص ١٤٢.
٣. الكامل في التأريخ، ج ٣، ص ٢٨٧ وإعلام الورى، ج ١، ص ٤٥٩.

٣. الشجاعة

لم يشهد التاريخ أشجع، ولا أربط جأشاً، ولا أقوى جناناً، من الإمام الحسين عليه السلام؛ فقد وقف يوم الطف موقفاً حيّر فيه الألباب، وأذهل فيه العقول، وأخذت الأجيال تتحدّث بإعجاب وإكبار عن بسالته.

وقد بُهر أعداؤه بقوّة بأسه؛ اذ لم يضعف أمام تلك النكبات المذهلة التي أخذت تتواكب عليه، بل كان يزداد انطلاقاً وبشراً كلّما ازداد الموقف بلاءً ومحنة؛ فإنّه بعدما فقد جميع أصحابه وأهل بيته زحف عليه الجيش بأسره، وكان عدده ـ فيما يقال ـ ثلاثين ألفاً، فحمل عليهم وحده، وقد ملك الخوف والرعب قلوبهم، فكانوا ينهزمون أمامه كالمِعزىٰ إذا شدّ عليها الذئب، وبقي صامداً كالجبل يتلقّى الطعنات من كلّ جانب، وهو ماضٍ في أمره استبسالاً واستخفافاً بالمنية.

لقد تحدّىٰ أبو الأحرار ـ ببسالته النادرة ـ الطبيعة البشرية، فسخر من الموت، وقد قال لأصحابه حينما تواترت عليه سهام الأعداء:

«قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابدّ منه؛ فإنّ هذه السهام رُسل القوم إليكم...»[1].

٤. الصراحة

الصراحة في القول والجرأة في العمل هما ثمرة الشجاعة، والحسين عليه السلام قد عُرِف بهذه الصراحة وتلك الجرأة؛ إذ لم يسلك طريقاً فيه

---

١. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٣ واللهوف، ص ٦٥.

أيّ التواء، وإنّما سلك الطريق الواضح الذي يتجاوب مع ضميره الحيّ، مبتعداً عن المنعطفات التي لا يقرّها دينه وخلقه. ومن نماذج صراحته: أنّ الوليد ـ حاكم يثرب ـ دعاه في غلس الليل، وأحاطه عِلماً بهلاك معاوية، وطلب منه البيعة ليزيد مكتفياً بها سرّاً، فامتنع عليه السلام وصارحه قائلاً:

«يا أمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدِن الرسالة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله»[1].

٥. الصلابة في الحقّ

لقد تبنّى الإمام عليه السلام الحق بجميع مراتبه ومجالاته، واندفع إلى ساحات النضال؛ ليقيم الحقّ في ربوع الأرض.

لقد رأى الإمام عليه السلام أنّ الأُمة قد غمرتها الأباطيل، ولم ينفعها النُصح بالكلام، فانبرى إلى ميادين التضحية والفداء ليرفع راية الحقّ. وقد أعلن عليه السلام هذا الهدف لمشرق في خطابه الذي ألقاه أمام أصحابه بمكّة قائلاً:

«ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتُناهىٰ عنه. ليرغب المؤمن في لقاء الله...»[2].

٦. الصبر

لقد تميّز سيّد الشهداء عليه السلام بالصبر على نوائب الدنيا ومحن الأيام، فقد تجرّع مرارة الصبر منذ أن كان طفلاً؛ فرزئ بجده وأُمّه، وشاهد الأحداث

---

١. أنساب الأشراف، ج ١، ق١.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨١ وينابيع المودة، ص ٤٠٦.

الرهيبة التي جرت على أبيه بعد وفاة جدّه. وعانى من المحن والخطوب ما جعله يتجرّع مرارة الصبر في عهد أخيه، وهو ينظر إلى خذلان جيشه له، وغدرهم به، حتى أُرغم على الصلح. وبقي معه يشاركه في محنه وآلامه، حتى اغتاله معاوية بالسمّ. و حين أراد أن يواري جثمانه الطاهر بجوار جدّه منعته بنو أميّة، فكان ذلك من أشقّ المحن عليه.

ومن أعظم الرزايا التي صبر عليها، أنّه كان يرى انتقاض مبادئ الإسلام، وما ينسب إلى جدّه صلى الله عليه وآله من الأحاديث المنكرة التي تتنافىٰ مع شريعة الله، وهو يحاول أن يقاومها بكل ما أُوتي من قوّة.

ومن الدواهي التي عاناها، أنّه كان يسمع سبّ بني أميّة لأبيه المرتضىٰ عليه السلام، وانتقاصه على المنابر علناً، وقيام الطاغية زياد بإبادة شيعتهم واستئصال محبيهم.

وقد تواكبت عليه المحن الشاقّة في العاشر من المحرّم سنة ٦١ هجرية، فلم يكد ينتهي من محنة حتى أحاطت به مجموعة من الرزايا والآلام، فكان يقف على الكواكب المشرقة من أبنائه وأهل بيته، وقد تناهبت السيوف والرماح أشلاءهم، فيخاطبهم بكلّ طمأنينة وثبات:

«صبراً يا أهل بيتي، صبراً يا بني عمومتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم»[١].

وحين رأى عقيلة بني هاشم قد أذهلها المُصاب، ومزّق الأسىٰ قلبها، سارع إليها، وأمرها بالصبر والرضا بما قسم الله.

---

١. الوثائق الرسميّة لثورة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٢٢٩.

ومن أهوال تلك الكوارث التي صبر الإمام عليها، أنّه كان يرى أطفاله وعياله، وهم يضجّون من ألم العطش، ويستغيثون به، فكان يأمرهم بالصبر والاستقامة، ويخبرهم بالعاقبة المشرقة التي تنتظرهم بعد هذه المحن.

وقد صبر علىٰ ملاقاة الأعداء الذين مُلِئَت الأرض بجموعهم المتدفّقة، وهو وحيدٌ يتلقّى الضرب والطعن من جميع الأطراف، قد تفتّت كبده من العطش وهو غير مكترث بذلك كلّه.

لقد كان صبره وموقفه الصلب يوم الطفّ من أندر ما عرفته الإنسانية حتى قال المؤرخ الأربلي: شجاعة الحسين يضرب بها المثل، وصبره في الحرب أعجز الأوائل والأواخر[١].

---

١. كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٠.

الخلاصة:

* جمع الإمام الحسين عليه السلام كلّ الفضائل والكمالات التي تسمو بالإنسان. وكيف لايكون كذلك وقد تربّىٰ علىٰ يد أعظم مربّ للبشرية، وصاحب أكمل رسالة وأتمّها، فتغذّىٰ بمعين هديه حتّى قال عنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، حسين منى وأنا من حسين. وقد امتدّت رسالة محمد صلى الله عليه وآله ببركة دم الحسين ودماء أهل بيته وأصحابه «رضوان الله عليهم».

* كان الحسين عليه السلام صلب الإرادة، شديد العزيمة، صادق اليقين، وهو يدافع عن الرسالة الإسلامية وقيم الحقّ والعدل، بالكلمة الطيبة والسيف القاطع. كما كان عليه السلام أبياً عزيزاً شجاعاً مقداماً، لم ترهبه الكثرة ولا الغوغاء، ولم يثنه التقاعس والتخاذل والتواني من قبل الآخرين، ولم يجزع أمام لمعان السيوف وبريقها.

الأسئلة:

١ . ما هي العلاقة بين قوة الإرادة والإباء عن الضيم؟

٢ . استشهد بكلمتين من كلمات الحسين عليه السلام عبّر بهما عن قوة إرادته وإبائه عن الضيم.

٣ . ما هي العلاقة بين الشجاعة والصراحة؟

٤ . أذكر موقفاً للحسين عليه السلام تتجلى فيه صراحته في قول الحق.

٥ . استعرض ثلاث صور ناصعة من صبر الحسين عليه السلام.

للمطالعة

من فضائل الإمام الحسين عليه السلام ومظاهر شخصيته

الحلم

من أسمى صفات أبي الشهداء عليه السلام حلمه؛ فقد كان ـ فيما أجمع عليه الرواة ـ لا يقابل مسيئاً بإساءته، ولا مذنباً بذنبه، وإنّما يغدق عليه ببرّه ومعروفه، شأنه في ذلك شأن جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي وسع الناس جميعاً بأخلاقه وفضائله. وقد عرف بهذه الظاهرة وشاعت عنه، حتى استغلّها بعض مواليه، فكان يعمد إلى اقتراف الإساءة إليه؛ لينعم بصلته وإحسانه.

التواضع

جُبل الإمام الحسين عليه السلام على التواضع والابتعاد عن الأنانية والكبرياء، وقد ورث هذه الصفة الكريمة من جدّه الرسول صلى الله عليه وآله الذي أقام أُصول الفضائل ومعالي الأخلاق في الأرض.

الرأفة والعطف

لقد كان الامام الحسين عليه السلام شديد الرأفة بالناس، يمد يده لكلّ ذي حاجة، ويسعف كلّ ذي لهفة، ويجير كلّ من استجار به. وقد فزع مروان إليه وإلى أخيه وهو من ألدّ أعدائهم بعد واقعة الجمل حين أُخذ أسيراً، وطلب منهما أن يشفعا له عند أبيهما، فكلّما الإمام عليّاً عليه السلام في شأنه وقالا له: «يبايعك يا أمير المؤمنين».

فقال عليه السلام : «أولم يبايعني بَعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته ، إنّها كفّ يهودية، لو بايعني بيده لغدر بسّبته. أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبُش الأربعة، وستلقى الأُمّة من ولده يوماً أحمر»[١]. وما زالا يلطفان به حتى عفا عنه. إلّا أنّ مروان تنكّر لهذا المعروف، وقابل السبطين عليهما السلام بكلّ ما يملك من وسائل الشر والمكروه.

الجود والسخاء

كان الحسين عليه السلام ملاذاً للفقراء والمحرومين، وملجأ لمن جارت عليه الأيّام، وكان يُثلج قلوب الوافدين إليه بهباته وعطاياه.

قال كمال الدين بن طلحة: وقد اشتهر النقل عنه أنّه كان يكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويعطي الغارم، ويشد من الضعيف، ويشفق على اليتيم، ويغني ذا الحاجة، وقلّ أن وصله مال إلّا فرّقه، وهذه سجية الجواد وشِنْشِنة[٢] الكريم، وسمة ذي السماحة، وصفة من قد حوىٰ مكارم الأخلاق، فأفعاله المتلّوة شاهدة له بصنعة الكرم، ناطقة بأنه متصف بمحاسن الشيم[٣].

وذكر المؤرّخون أنّه كان يحمل في ظلام الليل الجراب، يملؤه طعاماً ونقوداً إلى منازل الأرامل واليتامىٰ والمساكين، حتى أثّر ذلك في ظهره[٤]. وكان يُحمل إليه المتاع الكثير فلا يقوم حتى يهب عامتّه. وقد عرف معاوية فيه هذه الظاهرة فأرسل إليه بهدايا وألطاف، كما أرسل إلى غيره من شخصيات يثرب، وأخذ يحدّث جلساءَه بما يفعله كلّ واحد منهم بتلك الألطاف، فقال في الحسين عليه السلام: أما الحسين فيبدأ بأيتام من قُتل مع أبيه بصفّين، فإن بقي شيء نحر به الجزور وسقى به اللبن.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٧٣.

٢. ـ أي الخلق والطبيعة أو العادة.

٣. مطالب السؤول، ص ٧٣.

٤. ـ ريحانة الرسول: ص ٧١.

وبعث رقيباً يرى ما يفعله القوم فكان كما أخبر، فقال معاوية: أنا ابن هند، أنا أعلم بقريش من قريش[(١)].

وقصده أعرابي فسلّم عليه وسأله حاجته، وقال: سمعت جدّك يقول: «إذا سألتم حاجة فاسألوها من أربعة: إما عربي شريف، أو مولى كريم، أو حامل القرآن، أو صاحب وجه صبيح». فأمّا العرب فشُرِّفت بجدّك، وأمّا الكرم فدأبكم وسيرتكم، وأمّا القرآن ففي بيوتكم نزل، وأما الوجه الصبيح فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أردتم أن تنظروا إليّ فانظروا إلى الحسن والحسين».

فقال له الحسين عليه السلام: «ما حاجتك؟». فكتبها الأعرابي على الأرض.

فقال له الحسين عليه السلام: «سمعت أبي علياً يقول: المعروف بقدر المعرفة. فأسألك عن ثلاث مسائل إن أجبت عن واحدة فلك ثلث ما عندي، وإن أجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي، وإن أجبت عن الثلاث فلك كلّ ما عندي، وقد حملت إليّ صرة من العراق».

قال الأعرابي: سل، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: «أيّ الأعمال أفضل؟». فأجابه: الإيمان بالله.

فقال له عليه السلام: «ما نجاة العبد من الهلكة؟». فقال: الثقة بالله.

فسأله عليه السلام: «ما يزين المرء؟». فأجابه: علم معه حلم.

فقال له عليه السلام: «فإن أخطأه ذلك؟». فأجابه: مال معه كرم.

فقال له عليه السلام: «فإن أخطأه ذلك؟» فأجابه: فقر معه صبر.

فقال له عليه السلام: «فإن أخطأه ذلك؟». فأجابه: صاعقة تنزل من السماء فتحرقه.

فضحك الإمام ورمى إليه بالصرّة[(٢)].

---

١. عيون الأخبار، ج ٣، ص ٤٠.

٢. فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، ج ٣، ص ٢٦٨، تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٣٢٣.

عبادته وتقواه

اتجه الإمام الحسين عليه السلام نحو الله مغموراً بحبّ الله والانقطاع اليه والخوف منه. لقد عمل بكلّ ما يقرّبه إلى الله، فكان كثير الصلاة والصوم والحج والصدقة وأفعال الخير[١].

ونشير هنا الى بعض ما أُثر عنه من عبادته:

خوفه من الله: كان الإمام عليه السلام في طليعة العارفين بالله، وكان عظيم الخوف منه، شديد الحذر من مخالفته، حتى قال له بعض أصحابه: ما أعظم خوفك من ربك! فقال عليه السلام: **«لا يأمن يوم القيامة إلّا من خاف الله في الدنيا...»**[٢].

كثرة صلاته وصومه: كان عليه السلام مشغولاً بالصلاة والصوم[٣] في عامة أوقاته، حتّى كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة ـ كما حدّث بذلك ولده زين العابدين عليه السلام[٤] ـ وكان يختم القرآن الكريم في شهر رمضان[٥].

وتحدّث ابن الزبير عن عبادة الإمام فقال: أما والله لقد قتلوه، طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صومه[٦].

حجّه: كان الحسين عليه السلام كثير الحج؛ فقد حج خمساً وعشرين حجّة ماشياً على قدميه[٧]، وكانت نجائبه تُقاد بين يديه[٨]، وكان يمسك الركن الأسود ويناجي الله ويدعو قائلاً:

«إلهي أنعمتني فلم تجدني شاكراً، وابتليتني فلم تجدني صابراً، فلا أنت سلبت

---

١. تهذيب الأسماء، ج ١، ص ١٦٣.
٢. ريحانة الرسول، ص ٥٨.
٣. تهذيب الأسماء، ج ١، ص ١٦٣.
٤. تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٩.
٥. سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٩٣.
٦. تأريخ الطبري، ج ٦، ص ٢٧٣.
٧. تأريخ ابن عساكر، ج ١٣، ص ٢٥٤.
٨. صفوة الصفوة، ج ١، ص ٣٢١.

النعمة بترك الشكر، ولا أدمت الشدّة بترك الصبر. إلهي ما يكون من الكريم إلّا الكرم...»[١].

صدقاته: كان عليه السلام كثير البِر والصدقة، وقد ورث أرضاً وأشياء، فتصدّق بها قبل أن يقبضها[٢]، وكان يحمل الطعام في ظلام الليل إلى مساكين أهل المدينة[٣]، لم يبتغِ بذلك إلّا الأجر من الله والتقرّب إليه.

مواهبه العلمية

لم يدان الإمام الحسين عليه السلام أحد في فضله وعلمه؛ فقد فاق غيره بملكاته ومواهبه العلمية. وقد انتهل ـ وهو في سنّه المبكرة ـ من نمير علوم جدّه صلى الله عليه وآله التي أضاءت آفاق هذا الكون، كما ارتوى من علوم أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله، أعلم الأمّة والصحابة، وأفقههم بشؤون الدين. قال حبر الأُمّة عبدالله بن عباس: الحسين من بيت النبوّة، وهم ورثة العلم[٤].

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام من مراجع الفتيا في العالم الإسلامي، وقد رجع إليه أكابر الصحابة في مسائل الدين، وكان ممّن سأله عبدالله بن الزبير، فقد استفتاه قائلاً:

يا أبا عبدالله ما تقول في فكاك الأسير؟ على من هو؟ فأجابه عليه السلام: **«على القوم الذين أعانهم أو قاتل معهم...»**.

وسأله ثانياً: يا أبا عبدالله متىٰ يجب عطاء الصبي؟ فأجابه عليه السلام: **«إذا استهلّ وجب له عطاؤه ورزقه»**.

---

١. الكواكب الدرية، ج ١، ص ٥٨.
٢. دعائم الاسلام، ج ٢، ص ٣٣٧.
٣. تذكرة الخواصّ، ص ٢٦٤.
٤. حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام، ج ١، ص ١٣٥.

وسأله ثالثاً عن الشرب قائماً، فدعا عليه السلام بلقمة (ناقة) له، فحُلبت فشرب قائماً وناوله[١].

وكان مجلسه مجلس علم ووقار، قد ازدان بأهل العلم من الصحابة، وهم يأخذون عنه ما يلقيه عليهم من الأدب والحكمة، ويسجّلون ما يروون عنه من أحاديث جدّه صلى الله عليه وآله، حتّى روي: أنّ الناس كانوا يجتمعون إليه ويحتفّون به، وكأنّ على رؤوسهم الطير، يسمعون منه العلم الواسع والحديث الصادق[٢]. وكان مجلسه في جامع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وله حلقة خاصة به. وقد سأل رجل من قريش معاوية: أين يجد الحسين؟ فقال له: إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبدالله[٣].

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام من أعلام النهضة الفكرية والعلمية في عصره، وقد ساهم بشكل فاعل في نشر العلوم الإسلامية، وإشاعة المعارف والآداب بين الناس، وقد انتهل من نمير علومه حشد كبير من الصحابة وأبنائهم.

---

١. الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة، ج ٢، ص ٢٨٣.
٢. حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام، ج ١، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.
٣. تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٢٢٢.

الدرس ٢٦

من تراث الإمام الحسين عليه السلام

لقد منح الله الإمام الحسين عليه السلام الحكمة وفصل الخطاب، فكانت الحِكَم والمواعظ تتدفّق على لسانه، وفيما يلي بعض حكَمه القصار:

١ . «العاقل لا يحدّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يثق بمن يخاف غدره، ولا يرجو من لا يوثق برجائه»[١].

٢ . وقال لابنه علي عليه السلام: «أي بنيّ، إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلّا الله عزّوجل»[٢].

٣ . «ما أخذ الله طاقة أحد إلّا وضع عنه طاعته، ولا أخذ قدرته إلّا وضع عنه كلفته»[٣].

٤ . «إيّاك وما تعتذر منه، فإنّ المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق كلّ يوم يسيء ويعتذر»[٤].

---

١. ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله، ص ٥٥.
٢. تحف العقول، ص ٤٦.
٣. المصدر نفسه
٤. تحف العقول، ص ٢٤٨.

٥ . «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإنّ الكذب ريبة، والصدق طمأنينة»[١].

٦ . «اللهمَّ لا تستدرجني بالإحسان، ولا تؤدّبني بالبلاء»[٢].

٧ . «خمس من لم تكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع: العقل، والدين، والأدب، والحياء، وحسن الخلق»[٣].

٨ . «من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لما يحذر»[٤].

٩ . «من دلائل علامات القبول: الجلوس إلى أهل العقول، ومن علامات أسباب الجهل المماراة لغير أهل الكفر، ومن دلائل العالم انتقاده لحديثه، وعلمه بحقائق فنون النظر»[٥].

١٠ . «إنّ المؤمن اتّخذ الله عصمته، وقوله مرآته، فمرّة ينظر في نعت المؤمنين، وتارة ينظر في وصف المتجبّرين، فهو منه في لطائف ومن نفسه في تعارف، ومن فطنته في يقين، ومن قدسه على تمكين»[٦].

١١ . «إذا سمعت أحداً يتناول أعراض الناس فاجتهد أن لا يعرفك...»[٧].

١٢ . وقال عليه السلام لرجل اغتاب عنده رجلاً: «يا هذا كفّ عن الغيبة؛ فإنّها إدام كلاب النار»[٨].

---

١. حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام، ج ١، ص ١٨١ عن أنساب الأشراف.
٢. كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٤٣.
٣. ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله، ص ٥٥.
٤. تحف العقول، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨.
٥. المصدر نفسه.
٦. المصدر نفسه.
٧. ريحانة الرسول، ص ٥٥.
٨. تحف العقول، ص ٢٤٥.

١٣ . تكلّم رجل عنده فقال: إنّ المعروف إذا أُسدي إلى غير أهله ضاع، فقال عليه السلام: «ليس كذلك، ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البرّ والفاجر...»[١].

١٤ . وسأله رجل عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وأمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾[٢]، فقال عليه السلام: «أمره أن يحدّث بما أنعم الله به عليه في دينه»[٣].

١٥ . «موتٌ في عزّ خيرٌ من حياة في ذلّ»[٤].

١٦ . «البكاء من خشية الله نجاة من النار»[٥].

١٧ . «من أحجم عن الرأي وأعيت له الحيل كان الرفق مفتاحه»[٦].

١٨ . «من قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم»[٧].

١٩ . «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أيّها الناس من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلّا أهل المعروف...»[٨].

٢٠ . «ما من أعمال هذه الأُمّة من صباح إلّا ويعرض على الله عزّوجلّ»[٩].

٢١ . قال رجل للحسين بن علي عليهما السلام : يا بن رسول أنا من شيعتكم.

---

١. المصدر نفسه.
٢. الضحى، ١١.
٣. تحف العقول، ص ٢٤٦.
٤. حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، ج ١، ص ١٨٣.
٥. المصد نفسه.
٦. تأريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٣٢٣.
٧. حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، ج ١، ص ١٨٣.
٨. المصدر نفسه.
٩. المصدر نفسه.

قال عليه السلام : «إتّق الله، ولا تدّعينّ شيئاً يقول الله لك: كذبت وفجرت في دعواك؛ إنّ شيعتنا من سلمت قلوبهم من كلّ غشٍّ وغلٍّ ودغلٍ. ولكن قل أنا من مواليكم ومن محبّيكم»(١).

٢٢ . وقال عليه السلام : «من أحبّنا، لم يحبّنا لقرابة بيننا وبينه ولا لمعروف أسديناه إليه، إنّما أحبّنا لله ورسوله، جاء معنا يوم القيامة كهاتين» وقرن بين سبّابتيه(٢).

٢٣ . «لا ينبغي لنفس مؤمنة ترىٰ من يعصي الله فلا تنكر عليه»(٣).

٢٤ . كتب رجل إلى الإمام الحسين عليه السلام : يا سيدي أخبرني بخير الدنيا والآخرة، فكتب إليه عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعد، فإنّه من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله أُمور الناس، ومن طلب رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام»(٤).

٢٥ . قال عليه السلام : «الصدق عِزّ، والكذب عجز، والسرّ أمانة، والجوار قرابة، والمعونة صداقة، والعمل تجربة، والخلق الحسن عبادة، والصمت زين، والشحُّ فقر، والسخاء غنىً، والرفق لبّ»(٥).

٢٦ . «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام»(٦).

---

١. تفسير البرهان، ج ٤، ص ٢٢ وبحارالأنوار، ج ٦٨، ص ١٥٦.
٢. بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ١٢٧.
٣. كنز العمّال، ج ٣، ص ٨٥، الحديث ٥٦١٤.
٤. أمالي الصدوق، ص ١٦٧.
٥. تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤٦.
٦. بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٢٩٤ ومكارم الأخلاق، ص ٢٨٤.

٢٧ . «شرّ خصال الملوك الجبن من الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء»[١].

٢٨ . «إيّاك أن تكون ممّن يخاف على العباد من ذنوبهم، ويأمن العقوبة من ذنبه؛ فإنّ الله تبارك وتعالىٰ لا يُخدع عن جنّته، ولا ينال ما عنده إلّا بطاعته إن شاء الله»[٢].

٢٩ . «وُجد لوح تحت حائط مدينة من المدائن مكتوب فيه: أنا الله لا إله إلّا أنا، ومحمد نبيي. عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟! وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟! وعجبت لمن اختبر الدنيا كيف يطمئنّ إليها؟! وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يذنب؟!»[٣].

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٨٩.
٢. تحف العقول، ص ١٧٠.
٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٤٨.

الخلاصة:

* إنّ الكلمات المأثورة عن الإمام الحسين عليه السلام مدرسة جامعة في الثقافة والتربية والعلوم.

* كما انّ كلماته في نهضته المقدّسة طافحة بمظاهرالعزّ والإباء والحميّة على الدين والايثار بكل معانيه.

* وقد تجلّت في كلماته اهتماماته بمختلف شؤون الأمة والمجتمع الاسلامي.

* ولم يقتصر الحسين عليه السلام على بيان حقيقة ثورته وأسبابها ونتائجها ، وانّما تعدّىٰ ذلك إلى بيان اصول التربية والتعليم ، وأسس الثقافة الإسلامية الّتي تنشىء الأجيال الواعية لدورها ولمهامّها الرسالية على مدى العصور.

الأسئلة:

١ . ما هي عناصر قوّة الشخصية المؤمنة؟

٢ . ماهي مكارم الأخلاق التي وردت في كلمات الإمام الحسين عليه السلام ؟

٣ . بماذا ينال الإنسان خيرالدنيا والآخرة في ضوء إرشادات الامام الحسين عليه السلام ؟

٤ . اذكر إرشادات الإمام الحسين عليه السلام لإصلاح النفس وإصلاح المجتمع.

٥ . ما هي الأفعال التي تكشف عن عقل فاعلها؟

٦ . ما هي شرّ خصال الإنسان؟

الدرس ٢٧

الإمام علي بن الحسين عليه السلام (٣٨ ـ ٩٥هـ)

النسب المشرق

رابع أئمّة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. جدّه أميرالمؤمنين، إمام المتّقين علي بن أبي طالب عليه السلام، وجدّته فاطمة الزهراء، بضعة رسول الله الأمين صلى الله عليه وآله وسيّدة نساء العالمين عليها السلام.

وأبوه سيّد شباب أهل الجنّة، وسبط الرسول العظيم، وريحانته الذي استشهد في كربلاء، دفاعاً عن كرامة الإسلام وعزّة المسلمين.

وأمّه ابنة يزدجرد، آخر ملوك الفرس، وقد أجابت نداء ربّها أيّام نفاسها، ولم تلد سواه.

ولادته ورحيله

ولد في الخامس من شعبان سنة ٣٨ وقيل: ٣٦ هـ، وتوفي بالمدينة سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ عن عمر يناهز سبعاً وخمسين سنة. فعاش مع جدّه سنتين، ومع عمّه الحسن اثنتي عشرة سنة، ومع أبيه الحسين ثلاثاً وعشرين سنة،

كما عاش بعدأبيه أربعاً وثلاثين سنة تقريباً، وهي مدّة إمامته عليه السلام.

ودفن في المدينة في بقيع الغرقد إلى جانب عمّه الإمام الحسن السبط عليه السلام.

كناه وألقابه ونقش خاتمه

كُنّي بأبي محمد، وأبي الحسن، وأبي عبدالله.

ولُقّب بزين العابدين، وذي الثفنات، وسيّد العابدين، وقدوة الزاهدين، والسجّاد، وسيّد المتّقين، والأمين، والزكي، وزين الصالحين، ومنار القانتين، والبكّاء، واشتهر بالسجّاد وزين العابدين.

كان نقش خاتمه: لكلّ غمٍّ حسبي الله، وفي آخر: القوّة لله جميعاً، وفي ثالث: العزّة لله، وفي رابع: الحمد لله العليّ، وفي خامس: خزي وشقي قاتل الحسين، وفي سادس: إنّ الله بالغ أمره، وفي سابع: علمت فاعمل[1].

مراحل حياته

تنقسم حياة هذا الإمام العظيم إلى مرحلتين:

تبدأ الأُولى بالولادة، وتنتهي باستشهاد أبيه يوم عاشوراء، سنة ٦١هـ. وتبلغ ٢٣ عاماً. وتبدأ الثانية من يوم عاشوراء، وتنتهي باستشهاده سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ وتبلغ ٣٣ عاماً.

لقد سلك الامام عليه السلام الطريقة المثلى في القيادة السياسية والاجتماعية والفكرية في أصعب الظروف التي مرّت بها الأُمّة الإسلامية خلال الحكم الأُموي (السفياني والمرواني) طوال مدّة إمامته المباركة.

---

١. أُنظر الإرشاد، وإعلام الورى، وحياة الإمام زين العابدين، ج ١، ص ٢١ ـ ٤٣.

برز على الصعيد العلمي والديني إماماً في الدين، ومناراً في العلم، ومرجعاً في الحلال والحرام، ومثلاً أعلىٰ في الورع والعبادة والتقوىٰ، وآمن المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليته، وانقاد الواعون منهم إلىٰ زعامته وفقهه ومرجعيته.

ولم تكن ثقة الأُمّة بالإمام زين العابدين عليه السلام ـ على اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها ـ مقصورة على الجانب الفقهي والروحي فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعاً وقائداً ومفزعاً في كلّ مشاكل الحياة وقضاياها ؛ بوصفه امتداداً لآبائه الطاهرين.

ومن هنا نجد أنّ عبد الملك بن مروان يستنجد بالإمام زين العابدين عليه السلام لحلّ مشكلة استقلال النقد الإسلامي من الروم بعد تهديد الملك الروماني له ؛ إذلالاً للمسلمين.

لقد قام الإمام عليه السلام بنشاط فكري ثقافي لتأصيل الشخصية الإسلامية من خلال زرع بذور الاجتهاد، كما أنّه جعل من الدعاء أساساً لعلاج الانسياق مع ملذّات الحياة، فكانت الصحيفة السجادية تعبيراً صادقاً وبليغاً عن عمل اجتماعي وتربوي عظيم، قد فرضته طبيعة المرحلة التي عاشها الإمام عليه السلام[١].

وقد ربّى الإمام زين العابدين عليه السلام أجيالاً واعية لخط الإسلام المحمّدي الخالص الذي يمثّله الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام. وتولّىٰ هؤلاء مهمّة الحفاظ على هذا الخطّ، والدفاع عنه، وتعميق وجوده في المجتمع الذي أخذ ينحرف بالتدريج عمّا خطّطه له الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

---

١. انظر مقدّمة الصحيفة السجادية، التي كتبها الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره.

انطباعات عن شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام

١ . قال سفيان بن عيينة للزهري: لقيت علي بن الحسين؟ قال: نعم، لقيته وما لقيت أحداً أفضل منه، وما علمت له صديقاً في السرّ ولا عدوّاً في العلانية[١].

٢ . وعن سفيان أيضاً: ما رأيت هاشمياً أفضل من عليّ بن الحسين، وقال أبو حازم: ما رأيت أفقه منه[٢].

٣ . وقال الزهريّ: ما رأيت قرشيّاً (هاشمياً) أفضل منه[٣].

٤ . وقال سعيد بن المسيّب: هذا الذي لا يسع مسلماً أن يجهله[٤].

٥ . وقال: ما رأيت قطّ أفضل من عليّ بن الحسين، وما رأيته قطّ إلّا مقتّ نفسي، ما رأيته ضاحكاً يوماً قط[٥].

٦ . وقال عمر بن عبد العزيز يوماً وقد قام من عنده علي بن الحسين عليه السلام: إنّ أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً، من أحبّ الناس أن يكونوا منه ولم يحب أن يكون من أحد[٦].

٧ . وقال أيضاً لمّا أتاه نعي الإمام عليه السلام: ذهب سراج الدنيا، وجمال الإسلام، وزين العابدين[٧].

---

١. علل الشرائع، ص ٨٨ ومسائل الشيعة، ج ٥، ص ٥٤١ وبحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٤.
٢. عن تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي، ص ٣٣١، طبعة مكتبة نينوى الحديثة. طهران.
٣. تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٣٠٥.
٤. أعيان الشيعة، مناقبه وفضائله.
٥. تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٦.
٦. بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٣ ـ ٤ وقريب منه ما جاء في محاضرات الأُدباء للراغب الإصفهاني، ج ١، ص ١٦٦.
٧. تأريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٨.

٨ . وقال له عبد الملك بن مروان: لقد أُوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك[١].

٩ . وقال جابر بن عبدالله الأنصاري: ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين[٢].

١٠ . وعن ابن سعد في طبقاته: كان علي بن الحسين ثقة مأموناً كثير الحديث عليّاً رفيعاً ورعاً[٣].

١١ . وقال الواقدي: كان علي بن الحسين من أورع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عزّوجلّ[٤].

١٢ . وقال الشيخ المفيد: كان أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً[٥].

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٧٥.
٢. حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام، ج ١، ص ٣٤.
٣. الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢٢٢.
٤. البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٠٤.
٥. الإرشاد (للمفيد)، ص ٢٥٤، منشورات مكتبة بصيرتي.

الخلاصة:

* ولد الإمام عليّ بن الحسين في مرحلة صراع الحقّ مع القوى المناوئة للإسلام، وشهد مرحلة انحراف الخلافة بتولّي معاوية بن أبي سفيان وبني أُمية زمام سلطة الدولة الإسلامية.

* وبعناية إلهية نجىٰ الإمام عليبن الحسين عليه السلام من القتل بعد أن استشهد أبوه وجميع أهل بيته وخيرة أصحابه في واقعة الطف، الّتي مثّلت عمق التردّي وموت الضمير في الأُمّة، والانحراف في الفكر والثقافة الإسلامية لدى الأُمّة.

* امتاز عصر الإمام زين العابدين عليه السلام بتوسّع رقعة العالم الإسلامي، وتحوّل الخلافة الإسلامية إلى ملك متوارث، ومحاولات الحكّام الىٰ عزل الدين الإسلامي عن واقع الحكم والحياة السياسية، في الوقت الذي كان المسلمون يعانون فيه من تردّي الشخصية الإسلامية، وتدنّي المستوى الإيماني أمام ضغوط وتبعات الانفتاح على الثقافات والمجتمعات الجديدة، وبروز حالة الترف والتعلّق بالدنيا بعيداً عن العقيدة الإلهية.

* بذل الإمام السجّاد عليه السلام جهده في بناء الجماعة الصالحة، وتوسيع قاعدتها الجماهيرية؛ للمحافظة على الدين الإسلامي، وصيانة الأمة الإسلامية من الانحراف، ومقاومة الإغراءات المادّية.

* تمكّن الإمام عليه السلام من ترسيخ شخصيّته ووجوده في المجتمع الإسلامي وشهد له التأريخ بالعلم والورع والدين.

الأسئلة:

١ . متى ولد الإمام علي بن الحسين عليه السلام ؟ ومتى استشهد؟ وأين دفن؟

٢ . لماذا لقّب الإمام علي بن الحسين عليهما السلام بالسجّاد؟

٣ . اذكر ما قام به الإمام زين العابدين عليه السلام من خدماتٍ للدين الاسلامي الحنيف.

٤ . متى كان الإمام عليه السلام يتدخّل لحلّ مشاكل الحكومة الظالمة؟

٥ . ما هي أهمّ القاب الإمام السجّاد عليه السلام ؟ وما هي دلالاتها؟

للمطالعة

قال الشهيد السيد محمد باقر الصدر‏: وقد كان للمسلمين عموماً تعلّق عاطفي شديد بهذا الإمام، وولاء روحي عميق له. وكانت قواعده الشعبية ممتدّة في كلّ مكان من العالم الإسلامي، كما يشير إلى ذلك موقف الحجيج الأعظم منه، حينما حجّ هشام بن عبد الملك وطاف وأراد أن يستلم فلم يقدر على استلام الحجر الأسود من الزحام، فنُصب له منبر فجلس عليه ينتظر، ثم أقبل زين العابدين وأخذ يطوف، فكان إذا بلغ موضع الحجر انفرجت الجماهير وتنحّى الناس حتى يستلمه؛ لعظيم معرفتها بقدره، وحبّها له على اختلاف بلدانهم وانشعاباتهم. وقد سجّل الفرزدق هذا الموقف في قصيدة رائعة مشهورة[١]، مطلعها:

ياسائلي أين حلّ الجود والكرمُ ... عندي بيانٌ إذا طلّابه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقيّ النقيّ الطاهر العَلَمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكَرَمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد ختموا
وليس قولُك: من هذا؟ بضائره ... العُرب تعرف من أنكرتَ والعَجَمُ

إلى أن يقول:

من معشر حبّهم دينٌ وبغضُهُمُ ... كفر وقُربُهُمُ منجىً ومعتصم
مُقَدَّمٌ بعد ذكر الله ذكرُهُمُ ... في كلّ فرضٍ ومختومٌ به الكَلِمُ[٢]

---

١. راجع الصحيفة السجّاديّة، مقدمّة السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر.

٢. انظر أعيان الشيعة، سيرة عليّ بن الحسين‏ ونهاية الأدب، ج ٢١، ص٣٢٧ ـ ٣٣١ وزهر الآداب، ج ١، ص١٠٣ وشرح العيون (لابن نباته)، ص ٣٩٠ وتأريخ دمشق، ج٣٦، ص١٦١.

الدرس ٢٨

من فضائل الإمام زين العابدين عليه السلام ومظاهر شخصيّته

كان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أفضل أهل زمانه وأعلمهم وأفقههم وأورعهم وأعبدهم وأكرمهم وأحلمهم وأصبرهم وأفصحهم وأحسنهم أخلاقاً وأكثرهم صدقةً وأرأفهم بالفقراء وأنصحهم للمسلمين، وكان معظَّماً مهيباً عند القريب والبعيد والصديق والعدوّ[1].

وإليك صوراً من جميل صفاته، ومظاهر شخصيّته الفذّة عليه السلام:

١. حلمه

كان الإمام من أعظم الناس حلماً، وأكظمهم للغيظ. فمن صور حلمه التي رواها المؤرّخون:

أ: كانت له جارية تسكب علىٰ يديه الماء، فسقط الإبريق من يدها علىٰ وجهه الشريف فشجّه، فبادرت الجارية قائلة: إنّ الله عزّوجلّ يقول:

---

١. راجع أعيان الشيعة، سيرة عليّ بن الحسين عليه السلام.

﴿والكاظمين الغيظ﴾ فأسرع الإمام قائلاً: «كظمتُ غيظي»، وطمعت الجارية في حلم الإمام ونبله فراحت تطلب منه المزيد قائلة: ﴿والعافين عن الناس﴾، فقال الإمامعليه السلام: «عفا الله عنكِ»، ثم قالت: ﴿والله يحبّ المحسنين﴾، فقال لهاعليه السلام: «اذهبي فأنتِ حرّة»[١].

ب: سبّه لئيمٌ، فأشاحعليه السلام بوجهه عنه، فقال له اللئيم: إيّاك أعني. وأسرع الإمام قائلاً: «وعنك أغضي...»، وتركه الإمام، ولم يقابله بالمثل[٢].

ج: ومن عظيم حلمه أن رجلاً افترىٰ عليه، وبالغ في سبّه، فقالعليه السلام له: «إن كُنّا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك...»[٣].

٢. سخاؤه

وأجمع المؤرّخون على أنّه كان من أسخى الناس، وأنداهم كفّاً، وأبرّهم بالفقراء والضعفاء، وقد نقلوا نماذج كثيرة من فيض جوده، منها:

أ: مرض محمد بن أُسامة فعاده الإمام، ولما استقرّ به المجلس أجهش محمّد بالبكاء. فقال له الإمام: «ما يبكيك؟» فقال: عليّ دَيْن. فقال له الإمام: «كم هو؟» فأجاب: خمسة عشر ألف دينار. فقال له الإمام: «هي عليّ». ولم يقم الإمام من مجلسه حتىٰ دفعها له[٤].

---

١. تأريخ دمشق، ج ٣٦، ص ١٥٥ ونهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٢٦ والآية ١٣٤ من سورة آل عمران.
٢. البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٠٥.
٣. صفة الصفوة، ج ٢، ص ٥٤.
٤. راجع البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٠٥ وسير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢٣٩.

ب : ومن كرمه وسخائه أنّه كان يطعم الناس إطعاماً عامّاً في كلّ يوم في يثرب، وذلك في وقت الظهر وفي داره[١].

ج : وكان يعول مئة بيت في السرّ[٢].

٣. حنوّه على الفقراء

أ : كان عليه السلام يحتفي بالفقراء ويرعىٰ عواطفهم ومشاعرهم، فكان إذا أعطىٰ سائلاً قبّله ؛ حتىٰ لا يُرىٰ عليه أثر الذل والحاجة[٣]. وكان إذا قصده سائل رحّب به، وقال له: «مرحباً بمن يحمل زادي إلى دار الآخرة»[٤].

ب : وكان يعجبه أن يحضر علىٰ مائدة طعامه اليتامىٰ والمساكين الذين لا حيلة لهم، كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب علىٰ ظهره حتىٰ يأتي الى كل باب من أبوابهم فيناولهم إيّاه[٥].

ج : وقال أبوحمزة الثمالي: صلّيت مع علي بن الحسين الفجر بالمدينة يوم جمعة، فلمّا فرغ من صلاته نهض إلىٰ منزله و أنا معه، فدعا مولاة له تسمّىٰ سكينة، فقال لها: «لا يعبر علىٰ بابي سائل إلّا أطعمتموه ؛ فإنّ اليوم جمعة».

فقال له أبو حمزة: ليس كلّ من يسأل مستحقّاً.

فقال عليه السلام : «أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقّاً فلا نطعمه ونردّه، فينزل بنا ـ أهل البيت ـ ما نزل بيعقوب وآله. أطعموهم أطعموهم.

---

١. حياة الإمام زين العابدين، ج ١، ص ٨٤.
٢. بحارالأنوار، ج٤٦، ص٨٨.
٣. حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٣٧.
٤. صفة الصفوة، ج ٢، ص ٥٣.
٥. بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٢.

إنّ يعقوب كان يذبح كلّ يوم كبشاً فيتصدّق منه، ويأكل منه هو وعياله، وإنّ سائلاً مؤمناً صوّاماً مستحقّاً، له عندالله منزلة، اجتاز على باب يعقوب يوم جمعة عند أوان إفطاره، فجعل يهتف على بابه: اطعموا السائل الغريب الجائع من فضل طعامكم، وهم يسمعونه، قد جهلوا حقّه، ولم يصدقوا قوله، فلمّا يئس منهم وغشيه الليل مضىٰ علىٰ وجهه، وبات طاوياً يشكو جوعه إلى الله، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً وعندهم فضلة من طعامهم. فأوحى الله إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذللت عبدي وبلواي عليك، وعلىٰ ولدك.

يا يعقوب، أحب أنبيائي إليّ وأكرمهم عليّ من رحم مساكين عبادي وقرّبهم إليه، وأطعمهم وكان لهم مأوىٰ وملجأ.

أما رحمت عبدي المجتهد في عبادته، القانع بالسرّ من ظاهر الدنيا؟!

أما وعزّتي، لأُنزلنّ بك بلواي، ولأجعلنك وولدك غرضاً للمصائب».

فقال أبو حمزة: جعلت فداك متىٰ رأىٰ يوسف الرؤيا؟

قال عليه السلام: «في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآله شباعاً، وبات السائل الفقير طاوياً جائعاً»[١].

٤. عزّته وإباؤه

لقد ورث الإمام زين العابدين عليه السلام العزّة والإباء من أبيه الحسين سيّد الشهداء عليه السلام الذي تحدّىٰ طغاة عصره قائلاً: «والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء

---

١. دار السلام، ج ٢، ص ١٤١.

الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد»[١].

وقد تمثّلت هذه الظاهرة الكريمة في قوله عليه السلام: «ما أُحب أنّ لي ببذل نفسي حمر النعم»[٢]. وقال عليه السلام في عزّة النفس: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا»[٣].

ويقول المؤرّخون: إنّ أحدهم أخذ منه بعض حقوقه بغير حقّ، وكان الإمام عليه السلام بمكّة وكان الوليد بن عبد الملك حينئذٍ قد تربّع علىٰ كرسي الخلافة، وقد حضر موسم الحجّ فقيل له: لو سألت الوليد أن يردّ عليك حقّك؟ فقال لهم كلمته الخالدة في دنيا العزّ والإباء: «أفي حرم الله عزّوجلّ أسأل غير الله عزّوجلّ؟! إنّي آنف أن أسأل الدنيا من خالقها، فكيف أسأل مخلوقاً مثلي؟!»[٤].

ومن عزّته أنّه ما أكل بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله درهماً قطّ[٥].

٥. زهده

لقد اشتهر في عصره عليه السلام أنّه كان من أزهد الناس كما نصّ الزهري على ذلك.

وحين رأى عليه السلام سائلاً يبكي تألّم له، وراح يقول: «لو أنّ الدنيا كانت في كفّ هذا ثم سقطت منه لما كان ينبغي له أن يبكي عليها»[٦].

---

١. حياة الإمام زين العابدين عليه السلام: دراسة وتحليل، ص ٨٠.

٢. الخصال، ص ٢٤.

٣. بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ١٣٥.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٤.

٥. مجالس ثعلب، ج ٢، ص ٤٦٢.

٦. الفصول المهمّة، ص ١٩٢.

٦. عبادته وإنابته إلى الله

إنّ اشتهار الإمام بلقب زين‌العابدين وسيّد الساجدين يشير بوضوح إلى عنصر الإنابة إلى الله، والانقطاع إليه في حياته وسيرته.

على أنّ أدعية الصحيفة السجّادية هي الدليل الآخر علىٰ هذه الحقيقة.

ونظرة سريعة الىٰ عناوين الأدعية في هذه الصحيفة تكشف لنا عمق توجّه الإمام إلى الله تعالىٰ، فما من مجال إلّا وللإمام فيه دعاء وابتهال.

لقد ذاب الإمام في محبّة الله وأخلص له أعظم الإخلاص، وقد انعكس ذلك علىٰ جميع حركاته وسكناته وحالاته.

وممّا رواه المؤرّخون: أنّه اجتاز علىٰ رجل جالس على باب رجل ثريّ، فخاطبه الإمام عليه السلام قائلاً: «ما يُقعدك علىٰ باب هذا المترف الجبّار؟».

فقال الرجل: البلاء[١].

فقال له الامام عليه السلام : «قم فارشدك إلىٰ بابٍ خير من بابه، وإلىٰ ربٍّ خيرلك منه...».

ونهض معه الرجل فأخذه إلىٰ مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلّمه ما يعمله من الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن وطلب الحاجة من الله والالتجاء إلىٰ حصنه الحريز[٢].

---

١. أي الفقر والبؤس.

٢. حياة الإمام زين العابدين عليه السلام: ص ٩٣ ـ ٩٤.

الخلاصة:

* جسّد الإمام زين العابدين عليه السلام أسمى القيم وأعلاها، فكان أفضل قدوة وأنصع دليل يهدي إلى الصلاح والنجاح، يحمل مشعل الرسالة الإسلامية، ويدافع عنها، ويعمّقها في نفوس المسلمين.
* كان الإمام زين العابدين عليه السلام يعيش في ضمير الأمّة وبين الجماهير المسلمة، يشاركها آلامها وآمالها بوعي رسالي أصيل؛ ليظهر عظمة الرسالة الإسلامية، وقدرتها على بناء المجتمع الصالح، وما فيها من الأساليب الناجعة لمعالجة كلّ ما يعتري الحياة من أمراض.
* انّ تجليّات شخصيّة الإمام زين العابدين عليه السلام كانت تتلائم مع المرحلة التي مرّ بها العالم الإسلامي، فحلم عن المسيء وهداه إلى طريق الحقّ، وحنا على الفقير فأعانه على صعوبات الحياة، وعطف على الضعيف فوثّق صلته بالعقيدة والمجتمع الإسلاميّ، وتصدّق في السرّ والعلن؛ ليعلّم الناس التكافل الاجتماعي، وقرن كلّ أعماله برضا الله والفوز بالقرب منه؛ ليتعبّد الناس لله الواحد القهّار دون شيء سواه... وأظهر العزّة والإباء بما يليق بمقامه وعصمته، وهو في كلّ ذلك أكثر خلق الله عبادة وتقوى.

الأسئلة:

١ . اذكر صورتين من حلم الإمام زين العابدين عليه السلام.

٢ . ما الذي كان يصبو إليه الإمام السجّاد عليه السلام من مساعدته للفقراء؟

٣ . اذكر ثلاث صور لإنفاق الإمام عليه السلام.

٤ . ما العلاقة بين زهد الإمام عليه السلام وإبائه؟

٥ . اذكر نموذجاً لزهد الإمام عليه السلام ونموذجاً آخر لإبائه.

المطالعة

قال سعيدبن المسيّب: كان علي بن الحسين عليه السلام يعظ الناس، ويزهّدهم في الدنيا، ويرغّبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كلّ جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وحفظ عنه وكتب، وكان يقول:

«أيُّها الناس اتّقوا الله، واعلموا أنّكم إليه تُرجعون... يابن آدم، إنّ أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك، وكأن قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك، وصرت إلىٰ قبرك وحيداً، فردّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان: ناكر ونكير؛ لمساءلتك وشديد امتحانك... فاتقوا الله عباد الله. واعلموا أنّ الله عزّوجلّ لم يحب زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه ولم يرغّبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنّما خلق الدنيا وأهلها؛ ليبلوهم فيها أيّهم أحسن عملاً لآخرته. وايم الله، لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وعرّف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوّة إلّا بالله، فازهدوا فيما زهّدكم الله عزّوجلّ فيه من عاجل الحياة الدنيا... ولا تركنوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركونَ من اتّخذها دار قرار ومنزل استيطان؛ فإنّها دار بُلغة، ومنزل قلعة، ودار عمل. فتزوّدوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرّق أيّامها، وقبل الإذن من الله في خرابها... جعلنا الله وإيّاكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لآجل ثواب الآخرة، فإنّما نحن به وله...»[١].

صدقاته

وكان من أعظم ما يصبو إليه الإمام زين العابدين عليه السلام في حياته الصدقة على الفقراء؛ لإنعاشهم ورفع البؤس عنهم، وكان عليه السلام يحثّ على الصدقة؛ وذلك لما يترتّب عليها من

---

١. راجع الكافي، ج ٨، ص ٧٢ ـ ٧٦ وتحف العقول، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٢.

الأجر الجزيل، فقد قال: «**ما من رجل تصدّق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء في تلك الساعة إلّا أُستجيب له**»(١).

ونعرض إلى بعض أمثلة صدقاته:

كانعليه‌السلام يلبس في الشتاء الخَزَّ. فإذا جاء الصيف تصدّق به أو باعه وتصدّق بثمنه، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ويتصدّق بهما إذا جاء الشتاء(٢)، وكان يقول: «إنّي لأستحي من ربّي أن آكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه».

كان يتصدّق باللوز والسكّر، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى: **﴿لن تنالوا البِرّ حتى تنفِقوا ممّا تُحبّون﴾**(٣).

وروي أنّه كان يعجبه العنب، وكان صائماً فقدّمت له جاريته عنقوداً من العنب وقت الإفطار، فجاء سائل فأمر بدفعه إليه. فبعثت الجارية من اشتراه منه، وقدّمته إلى الإمام، فطرق سائل آخر الباب، فأمرعليه‌السلام بدفع العنقود إليه. فبعثت الجارية من اشتراه منه وقدّمته للإمام، فطرق سائل ثالث الباب فدفعه الإمام إليه(٤).

وقاسم الإمام الفقراء والمساكين أمواله مرّتين، فأخذ قسماً له وتصدّق بالقسم الآخر عليهم(٥).

وكان أحبّ شيء عند الإمامعليه‌السلام الصدقة في السرّ؛ لئلّا يعرفه أحد، وكان يحثّ على صدقة السرّ ويقول. «إنّها تطفئ غضب الربّ»(٦).

وكان له ابن عم فكان يأتيه الامام عليه‌السلام بالليل فيناوله شيئاً من الدنانير، فيقول له

---

١. وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٢٩٦.
٢. تأريخ دمشق، ج ٣٦، ص ١٦١.
٣. ناسخ التواريخ، ج ١، ص ٦٧.
٤. المحاسن، ص ٥٤٧ وفروع الكافي، ج ٦، ص ٣٥٠.
٥. انظر خلاصة تهذيب الكمال، ص ٢٣١ والحلية، ج ٣، ص ١٤٠ وجمهرة الأولياء، ج ٢، ص ٧١.
٦. انظر تذكرة الحفّاظ، ج ١، ص ٧٥ وأخبار الدول، ص ١١٠ ونهاية الارب، ج ٢١، ص ٣٢٦.

العلوي: إنّ عليّ بن الحسين لا يوصلني، ويدعو عليه، فيسمع الإمام ذلك ويغضي عنه، ولا يعرّفه بنفسه. ولمّا توفي عليه السلام وفقد العلويّ تلك الصلة علم أنّ الذي كان يوصله هو الإمام علي بن الحسين عليه السلام، فكان يأتي قبره باكياً ومعتذراً منه[1].

وقال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات علي بن الحسين عليه السلام[2].

ولم يكن الإمام عليه السلام يبتغي في برّه وإحسانه إلى الفقراء إلّا وجه الله عزّوجلّ والدار الآخرة.

قال الزهريّ: رأيت علي بن الحسين في ليلة باردة وهو يحمل علىٰ ظهره دقيقاً، فقلت له: يابن رسول الله، ما هذا؟ فأجابه عليه السلام: «أُريد سفراً أُعدّ له زاداً أحمله إلىٰ موضع حريز». فقال: هذا غلامي يحمله عنك. فامتنع الإمام من إجابته، وتضرّع الزهري إليه أن يحمله هو بنفسه عنه إلّا أنّ الإمام أصرَّ علىٰ ما ذهب إليه، وقال له:

«ولكني لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري، ويحسّن ورودي علىٰ ما أردُ عليه، أسألك بحق الله لمّا مضيت لحاجتك».

وانصرف الزهري عن الإمام، وبعد أيّام التقاه، وقد ظنَّ أنّه كان علىٰ جناح سفر ولم يع مراده، فقال له: يابن رسول الله لست أرىٰ لذلك السفر الذي تركته أثراً. فأجابه الإمام عليه السلام: «يا زهري ليس ما ظننت، ولكنّه الموت وله استعدّ. إنّما الاستعداد للموت: تجنّب الحرام وبذل الندىٰ في الخير»[3].

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ١٠٠.
٢. صفة الصفوة، ج ٢، ص ٥٤ والاتحاف بحبّ الأشراف، ص ٤٩.
٣. علل الشرائع، ص ٨٨ وبحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٥ ـ ٦٦.

الدرس ٢٩

من تراث الإمام زين العابدين عليه السلام (١)

من غرر حكمه عليه السلام[1]

١ . «الخير كلّه صيانة الإنسان نفسه».

٢ . «الرضىٰ بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين».

٣ . «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا».

٤ . «من قنع بما قسم الله له فهو من أغنىٰ الناس».

٥ . «لا يقلّ عمل مع تقوىٰ، وكيف يقلّ ما يتقبّل؟!».

٦ . قيل له: من أعظم الناس خطراً[2]؟ فقال عليه السلام: «من لم يرَ الدنيا خطراً لنفسه».

٧ . وقال بحضرته رجل: اللهمَّ أغنني عن خلقك، فقال عليه السلام: «ليس هكذا، إنّما الناس بالناس، ولكن قل: اللهمَّ أغنني عن شرار خلقك».

٨ . «اتّقوا الكذب، الصغير منه والكبير، في كلّ جدّ وهزل؛ فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير».

---

١. كلّ ما جاء تحت هذا العنوان نقلناه عن تحف العقول، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٥.

٢. خطراً، قدراً وشرفاً.

٩ . «كفى بنصر الله لك أن ترىٰ عدوّك يعمل بمعاصي الله فيك».

١٠ . وقال له رجل: ما الزهد؟ فقال عليه السلام: «الزهد عشرة أجزاء: فأعلى درجات الزهد أدنىٰ درجات الورع، وأعلىٰ درجات الورع أدنىٰ درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإنّ الزهد في آية من كتاب الله: ﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾»[١].

١١ . « يابن آدم! إنّك لا تزال بخيرٍ ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همّك، وما كان الخوف لك شعاراً، والحذر لك دثاراً[٢]، ابن آدم! إنّك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدي الله جل وعزّ، فأعدّ له جواباً».

١٢ . «لا حسب لقرشيّ ولا لعربيّ إلّا بتواضع، ولا كرم إلّا بتقوى، ولا عمل إلّا بنيّة، ولا عبادة إلّا بالتفقّه. ألا وإنّ أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنّة إمام ولا يقتدي بأعماله».

---

١. الحديد: ٢٣.

٢. دثار: ما يغطّى به النائم.

دعاؤه عليه السلام فِي الاسْتعاذة مِنَ المَكارِه وَسَيّءِ الأَخلاقِ وَمَذامَّ الأفعالَ

اللّهمَّ إنّى أَعوذُ بَكِ مَن هَيَجانِ الحِرصِ، وَسَوْرة الغَضبِ، وَغلبَةِ الحَسَدِ، وَضَعفِ الصَّبرِ، وَقِلَّةِ القَناعَةِ، وَشَكاسَةِ الخَلقِ، وَإلحاحِ الشَّهوَةِ، وَمَلَكَةِ الحَمِيَّةِ، وَ مُتابَعةِ الهَوىٰ، وَمُخالَفَةِ الهُدىٰ، وَسِنةِ الغفْلَةِ، وَتَعاطِى الكُلْفَةِ، وَإيثار الْباطِلِ عَلىٰ الحَقِّ، وَالإِصْرارِ عَلى المَأْثَمِ، وَاستِصْغارِ المَعصِيَةِ، وَاسْتِكبارِ الطّاعَةِ، وَمُباهاةِ المُكْثِرينَ، وَالإِزراءِ بِالمُقِلّينَ، وَسوءِ الوِلايَةِ لِمَنْ تحت أيْدينا، وَتَرْكِ الشّكْرِ لِمَنْ اصْطَنَعَ العارِفَةَ عِنْدَنا، أو أن نَعْضُدَ ظالِماً، أو نَخْذُلَ مَلْهُوفاً، أو نَرُومَ ما لَيسَ لنا بِحَقٍّ، أو نَقولَ في العِلمِ بِغير عِلمٍ.

وَنعوذُ بِكَ أن نَنطَوِيَ عَلى غِش أحَد، وأن نُعْجِبَ بأعْمالِنا، ونَمُدَّ في آمالِنا.

وَنَعُوذُ بكَ مِن سُوءِ السَّريرَةِ، وَاحْتِقارِ الصَّغيرَةِ، وَأن يَستَحوِذَ عَلينا الشَّيطانُ، أو يَنْكُبَنا الزَّمانُ، أو يَتَهَضَّمَنا السُّلطانُ.

وَنَعوذُ بكَ مِن تَناوُلِ الاسرافِ، وَ مِن فُقدانِ الكَفاف.

وَنَعوذُ بكَ مِن شَماتَةِ الأَعداءِ، وَمِن الفَقرِ إلى الأكفاءِ، وَمِنَ مَعيشَةٍ في شِدَةٍ، ومِيتةٍ عَلى غَيرِ عُدَّةٍ. ونَعُوذُ بكَ مِن الحَسْرَةِ العُظمىٰ، والمَصيبَةِ الكُبرىٰ، وأشْقَى الشَّقاءِ، وسُوءِ المَآبِ، وحِرْمانِ الثَّوابِ، وحُلُولِ العِقابِ.

اللّهمَّ صَلِّ عَلىٰ محمّد و آله، وأعِذني مِن كُلِّ ذلكَ بِرَحمَتِكَ، وَ جَميعَ المؤمِنينَ والمُؤمِناتِ، يا أرحَمَ الرّاحِمينَ.

دعاؤه عليه السلام في الاشتياق إلى طلب المغفرة من الله جلّ جلاله

اللّٰهمَّ صَلِّ عَلىٰ محمّد وَآلِهِ، وَصَيِّرْنا إِلىٰ مَحْبُوبِكَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَأَزِلنا عَن مَكروهِكَ مِنَ الإصْرارَ.

اللّٰهمَّ وُمَتىٰ وَقَفنا بَينَ نَقْصَينِ. في دِينٍ أو دُنْيا، فَأَوقِعِ النَّقصَ بِأَسْرعِهِما فَناءً، وَاجْعَلِ التَّوبَةَ في أَطْوَلِهِما بَقاءً. وإذا هَمَمْنا بِهَمَّينِ يُرْضيكَ، أحدُهُما عَنّا ويُسخِطُكَ الاخَرُ عَلَيْنا، فَمِل بِنا إلى ما يُرضيكَ عَنّا، وأوْهِنْ قُوَّتَنا عَمّا يُسْخِطُكَ عَلَيْنا، ولا تُخَلِّ في ذلك بَينَ نُفُوسِنا واختيارِها، فَإِنّها مُختارَةٌ لِلباطِلِ إلّا ما وَفَّقتَ، أمارَةٌ بالسُّوءِ إلّا ما رَحِمْتَ.

اللّٰهم وانّكَ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنا، وَعَلىٰ الوَهنِ بَنَيْتَنا، ومِن ماءٍ مَهينٍ ابْتَدَأتَنا، فَلا حَولَ لنا إلّا بِقُوَّتِك، ولا قُوَّةَ لنا إلّا بِعَوْنِكَ.

فَأَيِّدنا بِتوفيقِكَ، وَسَدِّدْنا بِتَسديدِكَ، واعْمِ أبْصارَ قُلُوبِنا عَمّا خالَفَ مَحبَّتَك، وَلا تَجْعَل لِشَيءٍ مِنْ جَوارِحِنا نُفُوذاً في مَعْصِيَتِك.

اللّٰهمَّ فَصَلِّ عَلىٰ محمّد و آله، واجْعَل هَمَساتِ قَلُوبِنا، وَحَرَكاتِ أعضائِنا، وَلَمَحاتِ أعْيُنِنا، وَلَهَجاتِ ألسِنَتِنا، في مُوجِباتِ ثَوابِكَ، حَتىٰ لا تَفُوتَنا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُ بِها جَزاءَكَ، ولا تَبْقىٰ لَنا سَيِّئَةٌ نَسْتَوجِبُ بِها عِقابَكَ.

دعاؤه عليه السلام في اللَّجأ إلى الله تعالى

اللّٰهم إن تَشَأْ تعفُ عَنّا فَبِفَضلِكَ، وإنْ تَشَأْ تُعَذِبْنا فَبِعدلكَ، فَسَهِّلْ لَنا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ، وَأَجِرْنا مِن عَذابِكَ بِتَجاوُزِكَ؛ فَإنّه لا طاقَةَ لَنا بِعَدلكَ، ولا

نَجاةَ لأَحَدٍ مِنَّا دُونَ عَفوِكَ.

يا غَنِيَّ الأَغْنِياءِ، ها نَحنُ عِبادُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وأَنَا أَفْقَرُ الفُقَراءِ إِلَيكَ، فاجبُر فاقَتَنا بِوُسعكَ، ولا تَقطَع رَجاءَنا بِمَنعِكَ، فَتَكونَ قد أَشقَيتَ مَنِ اسْتَسعَدَ بِكَ، وحَرَمْتَ مِن اسْتَرفَدَ فَضلَكَ، فَإِلىٰ مَن حِينَئِذٍ مُنقَلَبُنا عَنكَ؟ وإلى أَيْنَ مَذهَبُنا عَن بابِكَ؟

سُبحانَكَ، نَحنُ المُضطَرُّونَ الّذين أوجَبتَ إجابَتَهُم، وَأَهلُ السُّوءِ الّذين وعَدتَ الكَشفَ عَنهُم. وأَشْبَهُ الأشياءِ بِمَشيَّتِكَ، وَأَولىٰ الأُمُورِ بِكَ في عَظَمَتِك، رَحمَةُ مَنِ استَرحَمَك.، وَغَوثُ مَنِ استغاثَ بِكَ، فَارحَمْ تَضَرُّعَنا إِلَيْكَ، وأغنِنا إذ طَرَحنا أَنفُسَنا بَينَ يَدَيك.

اللّهمَّ إنَّ الشَّيطانَ قَد شَمِتَ بِنا؛ إذ شَايَعْناهُ عَلىٰ مِعْصِيَتِكَ، فَصَلِّ عَلى محمّد وَآله، وَلا تُشمِتْهُ بِنا بَعدَ تَركِنا إِيّاهُ لَكَ، وَرَغبَتِنا عَنهُ إِلَيكَ.

دعاؤه عليه السلام بخواتم الخير

يا مَن ذِكرُه شَرَفٌ لِلذّاكِرينَ، ويا مَن شُكرُهُ فَوزٌ لِلشّاكِرينَ، ويا مَن طاعَتُهُ نَجاةٌ لِلمُطيعينَ، صَلِّ عَلى مُحمّد وَآلِهِ، وَاشْغَل قُلُوبَنا بِذكرِكَ عَن كُلِّ ذِكرٍ، وأَلسِنَتِنا بِشُكرِكَ عَن كُلِّ شُكرٍ، وَجَوارِحَنا بِطاعَتِكَ عَن كُلِّ طاعَةٍ، فَإِنْ قَدَّرتَ لَنا فَراغاً مِن شُغلٍ، فَاجْعَلهُ فَراغَ سَلامَةٍ، لا تُدرِكُنا فيهِ تَبِعَةٌ، وَلا تَلحَقُنا فيهِ سَأمَةٌ، حَتّىٰ يَنْصَرِفَ عَنّا كُتّابُ السَّيِّئاتِ بِصَحيفَةٍ خالِيَةٍ مِنْ ذِكرِ سَيئاتِنا، وَيَتَولّى كُتّابُ الحَسَناتِ عَنّا مَسرُورينَ بِما كَتَبُوا مِن حَسَناتِنا.

وإِذا انقَضَت أَيّامُ حَياتِنا، وَتَصَرَّمَت مُدَدُ أعمارِنا، وَاستَحضَرَتْنا دَعوَتُكَ

الّتي لابُدَّ مِنْها وَمِن اجابَتِها، فَصَلِّ عَلىٰ محمّدٍ وَ آلِهِ، واجْعَلْ خِتامَ ما تُحْصي عَلَيْنا كَتَبَةُ أَعمالِنا تَوبَةً مَقْبُولَةً، لاتُوقِفُنا بَعدَها عَلىٰ ذَنبٍ اجْتَرَحْناهُ، وَلا مَعصِيَةٍ اقْتَرَفْناها.

وَلا تَكشِف عَنّا سِتْراً سَتَرتَهُ عَلىٰ رُؤُوسِ الأَشهادِ، يَومَ تَبْلُو أَخبارَ عِبادِكَ، إِنَّكَ رَحيمٌ بِمَنْ دَعاكَ، وَمُسْتَجيبٌ لِمَنْ ناداكَ[١].

---

١. انظر الصحيفة السجادية الكاملة.

الخلاصة:

*لقد تميّز الأئمة المعصومون عليهم السلام بعلومهم ومعارفهم الباهرة، وأجمع المؤرّخون على أنّهم قد زُقّوا العلم زقّاً، وأنّهم كانوا من أوسع الناس علماً وفهماً.

*وأهل البيت عليهم السلام ـ الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وآله بأمرٍ من الله عِدلَ القرآن ـ قد ساروا على نهج القرآن الكريم في تفجير الثورة الثقافية الربّانية في المجتمع العربي والإسلامي، وحاربوا بشكل صارم كلّ محاولات الجاهلية لطمس أُسس ومعالم هذه الثورة الربّانية. ولم يقتصر نشاطهم الثقافي على جانب خاصّ من جوانب المعرفة والخُلق والسلوك.

*ومن هنا كانت الصحيفة السّجادية من ذخائر هذا التراث الربّاني لبناء الإنسان (الفرد والمجتمع).

* ولا يقتصر تراث الامام زين العابدين عليه السلام على الصحيفة السجادية الكاملة، كما يكشف لنا ذلك بوضوح مسند الإمام زين العابدين عليه السلام.

الأسئلة:

١ . من هو أغنى الناس في ضوء كلام الامام عليه السلام ؟

٢ . من هو أعظم الناس خطراً؟

٣ . لماذا لا يحسن الكذب حتى في الهزل؟

٤ . من هو أبغض الناس إلى الله؟

٥ . ما هي الأمور الّتي ينبغي للإنسان أن يطلبها من ربّه؟

الدرس ٣٠

من تراث الإمام زين العابدين ﷺ (٢)

رسالة الحقوق

تكفّلت رسالة الحقوق تنظيم أنواع العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان في هذه الحياة بنحوٍ يحقّق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات، ويجمع لهما عوامل الاستقرار والرقيّ والازدهار.

إنّ تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس تعيين مجموعة الحقوق بشكل دقيق، هو الرصيد الأوّل للنظام الاجتماعي الإسلامي، وهو المبنى المعقول للتشريعات الإسلامية عامّة؛ فإنّ الذي يفهم بعمق هذه الرسالة، ويدرس بدقّة حقوق الخالق وحقوق المخلوقين بعضهم تجاه بعض يتسنّىٰ له أن يفهم أسرار التشريع الإسلامي، وفلسفة الأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية؛ لتنظيم حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً.

وفيما نعلم أنّ الإمام ﷺ قد سبق العلماء والقانونيين جميعاً في دنيا الإسلام، بل في دنيا الإنسان في هذا المضمار، الذي على أساسه ترتكز أُصول الأخلاق والتربية ونظم الاجتماع.

وقد كتب الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الرسالة الذهبية، وأتحف بها بعض أصحابه، ورواها العالم الكبير ثقة الإسلام ثابت بن أبي صفية المعروف بأبي حمزة الثمالي، تلميذ الإمام عليه السلام، كما رواها عنه ـ مسنداً ـ المحدّث الصدوق في كتابه الخصال، وثقة الإسلام الكليني في الكافي، والحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني في تحف العقول، وهي من المصادر القديمة المعتمدة لدى العلماء.

وقبل بيان الحقوق فيها يشير الإمام عليه السلام إلى أنّ هناك حقوقاً محيطةً بالإنسان ولابدّ له من معرفتها. ثم يبيّن أكبر الحقوق، وهو ما يرتبط بالله سبحانه بالنسبة لعبده، ثم يفرّع عليها حقوق الإنسان المفروضة من الله تجاه نفس الإنسان، فيبيّن أنواع علاقة الإنسان بنفسه من خلال المنظار الإلهي، ثم ينتهي إلى أنواع العلاقة بين الإنسان وبيئته التي تشتمل على قادة ومقودين ورعاة ورعية، مع بيانه لأنواع الأئمة والمأمومين ودرجاتهم. ثم يبيّن سائر العلاقات مع الأرحام والأُسرة وأعضائها، ثم من تشتمل عليه الأُسرة من الموالي والجواري. ثم يتطرق الامام عليه السلام الىٰ سائر ذوي الحقوق كالمؤذّن والإمام في الصلاة والجليس والشريك والغريم والخصم والمستشير والمشير والمستنصح والناصح والسائل والمسؤول والصغير والكبير، حتى ينتهي إلى من يشترك مع الإنسان في دينه من بني الإنسان، ثمّ حقوق من يشترك مع الإنسان في الإنسانية، وفي النظام السياسي الذي يخضع له وان لم يكن من أهل ملّته ودينه.

وفيما يلي نصّ الرسالة كما وردت في كتاب الخصال[١].

---

١. الخصال للشيخ الصدوق، انظر الطبعة المحقّقة لجماعة المدرسين. أو دارالتعارف.

عرض إجمالي للحقوق ومراتبها:

«اعلم أنّ لله عزّوجلّ عليك حقوقاً محيطة بك في كلّ حركة تحرّكتها، أو سكنة سكنتها، أو حال حلتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلّبتها، أو آلة تصرّفت فيها. فأكبر حقوق الله ـ تبارك وتعالى ـ عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقّه الذي هو أصل الحقوق، ثم ما أوجب الله ـ عزّوجلّ ـ عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك فجعل عزّوجلّ للسانك عليك حقّاً، ولسمعك عليك حقّاً، ولبصرك عليك حقّاً، وليدك عليك حقّاً، ولرجلك عليك حقّاً، ولبطنك عليك حقّاً، ولفرجك عليك حقّاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل ـ عزّوجلّ ـ لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقّاً، ولصومك عليك حقّاً، ولصدقتك عليك حقّاً، ولهديك عليك حقّاً، ولأفعالك عليك حقّاً.

ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك. فأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثم حقوق رعيّتك، ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق تتشعّب منها حقوق.

فحقوق أئمتك ثلاثة: أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم حق سائسك بالعلم؛ ثم حق سائسك بالملك، وكلّ سائس إمام.

وحقوق رعيتك ثلاثة: أوجبها عليك حق رعيّتك بالسلطان، ثم حق رعيّتك بالعلم؛ فإنّ الجاهل رعيّة العالم، ثم حق رعيّتك بالملك من الأزواج وما ملكت الأيمان، وحقوق رعيّتك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة. وأوجبها عليك حق أمّك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك،

ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجارية نعمتك عليه[1]، ثم حق ذوي المعروف لديك، ثم حق مؤذّنك لصلاتك، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدّعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرىٰ لك على يديه مساءة بقول أو فعل عن تعمّد أو غير تعمّد، ثم حق أهل ملّتك عليك، ثم حق أهل ذمّتك، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرّف الأسباب.

فطوبىٰ لمن أعانه الله علىٰ قضاء ما أوجب عليه من حقوقه، ووفّقه لذلك وسدّده».

تفصيل الحقوق

«فأمّا حق الله الأكبر عليك فأن تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت بالإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

وحق نفسك عليك: أن تستعملها بطاعة الله عزّوجلّ.

وحق اللسان إكرامه عن الخنىٰ، وتعويده على الخير، وترك الفضول

---

١. في المصدر: (نعمته عليك) والصواب كما سيأتي في تفصيله عليه السلام لهذه الحقوق: هو ما أثبتناه في المتن.

التي لا فائدة لها، والبرّ بالناس، وحسن القول فيهم.

وحق السمع تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحلّ سماعه.

وحق البصر أن تغضّه عمّا لا يحلّ لك، وتعتبر بالنظر به.

وحق يدك أن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك.

وحق رجليك أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ إليك، فبهما تقف على الصراط، فانظر أن لا تزلّ بك فتردى في النار.

وحق بطنك أن لا تجعله وعاءً للحرام، ولا تزيد على الشبع.

وحق فرجك أن تحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن يُنْظرَ إليه.

وحق الصلاة أن تعلم أنّها وفادة إلى الله عزّوجلّ، وأنت فيها قائماً بين يدي الله عزّوجلّ. فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرّع المعظّم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها.

وحق الحج أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك.

وحق الصوم أن تعلم أنّه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.

وحق الصدقة أن تعلم أنّها ذخرك عند ربّك عزّوجلّ، ووديعتك التي لاتحتاج الإشهاد عليها، فإذا علمت ذلك كنت بما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانية، وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة.

وحق الهدي أن تريد به وجه الله عزّوجلّ، ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلّا التعرّض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه.

وحق السلطان أن تعلم أنّك جُعلت له فتنة، وأنّه مبتلٍ فيك بما جعله الله عزّوجلّ له عليك من السلطان، وأنّ عليك أن لا تتعرّض لسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء.

وحق سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، وأن لا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادي له وليّاً. فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته، وتعلّمت علمه لله جل اسمه لا للناس.

وأمّا حق سائسك بالملك فأن تطيعه، ولا تعصيه إلّا فيما يسخط الله عزّوجلّ؛ فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأمّا حق رعيّتك بالسلطان فأن تعلم أنّهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوّتك، فيجب أن تعدل فيهم، وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله ـ عزّوجلّ ـ على ما آتاك من القوّة عليهم.

وأمّا حق رعيّتك بالعلم فأن تعلم أنّ الله ـ عزّوجلّ ـ إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزائنه. فإن أحسنت في تعليم الناس، ولم تخرق بهم، ولم تفجر عليهم، زادك الله من فضله. وإن أنت منعت الناس علمك، أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك، كان حقّاً على الله عزّوجلّ أن يسلبك العلم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلّك.

الخلاصة:

لقد تكفّلت رسالة الحقوق بتنظيم العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان بشكل لم يسبق له نظير.

وقد عالج الإمام عليه السلام بأدعيته البديعة وغرر كلماته الحكيمة أهمّ الأمراض النفسيّة والسلوكيّة التي كان قد اُبتلي بها مجتمعه بعد أن اُصيب بصدمة الانحراف في مجال القيادة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ممّا أدّى ذلك إلى تردّي الأوضاع الدينية والفكرية وهبوط المستوى الأخلاقيّ والسلوكي لعامّة المسلمين بالتدريج.

من هنا كانت نشاطات الإمام السجّاد عليه السلام كلّها تصبّ في رافد مهمّ، ألا وهو تأسيس كيان ثقافي قوي، وايجاد مناعة نفسية وروحية تقف أمام تيّارات الانحراف الأخلاقيّ التي بدأت تدخل إلى صميم وجود الاُمّة، من خلال التردّي الأخلاقيّ للحكّام الاُمويين، ومن خلال الانفتاح على سائر الشعوب التي أخذت تعتنق الإسلام باستمرار.

الأسئلة:

١ . ما هو أكبر الحقوق وأهمها؟

٢ . ما هو الحق الذي تتفرّع منه سائر الحقوق؟

٣ . ما حق الله على العباد؟

٤ . ما هي حقوق النفس والأعضاء على الإنسان؟

٥ . ما هو حق الصلاة على الإنسان؟

٦ . ما هو حق اللسان على الانسان؟

٧ . ما هو حق المعلّم على المتعلّم؟

٨ . ما هو حق المتعلّم على المعلم؟

المطالعة

وأمّا حق الزوجة فأن تعلم أنّ الله ـ عزّوجلّ ـ جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب؛ فإنّ لها عليك أن ترحمها؛ لأنّها أسيرك وتطعمها وتكسوها، فإذا جَهِلتْ عَفوتَ عنها.

وأمّا حق مملوكك فأن تعلم أنّه خلق ربك وابن أبيك وأُمك ولحمك ودمك لم تملكه، لأنّك صنعته دون الله، ولا خلقت شيئاً من جوارحه، ولا أخرجت له رزقاً. ولكن الله عزّوجلّ كفاك ذلك، ثم سخّره لك، وائتمنك عليه، واستودعك إيّاه؛ ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك. وإن كرهته استبدلت به، ولَمْ تعذِّب خلق الله عزّوجلّ ولا قوّة إلّا بالله.

وحق أُمّك أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحداً، ووقَتك بجميع جوارحها، ولم تبالِ أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرىٰ وتكسوك، وتضحىٰ وتظلّك، وتهجر النوم لأجلك، ووَقَتك الحرّ والبرد لتكون لها؛ فإنّك لا تطيق شكرها إلّا بعون الله تعالى وتوفيقه.

وأمّا حق أبيك فأن تعلم أنّه أصلك، وأنّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حق ولدك فأن تعلم أنّه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب والدلالة على ربّه عزّوجلّ، والمعونة له على طاعته،

فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه.

وأمّا حق أخيك فأن تعلم أنّه يدك وعزّتك وقوّتك، فلا تتّخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عدّة للظالم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوّه والنصيحة له. فإن أطاع الله وإلّا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوّة إلّا بالله.

وامّا حق مولاك المنعم عليك. فأن تعلم أنّه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذلّ الرقّ ووحشته إلى عزّ الحرية وأُنسها، فأطلقك من أسر الملكة، وفكّ عنك قيد العبودية، وأخرجك من السجن، وملّكك نفسك، وفرّغك لعبادة ربّك، وتعلم أنّه أولى الخلق بك في حياتك وموتك، وأنّ نصرته عليك واجبة بنفسك وما احتاج إليه منك، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حق مولاك الذي أنعمت عليه فان تعلم أن الله ـ عزّوجلّ ـ جعل عتقك له وسيلة إليه، وحجاباً لك من النار، وأن ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة بما أنفقت من مالك وفي الآجل الجنّة.

وأمّا حق ذي المعروف عليك فأن تشكره، وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزّوجلّ. فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية، ثم إن قدرت على مكافأته يوماً كافيته.

وامّا حق المؤذّن أن تعلم أنه مذكّر لك ربّك، عزّوجلّ، وداعٍ لك إلى حظّك، وعونك على قضاء فرض الله عليك، فاشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك.

وأمّا حق إمامك في صلاتك فأن تعلم أنّه قد تقلّد السفارة فيما بينك وبين ربّك عزّوجلّ، وتكلّم عنك ولم تتكلّم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدي الله عزّوجلّ. فإن كان به نقص كان به دونك، وإن كان تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل، فوقىٰ نفسك بنفسه وصلاتك بصلاته، فتشكر له على قدر ذلك.

وأمّا حق جليسك فأن تلين له جانبك، وتنصفه في مجاراة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلّا بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسىٰ زلّاته، وتحفظ خيراته، ولا تُسمعه إلّا خيراً.

وأمّا حق جارك فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلّمه عند شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حق الصاحب فأن تصحبه بالتفضّل والإنصاف، وتكرمه كما يكرمك، وكن عليه رحمة، ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حق الشريك فإن غاب كفيته، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل رأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخونه فيما عزّ أو هان من أمره؛ فإنّ يد الله ـ تبارك وتعالى ـ على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حق مالك فأن لا تأخذه إلّا من حلّه، ولا تنفقه إلّا في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك، فاعمل فيه بطاعة ربّك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حق غريمك الذي يطالبك فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً رضّيته بحسن القول، ورددته عن نفسك ردّاً لطيفاً.

وحق الخليط أن لا تغرّه، ولا تغشه، ولا تخدعه، وتتّقي الله ـ تبارك وتعالى ـ في أمره.

وحق الخصم المدّعي عليك، فإن كان ما يدّعي عليك حقّاً كنت شاهده على نفسك، ولم تظلمه، وأوفيته حقّه. وإن كان ما يدّعي باطلاً رفقت به، ولم تأت في أمره غير الرفق،

ولم تسخط ربّك في أمره، ولا قوّة إلّا بالله.

وحق خصمك الذي تدّعي عليه إن كنت محقّاً في دعوتك أجملت مقاولته، ولم تجحد حقّه، وإن كنت مبطلاً في دعوتك اتّقيت الله عزّوجلّ، وتبت إليه، وتركت الدعوة.

وحق المستشير إن علمت أنّ له رأياً أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم.

وحق المشير عليك أن لا تتّهمه فيما لا يوافقك من رأيه، فإن وافقك حمدت الله عزّوجلّ.

وحق المستنصح أن تؤدّي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به.

وحق الناصح أن تلين له جناحك، وتصغي إليه بسمعك. فإن أتى الصواب حمدت الله عزّوجلّ، وإن لم يوفّق رحمته، ولم تتّهمه، وعلمت أنّه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلّا أن يكون مستحقّاً للتهمة، فلا تعبأ بشيء من أمره على حال، ولا قوّة إلّا بالله.

وحق الكبير توقيره لسنّه، وإجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك، وترك مقابلته عند الخِصام، ولا تسبقه إلى طريق ولا تتقدّمه، ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته وأكرمته: لحقّ الإسلام وحرمته.

وحق الصغير رحمته في تعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به والمعونة له.

وحق السائل اعطاؤه على قدر حاجته.

وحق المسؤول إن أعطىٰ فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره.

وحق من سرّك لله تعالى ذكره أن تحمدالله عزّوجلّ أوّلاً ثم تشكره.

وحق من أساءك أن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو عنه يضرّ انتصرت، قال الله تبارك وتعالى: **﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأُولئك ما عليهم من سبيل﴾**[١].

وحق أهل ملّتك اضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئهم وتألّفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكفّ الأذى عنهم، وتحبّ لهم ما تحبّ لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك، وان تكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبّانهم بمنزلة أُخوتك، وعجائزهم بمنزلة أُمّك، والصغار بمنزلة أولادك.

وحق أهل الذمّة أن تقبل منهم ما قبل الله عزّوجلّ، ولا تظلمهم ما وفوا لله عزّوجلّ بعهده».

---

١. الشورى: ٤١.

الفهرست

الدرس ٢

الدرس ٣

الدرس ٤

الدرس ٥

الدرس ٦

الدرس ٧

الدرس ٨

الدرس ٩

الدرس ١٠

الدرس ١١

الدرس ١٢

الدرس ١٣

الدرس ١٤

الدرس ١٥

الدرس ١٦

الدرس ٢١

الدرس ٢٢

الدرس ٢٣

الدرس ٢٤

الدرس ٢٥

الدرس ٢٦

الدرس ٢٧

الدرس ٢٨

الدرس ٢٩

الدرس ٣٠